ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦، ربيع الثاني ١٤٠٧

المختار


من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest December 86 N° 97

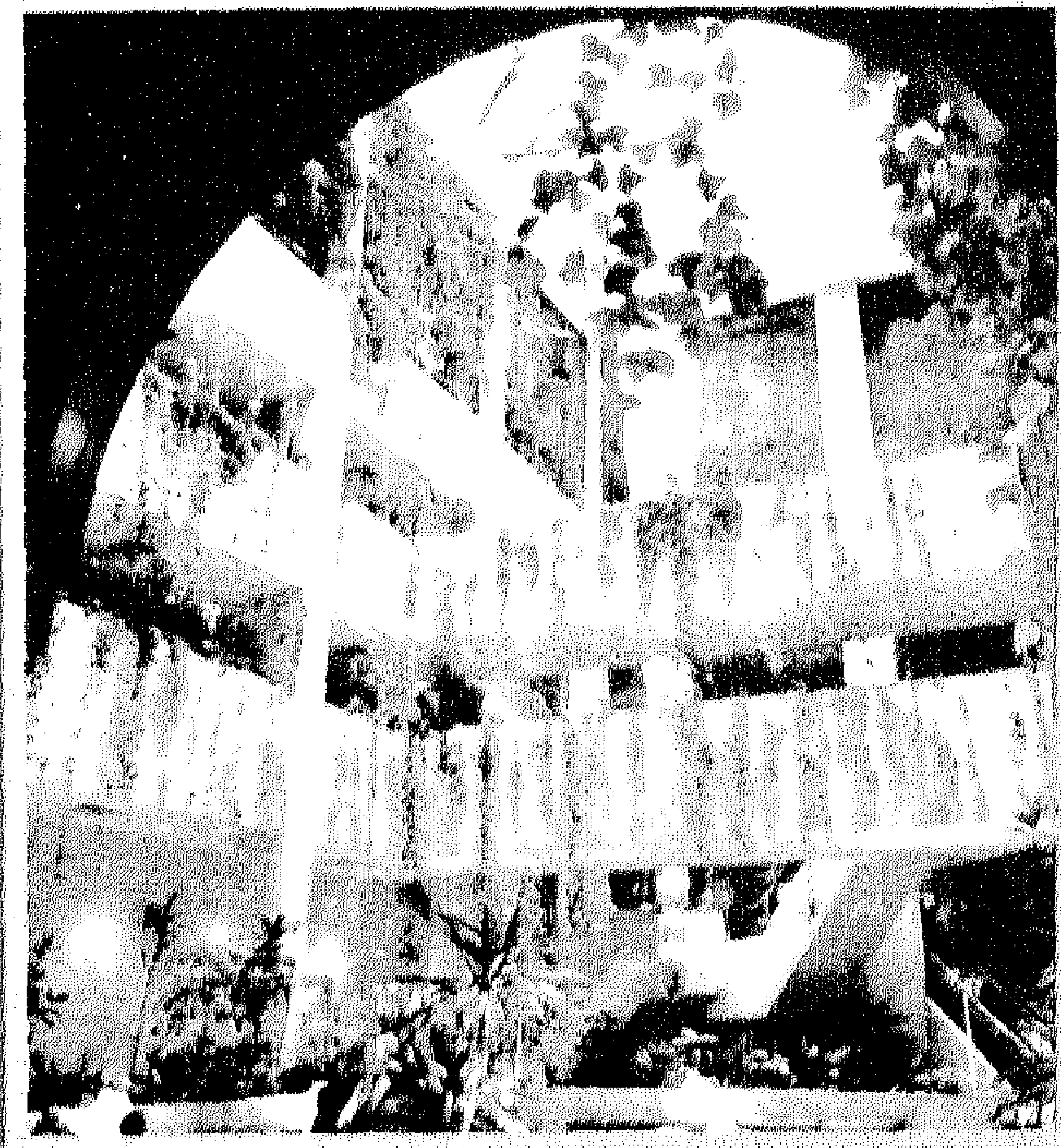
ثورة الأسطوانة الصغيرة
(ص ١١)

التمادي في الحب... مرض
(ص ١٦)

(ص ٢٠)

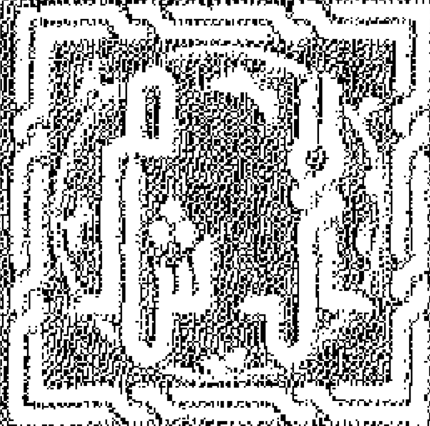
اكثر من مئة مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٩ بلداً بـ١٥ لغة

فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة قائمة بذاتها ... صمم على أحدث طراز لكي يوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك، أو كنت منهمكاً في عملك. فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولا ننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.



للحجز: فندق الشام - ص.ب ٧٥٧٠
تلكس: ٤١١٩٩٤
رقم الهاتف: ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن: ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب٨٧٠٧ بيروت – لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE.
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

December 86 N° 97 (New Series) Vol. 9

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

لبنان ١٠ل – سورية ١٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢٫٢٥د

نيدو الحليب الأفضل





نكهة لذيذة
وصحة أكيدة وتاريخ عريق

تفّاحةٌ كُلّ يومْ ...

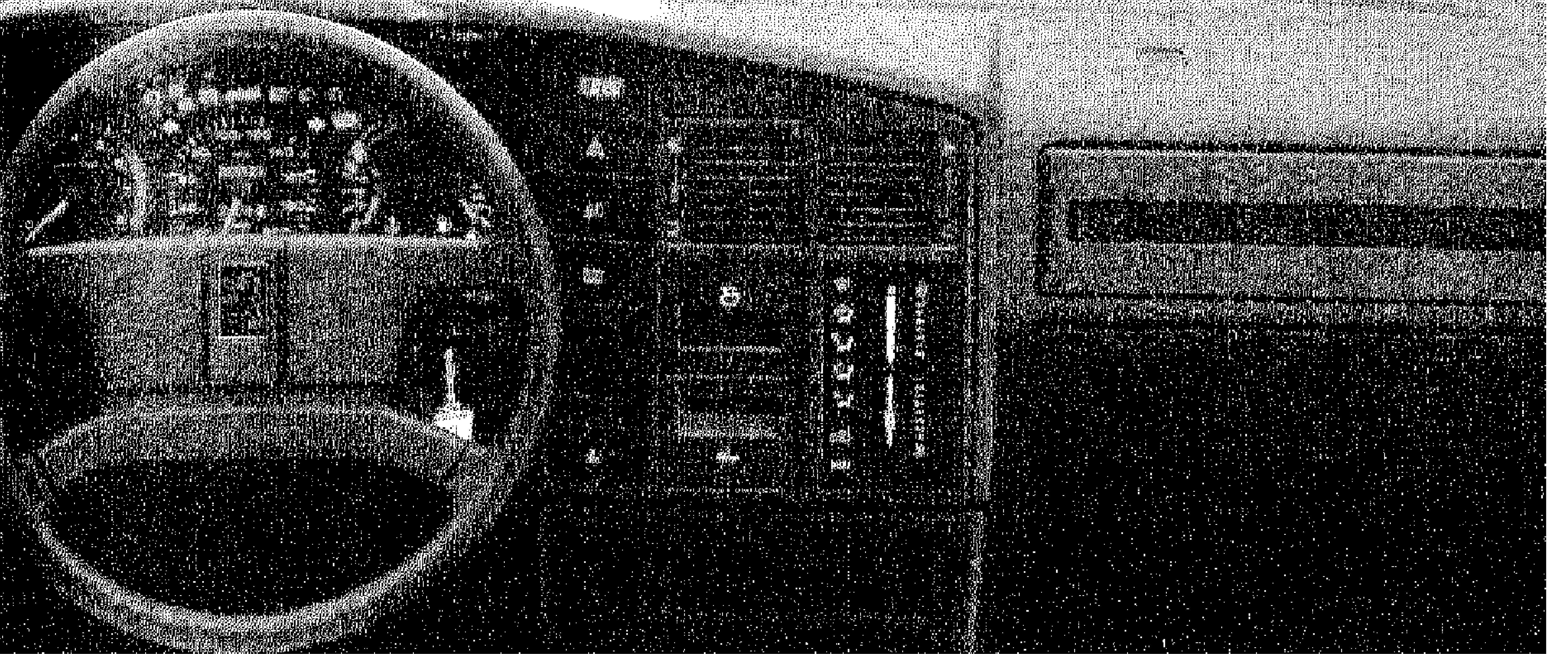
في وسع كثيرين نظم قصائد عن التفاحة. فالى النكهة والمنفعة الصحية اللتين تقدمهما هذه الثمرة فانها تثير ذكريات الطفولة وتقلّب صفحات من التاريخ وتضفي ألواناً على تراثنا ولغتنا.

ويؤكل التفاح طازجاً كما يستخدم في صنع الحلوى والعصير والزبدة والخل والزلابية والفطائر والهلام والجيلاتي (الآيس كريم) والتفاح المعلب.

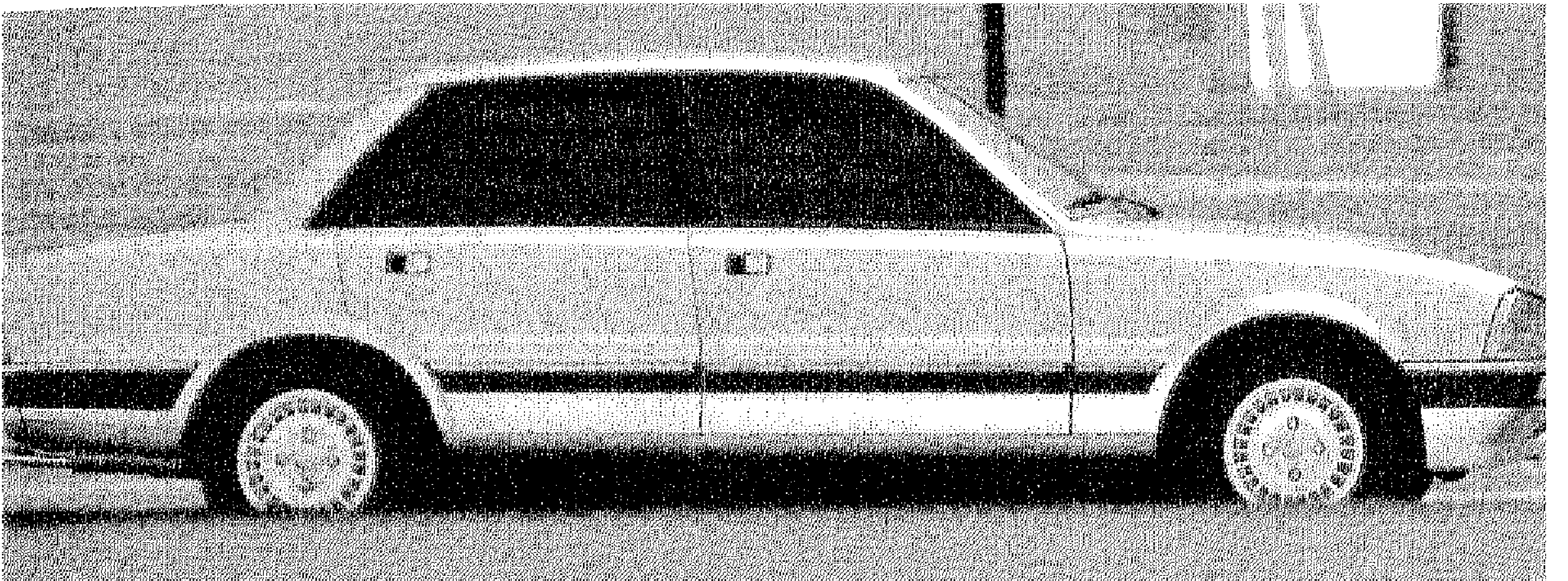
ولقد قدر الناس قيمة التفاحة منذ القدم. وترتبط التفاحة بالوردة قربى بعيدة. ويعود أصلها الى جنوب جبال القفقاس غرب الاتحاد السوفييتي، ومن هناك انتشرت في أنحاء أوروبا. واكتشف علماء الآثار أدلة على أن التفاح كان يحفظ بالتجفيف منذ العصر الحجري.

تروي المعتقدات أن تفاحة أغوَتْ أبانا آدم وأمنا حواء. وقد أمر المشرّع الاغريقي

Photo: Michael Gold / Corporate Image



أنت في الداخل



والأسد في الخارج ستبقى دائماً في الطليعة

جو ٥-٥ جي تي آي ؛ إجلس داخل هذه السيّارة الفاخرة
؛ واعلم أنك داخل سيّارة في طليعة المنافسين..
ة تميّزك عن الجميع .
ندما تبدأ بالقيادة تدرك أننا لم نبخل
صينات .. أنظر إلى لوحة أجهزة القياس،
ى أجهزة التحكم وأشعر بقوة المحرّك
خ وهو يدفعك إلى الأمام .

وجرّب الأداء الممتاز واستمتع بالقيادة، وتحسّس الخطوط الأنيقة تشق الهواء.. عدّل مكيف الهواء وأدر الموسيقى وأطرب لهذه التجربة الفريدة الفائقة في قيادة السيّارات .

سيّارة بيجو ٥-٥ جي تي آي .. سيّارةٌ تجلبُ قيادتُها متعةً عظيمةً .. سيّارة تفخر بإقتنائها .. انها ليست سوى سيّارة بيجو .



PEUGEOT

بيجو

وثبة الجودة

صولون بأن تتقاسم كل عروس تفاحة مع عريسها. وآمن السلتيون القدامى في بريطانيا بـ"جزيرة التفاح" التي لا وجود فيها للشيخوخة والمرض والحزن.

والتفاح الوحيد الذي نبت أصلا في أمريكا هو التفاح البرّي الصغير الحامض. الا ان المستوطنين الأوائل جلبوا بزوراً من أصناف التفاح المفضلة لديهم، بل ان البعض جر معه الشجيرات والشتول. وحمل المستوطنون الرواد البزور والشتول الى غرب البلاد. وأحبّ الهنود أيضاً ثمرة التفاح وزرعوها في البساتين في ضيعهم.

زرع وتهجين – للتفاحة وحدها بين أنواع الفواكه بطل شعبي هو جون شابمان الملقب "جوني بزور التفاحة" (١). وهو جاب منطقة وادي أوهايو الوعرة طوال ٥٠ سنة حافي القدمين ومعتمراً قدراً للطبخ ليزرع البزور التي جاء بها من معاصر التفاح في بنسلفانيا.

وفي أيام الاستعمار كان أهم نتاج يستخرج من التفاحة هو عصيرها الذي كان بمثابة الكولا او البيبسي بالنسبة الى المستوطنين الاوائل. واستخرج من التفاح أيضاً الخلّ الذي يستعمل لحفظ الطعام. وطوال قرنين كانت في كل ضيعة تقريباً معصرة للتفاح يعبأ فيها "عصير النشوة" في براميل معدّة للتخزين في أقبية المزارع جنباً الى جنب مع صناديق التفاح المخصص للأكل.

أما اليوم فالتفاح متوافر في المتاجر معظم أشهر السنة. ويعود ذلك في معظمه الى التخزين المرتكز على ضبط حرارة الجو. ولا يبقى التفاح المحفوظ في البرادات صالحاً للأكل الا بين موسم القطاف وشهر مارس (آذار)، في حين يبقى التفاح المحفوظ في أجواء مضبوطة الحرارة كثير العصارة وناضر المظهر طوال عشرة أشهر. فالجمع بين التبريد وخفض كمية الاوكسيجين يبطىء تنفّس التفاحة (نضجها) مما يبقيها نضرة بضعة أشهر من دون تغيير يذكر في نكهتها.

ولا تنتج البزور تفاحات متشابهة. فلكل تفاحة نحو عشر بزور، تنمو كل منها لتعطي صنفاً مختلفاً من التفاح. وهكذا أنتجت البزور التي زرعها المستعمرون الامريكيون أصنافاً متنوعة زادت على ثلاثة آلاف.

ولم تنتج عمليات التهجين العلمي التجاري تفاحاً كثيراً، اذ يلزم نحو ٥٠ سنة لانتاج صنف جديد وتسويقه، وغالباً ما تكون النتائج رديئة. لذلك يستند الانتاج الحالي الى الاصناف القديمة.

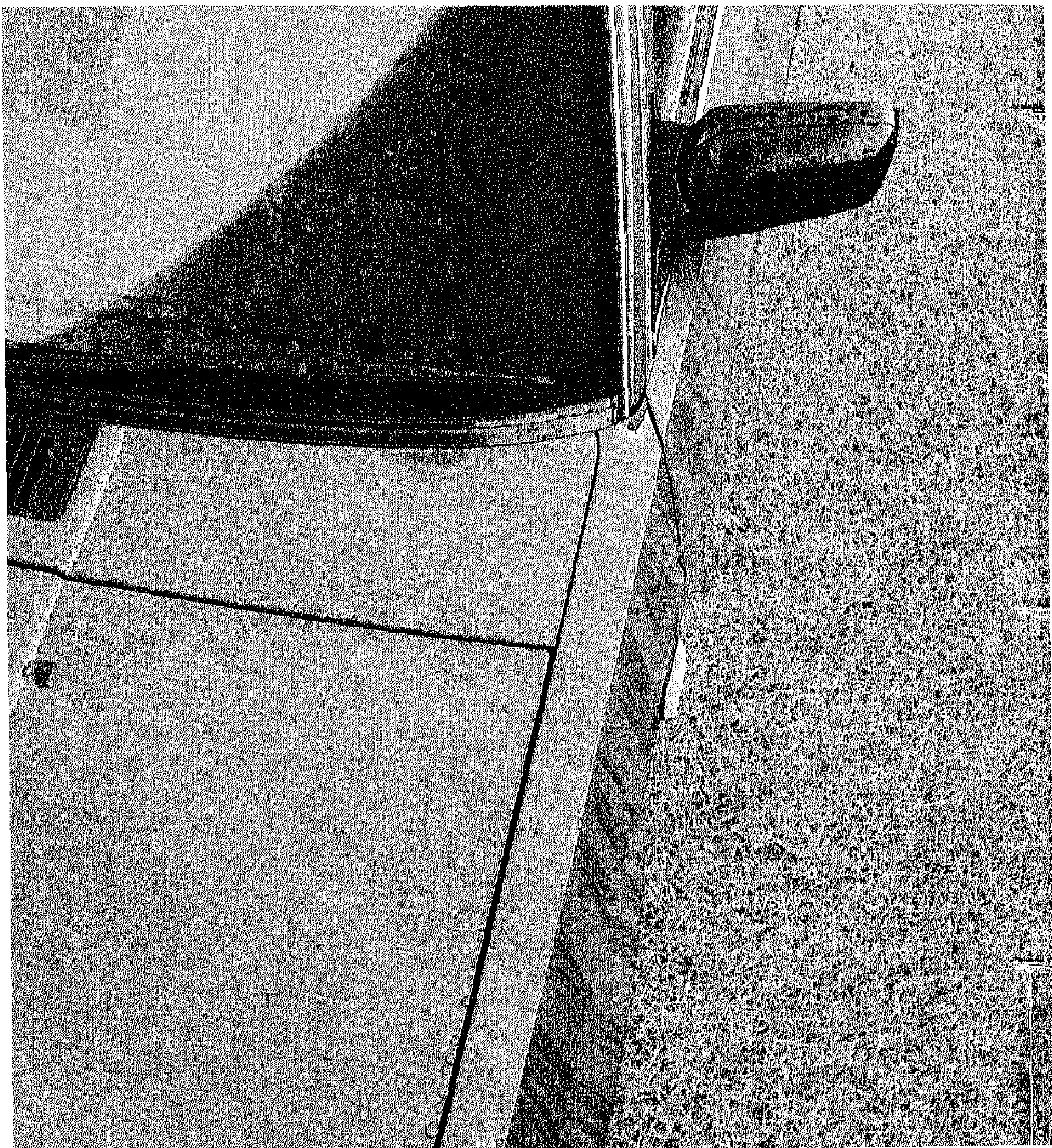
التفاحة والطبيب – نما معظم اصناف التفاح المفضّلة اليوم مصادفة. وربما نثرت الحيوانات بزورها، وتمّ اكتشافها في ما بعد وطُعِّمت بها الاشجار الأخرى. وقد اكتشف تفاح "الغولدن الشهي" (٢) قرب مزرعة في اقليم كلاي بفرجينيا الغربية في أوائل القرن العشرين. واكتشف تفاح "الماكنتوش" عام ١٧٩٦ في مزرعة جون ماكنتوش قرب أوتاوا بكندا.

(١) Johnny Appleseed
(٢) Golden Delicious

(التتمة في الصفحة ٨)

آفاق

نيسان



أما التفاح "الاحمر الشهي" (٣) فقد اكتشفه عام ١٨٧٢ جيسي هيات من بيرو بولاية آيوا. وكانت أشجاره تنمو بين الاشجار الاخرى ولم يكن مرغوباً فيها، لذلك قطِعت مرتين. لكنها كانت كل مرة تنمو من جديد مكتسبة المزيد من القوّة. وأخيراً تركها هيات تنتِجُ تفاحاً "شهياً".

أما اليوم فهناك تفاح يناسبُ كل ذوق. الا ان خمسة عشر صنفاً تشكّل ٩٠ في المئة من مجمل المبيعات في الولايات المتحدة. وقد احتكر التفاحُ الاحمر الشهي الجميل اللماع ٣٩ في المئة من السوق مع انه كثيراً ما يكون رقيقاً وطرياً. ويشرح الخبراء ان النكهة أصبحت بالنسبة الينا أقلّ أهمية من اللون. فنحن "نشتري المظهر." الا أن لكلّ صنف معجبين مخلصين. وأنا سأدافع حتى الرمق الاخير عن تفاحة "غراني سميث" الخضراء اللامعة الحامضة الكثيرة العصارة التي اكتشفت في اوستراليا عام ١٨٦٨.

أصحيح أن تناول تفاحة يومياً يبعد الطبيب نهائياً (٤)؟ يعود هذا القول الشائع الى زمن بعيد في ديفونشاير في بريطانيا حيث قيل: "تناوَل تفاحة قبل أن تأوي الى فراشك، واجعل الطبيب يستجدي قوْته."

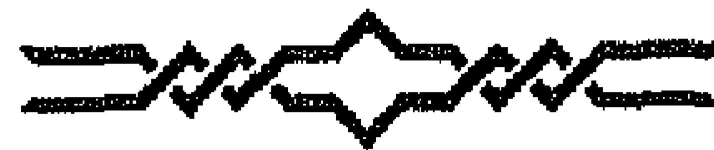
لا ريب في أن التفاح نافع للصحة، فهو فاكهة مثالية لمن يراقب وزنه. وتحتوي التفاحة الواحدة على نحو ٨٥ وحدة حرارية (calorie)، وهي تؤمّن طاقة سريعة من السكر الموجود فيها ونسبته ١٢ في المئة. وتساعد التفاحة على الهضم. ومادّة البكتين فيها تزود الجسم الألياف وتساعد على خفض مستوى الكولسترول. ويحتوي التفاح أيضاً على كميات لا بأس بها من البوتاسيوم والفيتامينين "أ" و"ج". والى ذلك فان ٨٥ في المئة من التفاحة ماء صاف رشحته الطبيعة وضخته الشجرة.

ان المولعين بأكل التفاح يعتبرون التفاحة فرشاة أسنان طبيعية لأن تركيبها الليفي والماء الذي تحويه ينعشان الفم. وينصح أطباء الاسنان بأكل التفاح لانه وجبة صحية لا تساهم في التسوّس.

جاك دنتون سكوت ■

(٣) Red Delicious

(٤) An apple a day keeps the doctor away



دب جامعي

كان شاب يمثّل دوراً مسرحياً في الجامعة يستدعي التنكّر في زي دبّ. ولما طالت الحفلة النهارية أكثر من المعتاد لم يجد الممثل متسعاً من الوقت ليبدّل ملابسه قبل الذهاب الى الجامعة. وحين دخل قاعة المحاضرات ران صمت كامل ثم سُمِع صوت في آخر القاعة: "لا بأس، يبدو أنه كان في عجلة هذا الصباح فبقي من دون حلاقة."

ك.ل.

المختار
من ريدرز دايجست
ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٦ — السنة التاسعة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

الأسْطوانة الصَّغيرة ثورة كُبرى في عَالم الفونوغرافْ

ذات يوم من أغسطس (آب) ١٩٨٢ دخل كلوديو آرو عازف البيانو التشيلي الذي يبلغ من العمر ٧٩ عاماً، بناية حديثة قرب هانوفر في ألمانيا الغربية، واجتاز بناية حديثة قرب هانوفر في ألمانيا الغربية، واجتاز رواقها بخطى واسعة ومن ثم كبس على أحد الازرار.

فبدأت أجهزة معقدة تصدر أصوات قرقعة. وفي غضون نحو ٣٠ ثانية وضعت اللمسات الأخيرة على أول اسطوانة صغيرة تنتج على نطاق تجاري في العالم.

الاسطوانة الفضية التي خرجت في ذلك اليوم من القوالب المعرضة لضغط عالٍ في مصنع "بوليغرام" تضمّنت عزف آرو



لمقطوعات من الفالس من تأليف شوبان. والاسطوانة هذه التي يبلغ قطرها اثني عشر سنتيمتراً وتعادل رقتها رقة بطاقة بريدية، يمكنها استيعاب ٥٠ في المئة زيادة على ما تستوعبه اسطوانة تقليدية مطوّلة(١). وقد جاء انتاجها تتويجاً لعقدين من البحث والتطوير في سبيل إحداث ثورة في تسجيل الموسيقى التي تتميز بدرجة عالية من الأمانة للأصل.

وكما الحال في الاحداث التكنولوجية المهمة التي أعقبت الحرب، مثل انتاج الاسطوانة المطولة والتلفاز (التلفزيون) الملوّن ومسجّلات الكاسيت والحاسبات الصغيرة، فان الاسطوانة الصغيرة (٢) سترغم سابقتها المطوّلة على أخذ قسط طويل من الراحة على رفوف المستهلكين. وعبر استخدام تكنولوجيا "اللايزر" فان هذه الطريقة التي تخزّن الصوت وتعيد إسماعه تقرب من الكمال. ويقول ميشال ويت وهو وسيط في بورصة لندن تحوّل أخيراً الى استعمال الاسطوانة الصغيرة: "أقسم أن في امكانك سماع ما اذا كان عازف الكمان جالساً أعلى من عازف الفيولونسيل."

فلا عجب اذا كانت الاسطوانات الصغيرة والاجهزة التي تستنطقها آخذة في غزو الاسواق أسرع من سابقاتها، الأمر الذي يعطي صناعة الاسطوانات دفعاً قوياً هي في حاجة ماسة اليه.

عشق جديد – هل انتهى عهد الاسطوانات المطوّلة؟ "نعم،" يقول الدكتور يوهانس كنزل رئيس مصانع "فيليبس." ويضيف فرنسوا ديركس مدير فرع الالكترونيات في "فيليبس انترناشونال" وهي الشركة الهولندية التي اخترعت نظام الاسطوانة الصغيرة: "لقد استمعنا لمدة ٧٥ سنة الى موسيقى بعيدة عن الكمال يتخلّلها صرير وتشويش. فالاسطوانة التقليدية ترتكز على مسمار يحك أخدوداً!"

أمّا ثورة الاسطوانة الصغيرة فلها وجهان: لقد جاءت بنوع جديد من الاسطوانات وأوجدت جهازاً جديداً لاستنطاقها. ففي هذه الصناعة تعتبر الاسطوانة "ناقلاً للصوت،" أي انها جسم يحمل "إشارات" يمكن جهاز الاستنطاق (الفونوغراف) قراءتها وتحويلها أصواتاً عبر مكبر للصوت. والاسطوانات المطولة تحقق ذلك بابرة ذات رأس من ألماس أو ياقوت تسلك أخدوداً، أما آلة التسجيل فتحدث على الشريط أشكالا من ذرور أوكسيد الحديد تمكن قراءتها مغناطيسياً. وأما نظام الاسطوانة الصغيرة فيحقق ذلك بطريقة فعّالة الى أبعد الحدود، وذلك بأن يحفر على ناقل الصوت سلسلة من ندوب يقل عرضها عن جزء من ألف من المليميتر. وكل سبعين ندبة يمكن ادخالها شعرة انسان أو أخدوداً واحداً من أخاديد اسطوانة مطولة.

هذه الموسيقى التي هي في شكل رموز تتم قراءتها بواسطة "إبرة" لايزر تركز أشعتها بدقة. وما دامت الندوب محفوظة داخل جسم بلاستيكي صلب، وبما أن لا احتكاك مادياً بين الابرة والاسطوانة،

(١) المطوّلة (Long-playing record) اسطوانة فونوغرافية تدور ٣٣ دورة وثلث دورة في الدقيقة.
(٢) الاسطوانة الصغيرة Compact Disc

Photo: Philips Classics Productions

فالصوت يصل اليك صافياً من دون أي صرير. واذا صادف أن مرّ شعاع لايزر على ذرّة غبار أو أثر بصمة أو خدش، فان ذلك لا يؤثر في الصوت بفضل نظام آلي لتصحيح الأخطاء، وهي عملية لا تشعر بها الاذن البشرية.

وعلى رغم الاسطوانة الثورية و"ابرة" اللايزر، فالنظام الجديد لا يزال يستخدم مكبرات الصوت التقليدية. وحده جهاز الفونوغراف ينبغي ابداله بآخر يتميز بعين لايزر ثاقبة تفك رموز خمسة مليارات ندبة موجزة في الاسطوانة الواحدة، وتسمعك موسيقى موزار وأغاني مادونا.

الثورة الاخيرة التي حققتها "فيليبس" في صناعة الالكترونيات المعدة للاستهلاك التجاري العالمي كانت عندما اخترعت الكاسيت الصغيرة(٣) في العام ١٩٦٣. والآن حققت ثورة جديدة باختراع الاسطوانة الصغيرة، وهي تبيع من هذه الاسطوانات وأجهزتها جميع الكميات التي تنتجها. وثمة ١٢ مليون عاشق للموسيقى أقبلوا على الاسطوانات الجديدة من دون رغبة في العودة الى الاصوات البدائية القديمة.

زواج فيغارو – شهدتْ حديثاً ولادة اسطوانة صغيرة حَوَت تسجيلا لأهم ما تضمنه فهرس الموسيقى الكلاسيكية الذي أنتجته "فِيليبس انترناشونال" عام ١٩٨٦، وهو أوبرا "زواج فيغارو" التي يعتبرها كثيرون أفضل ما وضعه موزار.

بدأت المغامرة في كنيسة القديس يوحنا التي تقع على مقربة من ساحة البرلمان في لندن. وخلف مجموعة مكبرات صوت سوداء وفضية جلس عازفو الاوركسترا في أكاديمية سانت مارتن البالغ عددهم ٤٥ بقيادة نيفيل مارينر. وبصفته مؤسس الاكاديمية، منح مارينر حديثاً ميدالية لما قدمه من مآثر في مجالي الموسيقى والفنون.

ضمّت الاوركسترا عدداً من مشاهير المغنين في العالم: البلجيكي خوسيه فان دام ادى (غناء طبعا) دور فيغارو، في حين ادت الامريكية بربارة هندركس دور سوزانا عروس فيغارو. وضمّت الاوركسترا أيضاً الايطالي روغيرو ريموندي والتشيكوسلوفاكية لوسيا بوب واليونانية أنياس بالتسا والبريطاني روبرت لويد.

وعلى مقربة من الجدار الخلفي للكنيسة وضعت الأجهزة التي التقطت أصوات الاوركسترا خلال جلسات التسجيل على مدى ١٢ يوماً. كانت هناك أجهزة تسجيل رقمية ذات ٢٤ مسلكاً، ووحدات للتحكم من بعد. وحدها الأضواء المتقطعة والأشرطة التي تدور دلّت على أن الأجهزة كانت تعمل. وخلف هذه الآلات الفائقة التطور غرفة مراقبة عازلة للصوت لازمها اختصاصيون لمعالجة المشاكل التي اعترضت سير العمل.

كان البريطاني إريك سميث، وهو مدير قسم الفن والمسرح في شركة فيليبس ومركزه في بارن بهولندا، يعمل على انتاج أوبراه السبعين في الشركة. وجلس أمام مكبرين للصوت في غرفة المراقبة، وبدا غير واع للأشرطة السود التي تملأ معظم أرض الغرفة والموصولة بأجهزة رقمية

(٣) Compact Cassette

تنبعث منها أضواء متقطعة. نص أوبرا "زواج فيغارو" على قدميه وفي يده قلم، وهو يتابع أدق التفاصيل التي تبلغه عبر المذياع. وقد قطع العرض بكياسة غير مرة ليتشاور هاتفيا مع مارينر من أجل خفض أصوات آلات الكمان أو تعديل ارتفاع صوت الابواق.

ازعاج موزار – الكمال التقني مهما بلغ لا يولد انتاجاً يعادل عبقرية موزار. ويقول سميث: "ينبغي لي دائماً أن أكون ذا احساس. لا يمكنني أن أكون ناقداً الى درجة أفقد معها العاطفة، فثمة جزء في الفصل الثالث من اوبرا فيغارو رائع الجمال بحيث يحرّك مشاعري فتنهمر دموعي. وإذا سمعت هذا الجزء من دون ذرف دموع فاني أعرف أن ثمة خطأ ما."

والى جانب سميث جلس كبير مهندسي معادلة الاصوات في شركة فيليبس ويدعى هانس لوترسلاغر (٥٤ عاماً) من هولندا. وأمامه جهاز لمزج الاصوات ينطوي على ٤٠ قناة، وهو جهاز الكتروني يدمج الاصوات الآتية من ٤٠ مكبراً للصوت في ٣٤ مسلكاً، بعضها لمغنّ منفرد وبعضها لمجموعة صغيرة من الآلات الموسيقية. وفي متناول أصابع لوترسلاغر ٤٠ خافتاً للصوت يتحكم كل منها بمذياع واحد. هذه الخافتات تسمح له برفع الصوت أو خفضه من هدير صامّ الى صمت مطبق. أمّا السيطرة على القنوات الاربعين هذه والتلاعب بها ففيها الفارق بين التقني العادي والفنان.

وبصفته مهندساً لمعادلة الاصوات(٤) كان لوترسلاغر يلاحق لحظة فلحظة أصوات الآلات الموسيقية الخمس والاربعين اضافة الى أصوات الكورس والمغنين. كان يمزج الاصوات في تناسق تام يلائم عمل موزار ويعادل مكانة الاسطوانة الصغيرة. ومهما تكن نوعية المؤلف والاوركسترا وقائدها والمغنين، فسيعاني العمل بعض الشوائب في غياب أذنين مرهفتين لمهندس معادلة الاصوات.

يقول سميث: "بعض الناس اشتكى من أن للاسطوانات الصغيرة صوتاً "بارداً". لكن تلك مسألة تعود الى أنواع مكبرات الصوت وطريقة توزيعها واستعمالها. انها مهنة في منتهى التعقيد."

ويلاحظ مارينر: "إن الاسطوانة الصغيرة تنسخ الصوت بدقة تحبس أنفاسك. لكنها خلافاً للاسطوانات القديمة تظهر كل خلل أيضاً." إنها تلتقط الاصوات على نحو مرهف الى درجة أنها قد تلتقط اصوات السيارات وزقزقة العصافير خارج غرفة التسجيل أو حتى صوت أنفاس قائد الاوركسترا. وأنا واجهت حرجاً عندما نبهني مساعد سميث في فترة الاستراحة الى صوت أحدثته عندما نزعت غطاء قلم الحبر. لقد سبّبت ازعاجاً لموزار عن بعد ٣٠ متراً!

أسر الموسيقى – التسجيل الذي يتطلب هدوءاً زائداً كان يجرى في المساء عندما تخف حركة السير في الخارج وتتوقف أصوات مطارق البناء

(٤) Balance engineer

ويغيب هدير الطائرات التي تحلق على علو منخفض، كذلك أصوات الرعد. وعندما ينتهي العمل على خير ما يرام كان مهندسو التسجيل يحزمون ١٧ بكرة "أصليّة" تساوي عشرين ساعة من الصوت مسجلة على شريط ممغنط يبلغ طوله ٤٩،٦ كيلومتراً وعرضه بوصة (انش) ويشكّل المادة الاولية لثلاث اسطوانات صغيرة.

وفي الايام العشرة التي تلت استمع سميث الى البكرات الاصلية ونقّى "القمح من الزؤان" مختاراً الأجود. وأتت الخطوة الثانية، وهي اجتماع سميث ولوترسلاغر أمام جهاز مزج الاصوات في استوديو شركة فيليبس في بارن.

تعاون الاثنان لمدة أسبوعين ومزجا الاصوات التي اختارها سميث، وهي عملية تخفض عدد المسالك من ٣٤ الى مسلكين. وفي حين كان لوترسلاغر يضبط عملية المزج برؤوس أصابعه ارتفعت أصوات فجأة من حيث لم يدرِ واختفت بسرعة. بعدئذٍ أرسلت أشرطة لندن الى مصحح ماهر عمل بمساعدة آلة الكترونية "ذكية" على انتاج ثلاثة أشرطة رقمية.

ثم انتقلت العملية الى هانوفر حيث "بنت" بوليغرام، وهي فرع من فيليبس، المصنع الاول في العالم لانتاج الاسطوانات الصغيرة، بعدما زارها آرو في أغسطس (آب) ١٩٨٣. وفي هذه المرحلة تلقى مسألة التلوّث اهتماماً بالغاً، لذلك تُعزل كامل المساحة المخصصة لطبع الاسطوانات. وهناك عمال تلقوا تدريباً عالياً ويلبسون بذلات تغطي أجسامهم تماماً، يعملون في مكان محاط بجدران زجاجية حيث ضغط الهواء أعلى قليلا مما هو في الخارج، ما يمنع تسرّب جزيئات ملوّثة الى الداخل.

وبغية نقل الاشرطة الأساسية الى ثلاث أسطوانات زجاجية أساسية، يجري صقلها وتغليفها بمادة مقاومة للضوء، فيطلق مسدس لايزر ليخطّ بدقة الندوب المتناهية في الصغر التي تنسخ الرموز المرقمة. بعدئذ تنتج نسخ صلبة عن الاسطوانات الزجاجية تطبع عنها نسخ تجارية للاسطوانة في شكلها النهائي.

ان البلاستيك الصلب الذي طبعت عليه أوبرا فيغارو غطي بطبقة رقيقة جداً من ذرور الالمنيوم، بهدف توفير السطح العاكس الذي ستقرأ فيه "إبرة" اللايزر الثاقبة لدى وضع الاسطوانة في الفونوغراف. وبعدما وضعت طبقة نهائية من ورنيش اللك اصبحت الموسيقى أسيرة الاسطوانة الى الأبد.

بفضل الاسطوانات الصغيرة ستُسمع موسيقى موزار كما لم تسمع من قبل، وكأن المستمعين أنفسهم هم في قاعة العزف.

رودولف شلمنسكي ■



اذا دفع لك أحدهم ما عليه نقداً هذه الايام، سارعت الى الشك في انه لا يملك حساباً مصرفياً.

ج.أ.

الحب الذي يعطي كل شيء
ولا يطلب شيئاً ليس دليل عافية،
لكنه شائع الى حد أن كثيرات
يفترضن أنه الحب الصحيح

التمادي في الحُبّ يورث التعاسة

في الرواية الخرافية "الحسناء والمسخ" تلتقي فتاة شابة وحشاً مخيفاً. وبغية إنقاذ عائلتها من غضبه توافق على العيش معه. ولكن بعد أن تعرفه عن قرب تتغلب على نفورها منه، حتى انها تقع في حبّه. حينئذ تحدث أعجوبة فيعود المسخ أميراً كما كان.

يبدو أن الرواية تهدف الى تأكيد افتراض علمي مفاده أن في امكاننا إحداث تغيير في الانسان نحو الأفضل، وذلك من خلال القوة التي يتسم بها حبنا، ولاسيما الاناث منّا، لأن ذلك من واجبهن.

عندما تكره المرأة جوانب أساسية كثيرة في ميزات الرجل وقيمه وتصرفاته، لكنها تتحملها ظناً منها أنها لو أبدت ما يكفي من الحب فسيسعى الرجل الى تغيير ما لا تحبّه، فانها تتمادى في حبها.

ولقد عرفتُ ظاهرة "التمادي في الحب" كواحدة من مظاهر الفكر والمشاعر والسلوك، بعد سنوات عدة من عملي مستشاراً لمدمني الكحول والمخدرات. بعض المرضى الذين قابلتهم نشأوا في عائلات اشتدت فيها الخلافات، ومعظم أوليائهم أيضاً ربوا في عائلات عصفت فيها الخلافات. وبغية التماشي مع زملائهم المدمنين، كان هؤلاء يعيشون مجدداً أوجهاً بارزة من طفولتهم.

زوجات المدمنين وصديقاتهم كشفن حاجتهن الى الشعور بالتفوق والمعاناة في الدور "الانقاذي" الذي يؤدينه. وقد أظهرن التأثير العميق الذي تركته خبراتهن الطفولية في علاقاتهن بالجنس الآخر.

وليست النساء وحدهن من يتمادين في الحب، إذ ان بعض الرجال يفعلون ذلك بحماسة توازي حماسة النساء، ويكون شعورهم وليد تجربة عاشوها في

طفولتهم. ومع ذلك فان معظم الرجال الذين خبروا طفولة مضطربة ينزعون الى عدم إقامة علاقات وثيقة. وبسبب تفاعل بين عوامل ثقافية وأخرى بيولوجية، يحاولون عادة حماية أنفسهم وتجنب المعاناة فيكبّون على العمل والرياضة وممارسة الهوايات.

[illegible] – إنّ ملايين النساء يخترن أصدقاء وأزواجاً يتصفون بالقسوة واللامبالاة والأذى وفقدان العاطفة والادمان، أو يكونون غير قادرين على الحب. وما من امرأة تتمادى في الحب مصادفة، ولا مصادفات في الزواج. وعندما تظن امرأة أنه "كان عليها الزواج" برجل معين، أو تدّعي أن زواجها جاء وليد نزوة أو أنها كانت صغيرة جداً فلم تعِ ما أقدمت عليه، فمن واجبها أن تبحث عن السبب الذي حداها على اختيار ذلك الرجل. فهي أختارته، وان يكن من دون وعي، وكانت لديها في الغالب معلومات وافية عنه.

ثمة نساء كثيرات يرتكبن خطأ البحث عن رجل من دون تعزيزِ العلاقة أولا مع أنفسهن. فما من أحد يمكنه أن يحبنا الى درجة اكتفائنا ما لم نحب نحن أنفسنا. وعندما نفتش عنِ الحب وقت نشعر بالفراغ، لا يسعنا إلّا أن نقع في مزيد من الفراغ.

فلنأخذ قضية بيغي، وهي أم مطلقة لها ابنتان:

انفصل أبي عن أمي قبل ولادتي. فاضطرت أمي الى العمل وتولّت جدتي لأمي العناية بنا. كانت جدتي قاسية جداً وتردد علينا دائماً أننا لا نصلح "لشيء أبداً." وملاحظاتها تلك جعلتني واختي نعمل بجد لنثبت جدارتنا. ولم توفّر لنا أمنا الحماية وكانت تخشى أن تتركنا جدتي فلا يبقى أحد للعناية بنا. وأذكر أنني كنت أحاول اصلاح ما يتعطل في البيت لتوفير بعض المال وإثبات جدوى وجودي.

تزوجت وأنا في الثامنة عشرة من عمري بعدما التقيت زوجي في المدرسة الثانوية. وفكرت: "انه متهور أهوج وفي امكاني ترويضه." ومضيت في اصلاح الاعطال في البيت. ولازمني الشقاء منذ بداية زواجي، لكن خمس عشرة سنة مضت قبل أن أستنتج أن الشقاء سبب جيّد للطلاق.

بعد الطلاق التقيت بيرد. كان طويل القامة جذاباً، لكنه يفتقر الى اظهار عاطفته. وأذكر أنني فكرت آنذاك: "انه أكثر الرجال الذين التقيتهم أناقة وكبرياء. أراهن أن في امكاني تحريك عواطفه." لكننا لم نتمتع قط بأوقات طيبة معاً، إذ كان هناك دوماً خلل وكنت أحاول اصلاحه باستمرار. وهكذا دام زواجنا شهرين.

لم تشعر بيغي أبداً بأنها موضع حب. كانت حاجتها قوية جداً الى طي صفحة الماضي بكل سلبياته والفوز بمحبة مَن لم يستطيعوا منحها المحبة، مثلما حدث مع الرجل الذي وجدته بارد العواطف وغير مبال فشعرت بميل فوري اليه. انها في رأيها فرصة أخرى لتحويل رجل لا يحب رجلا يظهر لها الحب في نهاية المطاف. وعندما ارتبطا بالزواج حاولت جاهدة

تحقيق أمنيتها على رغم ما سببه ذلك من تحطيم لحياتها. فحاجتها الى اصلاحه - واصلاح أمها وجدتها اللتين يمثلهما - كانت قوية جداً.

الوقوع في التجربة - إن الأوجه الرئيسية للحقيقة يتم انكارها في العائلات التي تعاني اختلالا وظيفياً، وتبقى الادوار جامدة. وهذا من شأنه إضعاف تطور أساليب حياتنا. والنساء اللواتي يتمادين في الحب يتميّزن بتلك الأساليب الضعيفة. انهن يصبحن عاجزات عن تمييز ما اذا كان شخص أو شيء ما صالحاً لهن. انهن لا ينفرن من الامور الخطرة والاشخاص المتعبين الـذين يتجنبهم الناس عادة، لأنهن لا يثقن بشعورهن. وعوض ذلك ينسقن الى الخطر والتحديات التي يتجنبها الآخرون فيلحق بهن الاذى لأن معظم ما انجذبن اليه هو صورة لما عايشنه في ماضيهن. فيقعن في التجربة من جديد.

فلنأخذ قصة كلود وهي فتاة جامعية في الثالثة والعشرين من عمرها:

عندما كنت صغيرة كان أبي يضرب امي ويضربنا جميعاً نحن الصغار. وأظن أنه أقنعنا بأننا نستحق الضرب. لكنني وثقت بأن امي لا تستحقه، فكنت أتمنى دوماً أن يضربني بدلا منها. كنت أعلم أن في امكاني تحمّل الضرب، ولم أكن اكيدة أن في استطاعتها هي تحمّله. أردنا كلنا أن تتركه أمي، لكنها لم تفعل. وكنت دوماً أريد أن أمنحها ما يكفي من الحب لتشعر بالقوة وتترك والدي. لكنها لم تفعل ذلك أبداً. لقد توفيت قبل خمس سنوات بداء السرطان، ولم أتكلم مع أبي قط منذ المأتم.

والتقيت روي في أحد صفوف الرسم. وذات يوم بدأ يتكلم على النساء قائلا انهن فاسدات ويستغللن الرجال. كان متهكماً في كلامه ففكرت: "انه مجروح الفؤاد فعلا." وبدأت أحاول أن أبرهن له أن النساء لسن كلهن على هذا المنوال.

وخطبنا بعد أقل من شهرين. وفي غضون أربعة أشهر كنت أدفع ايجار بيته ومعظم فواتيره. لكنني واصلت المحاولة لسنتين أخريين لاثبت له أنني لن أؤذيه وأنه موضع حب. ونالني أذى أثناء محاولتي تلك، عاطفياً في بادىء الأمر ثم جسدياً وشعرت طبعاً أن الخطأ خطأي أنا أيضاً.

ثم التقيت صديقة سابقة له سألتني على الفور: "هل يضربك؟"

وتكلمنا لفترة طويلة، ثم اقنعتني الصديقة بمرافقتها الى جماعة تعنى بالعلاج النفسي فأنقذت حياتي. النسوة اللواتي اجتمعت اليهن كن مثلي، وهن تعلمن منذ طفولتهن تحمّل آلام لا تطاق.

مغزى الرواية - من المحتّم أن يحمل الاولاد الذنب واللوم الناجمين عن مشاكل خطيرة تؤثّر في عائلاتهم. فقدرتهم التي يحلمون بها تجعلهم يظنون أن في استطاعتهم تغيير واقع الحال.

إن امرأة تمارس الرفض والسيطرة ستنجرّ الى مواقف تتطلب مثل هاتين المزيتين. فالرفض الذي يبقيها بعيدة عن واقع ظروفها ومشاعرها سيؤدي بها الى علاقات محفوفة بالصعوبات. حينئذ

تعمد الى توظيف جميع قدراتها بهدف المساعدة وجعل الموقف مقبولا مع رفضها الاقرار بحراجته.

ليس سهلا أو مريحاً لنا أن نعتبر التصرف البعيد عن حب الذات والجهود الرامية الى المساعدة، محاولات للسيطرة وتغيير الآخرين. وعندما ننجز لأحدهم عملا يمكنه أن ينجزه بنفسه، أو عندما نحضّ شخصاً آخر ليس ولداً صغيراً وننصحه ونذكّره ونحذره ونداهنه، فهذه في الواقع محاولة للسيطرة. فنحن نأمل انه اذا كان في امكاننا السيطرة عليه ففي امكاننا حينئذ السيطرة على شعورنا حيث تتلاقى حياتنا وحياته. بالطبع، كلما اجتهدنا في محاولة السيطرة عليه قلّت قدرتنا.

فما هو إذاً المغزى من رواية "الحسناء والمسخ"؟ إنه القبول، نقيض الرفض والسيطرة. انه الرغبة في الاعتراف بأن الحقيقة موجودة والسماح لها بالوجود، من دون حاجة الى تغييرها. فالحسناء أحبّت المسخ. وفي الرواية تكمن سعادة تنبع ليس من التلاعب بظروف خارجية أو بأشخاص، بل من انماء سلام داخلي حتى في مواجهة التحديات والصعوبات.

ومن المفارقات أن ممارسة القبول تسمح للشخص الآخر بالتغيّر اذا اختار هو ذلك. فينبغي التذكّر أن الحسناء لم تحاول صنع أمير من المسخ. ولكن بسبب قبولها تحرّر هو ليصبح ذاته المفضّلة.

روبن نوروود ■

التدبير الاخير

زارت مرشدة للتدبير المنزلي مقر جمعية نسائية لتتكلم عن النظافة والنظام. وخلال محاضرتها طرحت سؤالا: "هل منزلك مكان يسوده النظام والترتيب؟ واذا وقع لك حادث، فكيف تكون حال بيتك؟"

وعندما توقفت المرشدة هنيهة ليتسنى للحاضرات أن يفقهن كلامها جيداً، أسرّت احداهن الى صديقتها: "اذا وقع لي حادث فأرجو ان تحرقي بيتي".

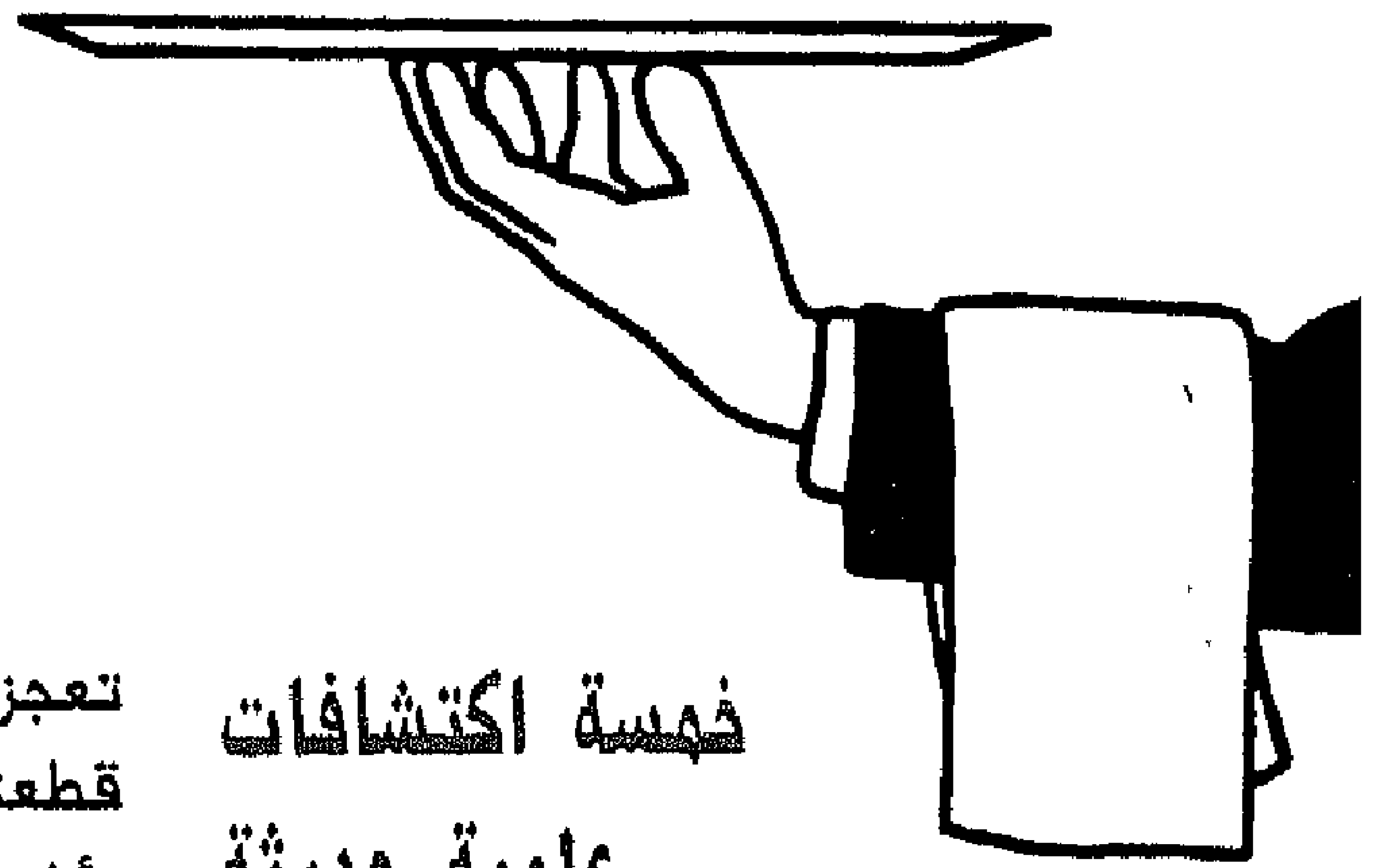
ب.س.

"حَسَن صبي"

كانت لاحداهن طفلة اعتمدت في ملبسها على ما اشترته سابقاً لاخيها الاكبر سناً. لذلك كانت غالبية ثيابها زرقاء اللون. وكثيراً ما التقت الام في السوق نساء كن يمدحن "ابنها" لجمال مظهره، حتى انها عدلت عن تصحيح معلوماتهن وراحت تجيبهن وكأن الطفلة صبي فعلا. وذات يوم أدركت الام انها ليست الوحيدة التي تعاني هذه المشكلة. ففيما كانت تدفع عربة الحوائج في احد المتاجر رأت ما ظنته طفلا صبياً. لكن نظرة فاحصة بينت لها خطأها. فعلى ظهر السترة الصغيرة الزرقاء طرزت العبارة الآتية باللون الزهري: "تحت هذه الملابس الصبيانية المستعملة تكمن صبية بكل أنوثتها."

ب.ل.

نصائح إلى الذين لا يشبعون



خمسة اكتشافات علمية حديثة تساعدك على محاربة السمنة

انتهيتَ من تناول الغداء، ومع ذلك فما زلت تقضم شيئاً بتأن: اصبع بسكويت مملّح أو قطعة حلوى متبقية. وتعلم أن عليك ألا تفعل ذلك، فقد أكلت ما فيه الكفاية. لكن أمراً ما يشحذ شهيتك.

ما زال الوقت مبكراً جداً لتناول العشاء، ولكن ما ان يدور الحديث حول المأكولات حتى تشعر بالجوع. ويبدو أن سواك قادر على الاكتفاء بالتحدّث عن الطعام، أما أنت فتنسحِب خلسة لتناول وجبة خفيفة.

انك تتبع نظام حمية ينطوي على نسبة قليلة من الكربوهيدرات(١)، لكنك تعجز عن مقاومة رغبتك في التهام قطعتين من الكعك المحلّى بين فينة وأخرى. وأنت تخجل من ضعف ارادتك.

ان التغذية الصحيحة هي، في جزء منها، مسألة ارادة، الا أن الامر لا يتوقف عند هذا الحدّ. فقد أظهرت دراسات عدة أن الكثيـر من العوامـل العاطفيّـة والبيوكيميائية تتحكم بالشهيّة، والخبراء في صدد استكشافها. وقد اخترنا من بين التحقيقات الكثيرة حول أسرار التغذية، خمسة تعتبر الأكثر ادهاشاً. وربما غيّر مضمونها طريقة تفكيرنا في الاكل والافراط في الأكل والحمية والتمارين الرياضية.

(١) المضغ والاجهاد.

الدكتوران جون مورلي وآلن لفين باحثان في المركز الطبّي لادارة قدماء المحاربين

(١) الكربوهيدرات تشمل المواد السكّرية والنشوية.

في مينيابوليس بولاية مينيسوتا. وهما سألا بضع مئات من الاشخاص عن تغيّر عاداتهم الغذائية في أوقات الاجهاد. فأجاب ٤٨ في المئة منهم أنهم يأكلون أقلّ من العادة، ولم يلحظ ٨ في المئة أي تغيُّر، بينما اعترف ٤٤ في المئة منهم أنهم يفرطون في تناول الطعام. وأشار بحث لاحق أجري على الحيوانات وعلى البشر، الى أن ما يساعد على تخفيف التوتر ليس المعدة الممتلئة ولا مذاق الطعام، وانما عملية المضغ فحسب.

ويحاول الباحثون حالياً انتاج قطعة غذائية للمضغ تكثر فيها الالياف وتنخفض الوحدات الحراريّة، يقضمها المرهقون المفرطون في الاكل. وفي انتظار ذلك يقول الدكتور مورلي ان مرضاه وجدوا في عيدان الجيلاتي (آيس كريم) الخشبية بديلا مفيداً، اذ ان اللبان (العلكة) غير صلب كفاية.

٢ التماس النكهة.

في المركز الطبّي لجامعة ديوك في دورهام شمال كاليفورنيا، أجرت سوزان شيفمان "اختبارات عمياء"(٢) للتعرّف الى مذاق الاطعمة من دون رؤيتها. وقد أبدى أكثر من ٦٠ في المئة من مرضاها البدينين مهارة كبيرة في التعرّف الى مختلف المذاقات.

وتعلّق شيفمان على ذلك: "اني متأكدة من وجود صلة بين حاسّة الذوق الحادّة والتوق الشديد الى الطعام النكِه. ويحتاج كثير من ذوي البدانة الى التنويع في المذاقات والروائح والتركيبات أكثر من الاشخاص النحفاء. واذا هم حُرموها فانهم لا يكفّون عن التهام الطعام من دون أن يشعروا بالشبع."

وترغب شيفمان في توفير المزيد من النكهة والروائح العطرية في الاطعمة المعروضة في المتاجر، وهي تعمل مع أصحاب المصانع على تطوير ذلك، فتشرح: "تحتوي الخسّة على بضع وحدات حراريّة ولكن على نكهة خفيفة جداً. لذلك يضاف اليها الزيت الذي يعزّز مذاقها ورائحتها، لكنه يزيد عليها الكثير من الوحدات الحراريّة. ويمكننا إضفاء النكهة من دون اضافة الزيت اذا استعملنا مادة منكهة." وحتى ذلك الحين تنصح سيفمان بتعويض الحمية غير النكهة بأطعمة تسحق بصوت طاحن. وتتابع: "استعملوا المزيد من الألوان، قطّعوا الجزر أشكالا مختلفة، أضيفوا التأثير الحسّي!"

وتنصح أيضاً بمضغ الطعام على نحو تام ممّا يضفي المزيد من النكهة على اللسان. ويساعد تنويع الاطعمة في كل وجبة على مقاومة السأم أيضاً، فيشبَع أصحاب الذوق الحسّاس التوّاقون الى النكهة اذا تناولوا لقماً منفصلة من الطون والخبز والبندورة (الطماطم) أكثر ممّا لو تناولوا شطيرة لكل قضمة منها المذاق نفسه.

٣ الاستجابة البالغة لدى التحدث عن الاطعمة:

"يزيد وزني بمجرّد التفكير في الطعام."

قد لا يكون هذا التذمّر الشائع بعيد الاحتمال. فقد وجد الباحثون أن بعض

(٢) Blind taste tests

الناس شديدو التأثر بالتلميحات الى الطعام التي تنشأ من رؤية الاطعمة وشم روائحها ومن تخيّلاتهم الخاصّة. والعالمة النفسانية جوديث رودان من جامعة يال في نيوهافن بولاية كونتيكت تسمي هؤلاء "مستجيبين مفرطين."

وفي احدى التجارب على أشخاص لم يتناولوا طعاماً منذ ١٨ ساعة، وضعت رودان أمامهم قطعة لحم "ستيك" تصدر هسيساً في مقلاة وتنشر عبيرها. فشعر الجميع بالجوع من دون استثناء. لكن فحوص الدم كشفت أن كمية "الانسولين" زادت على نحو ملحوظ في أجسام المستجيبين المفرطين، والانسولين مادة كيميائية مرتطبة بالشهيّة.

والعالم النفساني وليم جونسون من المركز الطبي في جامعة مسيسيبي أجرى تجارب مماثلة. فطلب من عدد من الاشخاص أن يغمضوا أعينهم ويتخيلوا أنهم يأكلون طبقهم المفضّل. فتبين له أن نسبة الانسولين في الدم تكون أثناء ذلك أكثر ارتفاعاً لدى بعض البدينين منها لدى اصحاب الوزن الطبيعي.

واستنتج العالمان رودان وجونسون كلاهما أنه، كما تعلّمت كلاب بافلوف(٣) افراز اللعاب لدى سماعها رنين الجرس، تعلم البعض منّا زيادة مستويات الانسولين وبالتالي زيادة الشهيّة لدى رؤية الطعام أو التفكير فيه. ويورد جونسون في نظريته: "قد تتوصل الى ابطال هذه الاستجابة اذا أبدلت رد الفعل القاضي بتناول الطعام برد فعل آخر. أمشِ سريعاً مثلا أو اشرب الماء حتى يكفّ تخيّلك عن احداث دفق الانسولين."

٤ قضية الكربوهيدرات.

تخبرنا جوديث وورتمان، الاختصاصية بحالات البدانة في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا في كامبريدج، قصة امرأة نعتها طبيبها بأنها "غير ناضجة" لأنها تغشّ في نظام حميّتها بالتهام الكعك المحلّى. ولا تعتبر وورتمان هذه الهفوة خللا في الشخصيّة، لان دراساتها بيّنت أن لدى بعض الاشخاص اشتهاء خاصاً للكربوهيدرات سببه بيولوجي. وفي احدى التجارب في المعهد سمح للمتطوّعين البدينين باستعمال آلات خاصّة ببيع وجبات خفيفة (سناك) غنيّة بالبروتيينات وأخرى غنيّة بالكربوهيدرات، لكنها تتعادل في وحداتها الحراريّة. وتجاهل متبعو الحميّة شطائر اللحم والجبن مفضّلين الحلوى.

واكتشف الباحثون في المعهد أن تناول الكربوهيدرات يرفع مستوى "السيروتونين"، وهو مرسل عصبي في الدماغ. وتحدث كمية كافية من السيروتونين احساساً بالتخمة فيخمد اشتهاء الكربوهيدرات. وتلاحظ وورتمان ما يأتي في نظام الحمية الذي ينطوي على كمية منخفضة من الكربوهيدرات: "قد تشعر أنك سريع الانفعال أو مهتاج أو تجد صعوبة في النوم أو في التركيز على عملك، وتحسّ اشتهاء شديداً لتناول الكربوهيدرات، وقد يصل بك الامر الى حلم يقظة."

---

(٣) ايفان بافلوف (١٨٤٩ - ١٩٣٦) فيزيولوجي روسي أجرى اختبارات شهيرة على ردود الفعل اللاارادية لدى الكلاب. منح عام ١٩٠٤ جائزة نوبل للفيزيولوجيا والطب.

وتقترح وورتمان، عوض مقاومة الكيمياء الحيويّة، ادخال قطعة أو اثنتين من الكربوهيدرات يومياً نظام الحمية في أوقات الرغبة الملحّة، وذلك لاطلاق كمية السيروتونين الضروريّة. وقد يفي بهذا الغرض تناول فطيرة هلامية أو الفشار أو البسكويت القليل الملح.

⑤ التمارين الرياضية: الكثير منها أو القليل؟

التمارين الرياضية جزء مهم من أي برنامج لخفض الوزن. فهي لا تساعد فقط على حرق الوحدات الحرارية، بل يبدو أنها تعمل أيضاً على اخماد الشهيّة. وقد عمدت الباحثة بربارة ديكسون - بارنيل من جامعة جورجيا الى جعل نساء متطوعات يؤدين تمارين على دراجات ثابتة ثلاث مرّات في الاسبوع مما يكفي لحرق ٦٠٠ وحدة حراريّة. فوجدَت أن استهلاكهن للوحدات الحرارية ينخفض في أيام التمارين وليس في الايام الاخرى. أما الامر المدهش فهو أن النساء اللواتي اعتمدن سرعة بطيئة لفترات أطول أظهرن انخفاضاً في استهلاك الوحدات الحرارية يساوي ذلك الذي أظهرته الراكبات الناشطات.

وتشير التجارب التي أجريت في مركز العافية في مستشفى ويلينغ بولاية فرجينيا الغربية، الى أن التمارين المتواصلة والخفيفة قد تكون أكثر فاعلية في كبح الشهيّة من النشاطات المرهقة.

وحصل ليونارد ابشتاين من جامعة بيتسبورغ في بنسيلفانيا على نتائج مماثلة في عمله مع الاطفال البدينين. ففي النهاية فقد أطفال ابشتاين وزناً أكبر في ممارسة المشي وتسلّق السلالم مما في الركض وركوب الدراجة، لانهم كانوا يستمرّون في التمرن الخفيف بعد توقّف العدّائين والدرّاجين عن نشاطهم. وهو يؤكد: "من السهل ادخال هذه التمارين المعتدلة حياتك."

لا يزال أمامنا الكثير نتعلمه عن تأثيرات التمارين في الشهيّة، الا أننا لا نعرف بعد الاسباب الشاملة التي تدفع بعض الناس الى التهام الطعام لدرء الارهاق بينما يفقد آخرون الرغبة في الطعام الى حد إلحاق الضرر بصحتهم. واذ يتعرّف الاختصاصيّون الى أجهزة الارسال العصبي ويقيسون كمية الانسولين ويدرسون عملية الشبع من الناحية العلميّة، فانهم يستنتجون أن المشي اليومي السريع قد يكون تدبيراً موقتاً مفيداً.

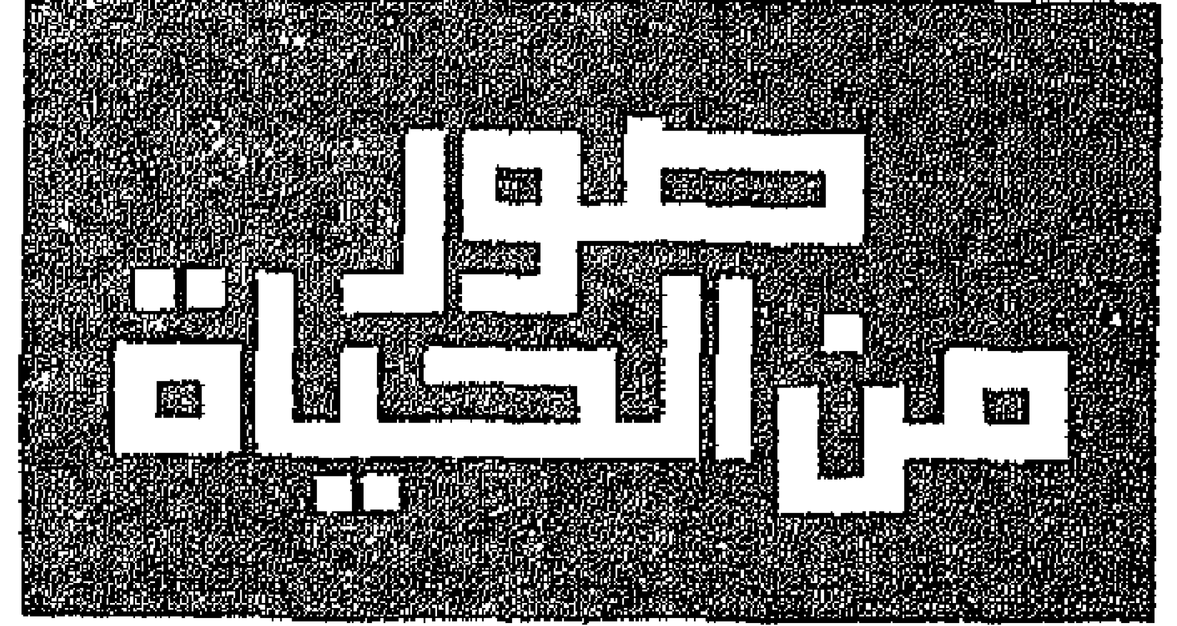
بولا سبان ■



الوجه الزجاجي

حاولت موظفة مراراً حمل الدماغ الالكتروني الذي على طاولتها، على العمل ولكن من دون جدوى. وبعدما عيل صبرها نظرت الى شاشة الآلة وخاطبتها: "لو كان لي وجه زجاجي مثل وجهك لتصرفت على نحو أكثر لياقة."

ب.س.



العودة الى البيت

كتبت سوزان تشيفر في مؤلفها "العودة الى البيت قبل هبوط الظلام" وهو سيرة والدها جون تشيفر:

كان أبي يحب أن يروي قصة عن أخي فريد. حين كان فريد صبياً كنا نقطن في بيت صغير ضمن مزرعة كبيرة تبعد ٤٠ كيلومتراً عن نيويورك.

وذات يوم عند المغيب كان أبي واقفاً أمام البيت تحت شجرة الدردار الضخمة التي تظلل المدخل المرصوف، فعاد فريد من اللعب منهوكاً. وحين رأى أبي واقفاً هناك ركض اليه وألقى بجسده الصغير بين ذراعيه قائلاً: "أريد أن أعود الى البيت يا أبي. أريد أن أعود الى البيت."

كان في الحقيقة على بعد خطوات من الباب. لكن ذلك لم يغير من الواقع شيئاً كما أدرك أبي تماماً. وكلما روى هذه القصة كان يقول: "كلنا نريد أن نعود الى بيتنا."

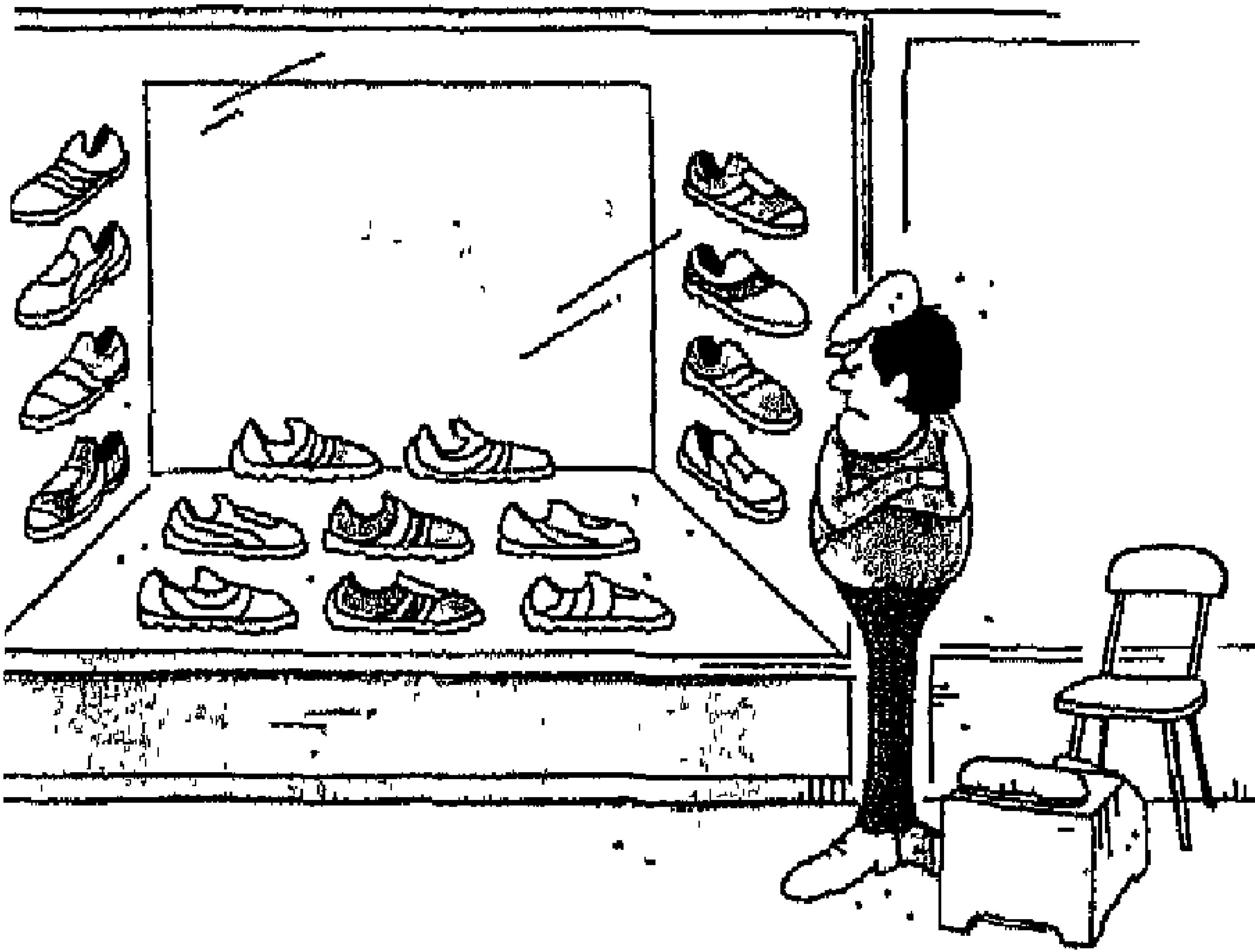
وحقاً كلنا نريد ذلك.

هـ.م.

بضاعة نادرة

تأخر صف الزبائن الواقفين أمام صندوق الحساب في متجر كبير. فقد وقفت في أول الصف امرأة معها توأمان يبكيان، وهي مرتبكة بين تقديم مشترياتها الى امين الصندوق وتهدئة التوأمين في آن. عندئذ تقدم رجل كهل وأخذ يقدم مشترياتها الى الصندوق وهو يبتسم. وعندما انتهى من المهمة نظر الى الطفلين اللذين راحا يتضاحكان وقال للأم: "من فضلك، أخبريني في اي قسم في المتجر يمكنني أن أجد مثل هذه البضاعة النادرة."

ا.م.



حلم أم يتحقق

باتريك يوينغ خريج صيف ١٩٨٥ في جامعة جورجتاون بواشنطن وأحد أعظم لاعبي كرة السلة في الولايات المتحدة. وهو جاء في العام ١٩٧٥ الى كامبردج بولاية ماساتشوستس قادماً من جمايكا، ولم يكن يعرف آنذاك شيئاً عن

انماط الحياة في الولايات المتحدة، بما فيها لعبة كرة السلة. وصممت امه على ان يحصل أولادها على الثقافة ويحققوا أحلامهم، فعملت في مطبخ مستشفى، وتوفيت قبل سنتين.
قاد يوينغ فريق جامعة جورجتاون الى الفوز ببطولة الولايات المتحدة، وفاز بميدالية ذهبية أولمبية. وبعدما وقع عقداً بملايين الدولارات ليلعب مع فريق نيكس النيويوركي أضحى أعلى المبتدئين أجراً في تاريخ الجمعية الوطنية لكرة السلة.
وسئل يوينغ ما هو الانجاز الذي يعتز به أكثر من أي شيء آخر فأجاب: "تحقيق وعد قطعته لأمي بأن أتخرج في جامعة جورجتاون."

أ.هـ.

ذهب التواضع

الرياضية النروجية غريت فايتز أشهر عدّاءة في العالم للمسافات الطويلة. وهي اشتهرت بتواضعها، وتصرّ على وضع جميع الميداليات الفضية والذهبية التي نالتها في أحد أدراج مطبخها. وتقول في ذلك: "اذا وضعت هذه الأوسمة على الجدران، فإن منظر بيتي لا يبقى طبيعياً."

صحيفة "نيويورك تايمس"

ممرضة متمرنة

بدت زوجتي متحمسة جداً لدى بدئها دروس التمريض. وفي الاسبوعين الاولين كان كل من يدخل بيتنا من أنسباء وأصدقاء وجيران يرضخ لطلبها أن تقيس حرارته أو ضغط دمه ولما حان الاسبوع الثالث اختفى الزوار من منزلنا. وسألت زوجتي: "أين هم الأهل والأصحاب؟" فأجابت: "لا بد من أن يكون أحدهم سرب خبراً حول تعلّمي حقن الابر هذا الاسبوع."

م.ل.

عشّ سيّار

لاحظ صاحب مزرعة أن مدبرة منزله دأبت على الخروج في سيارتها بضع مرات في النهار الواحد. وأثار تصرفها استغرابه فسألها: "الى أين أنت تذهبين؟"
فردت المرأة: "ثمة عصفوران بنيا عشهما على صدامة سيارتي. لذلك أعود الى البيت مرة كل ساعتين حيث ينتظرني أبوا الفراخ لاطعامها. وكم أتمنى أن يُنهيا هذه المهمة سريعاً وتغادر الفراخ عشها."

ج.و.

ممثلة واقعية

تعيش الممثلة الهزلية جون ريفرز في ضاحية بل - آر الراقية في لوس انجلس، لكنها تقول انها تستوحي أدوارها الهزلية من حقائق الحياة العادية. فالذي يعطي الاشياء طابعها الفكاهي هو نمط حياة كل فرد منا. "لذلك تراني أنجز جميع الاعمال المنزلية بنفسي، بما فيها التنظيف والغسل. فعليك أن تعيش كبقية الناس وتنفذ الى أعماقهم كي يأتي تمثيلك صادقاً معبّراً."

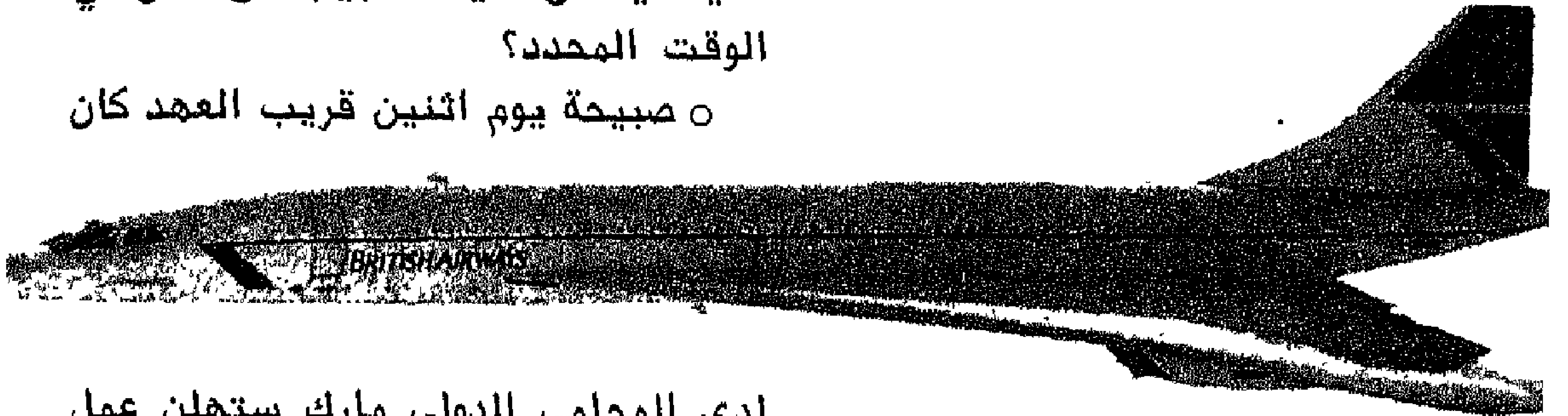
الكونكورد سَندريلا الفضاء

هذه الانثى الانيقة التي ترتدي الابيض تخترق عقدها الثاني بضعفي سرعة الصوت!

○ الدكتور فيليب ألدرسون في مستشفى جون هوبكنز في بلتيمور بولاية ماريلاند الامريكية جاهز لاختبار تقنية حديثة للتصوير بالأشعة السينية (إكس) باستعمال غاز مشعّ حساس ومأمون يدعى "كريبتون - ٨١م" ويستنشق المرضى الغاز فيما تصور الكاميرا صدورهم.

هذا الغاز الذي حُضِّر في بريطانيا يمكن شحنه الى الولايات المتحدة حيث لم يصنّع بعد. ولكن ثمة صعوبة: انه يفقد فاعليته في غضون ثماني ساعات تقريباً. فكيف يحصل عليه الطبيب من لندن في الوقت المحدد؟

○ صبيحة يوم اثنين قريب العهد كان



لدى المحامي الدولي مارك ستهلن عمل مهم في مكتبه الباريسي. لكن لديه ايضاً في اليوم نفسه اجتماعات عمل مهمة عبر المحيط الاطلسي في مدينة نيويورك وفي ولاية كارولينا الشمالية. فكيف له أن يحضر الى الامكنة الثلاثة؟

○ إيان ماكاولي صاحب مقهى شهير في بريطانيا اعتاد أن يأخذ نخبة من زبائنه في نزهة سنوية. وهو رغب في نزهة خاصة هذه السنة، فكيف تكون؟

وجد هؤلاء الثلاثة حلا مشتركاً لمشاكلهم المتباينة: انها "سندريلا" الطيران المعاصر، طائرة الكونكورد الملساء المتأنقة الأسرع من الصوت.

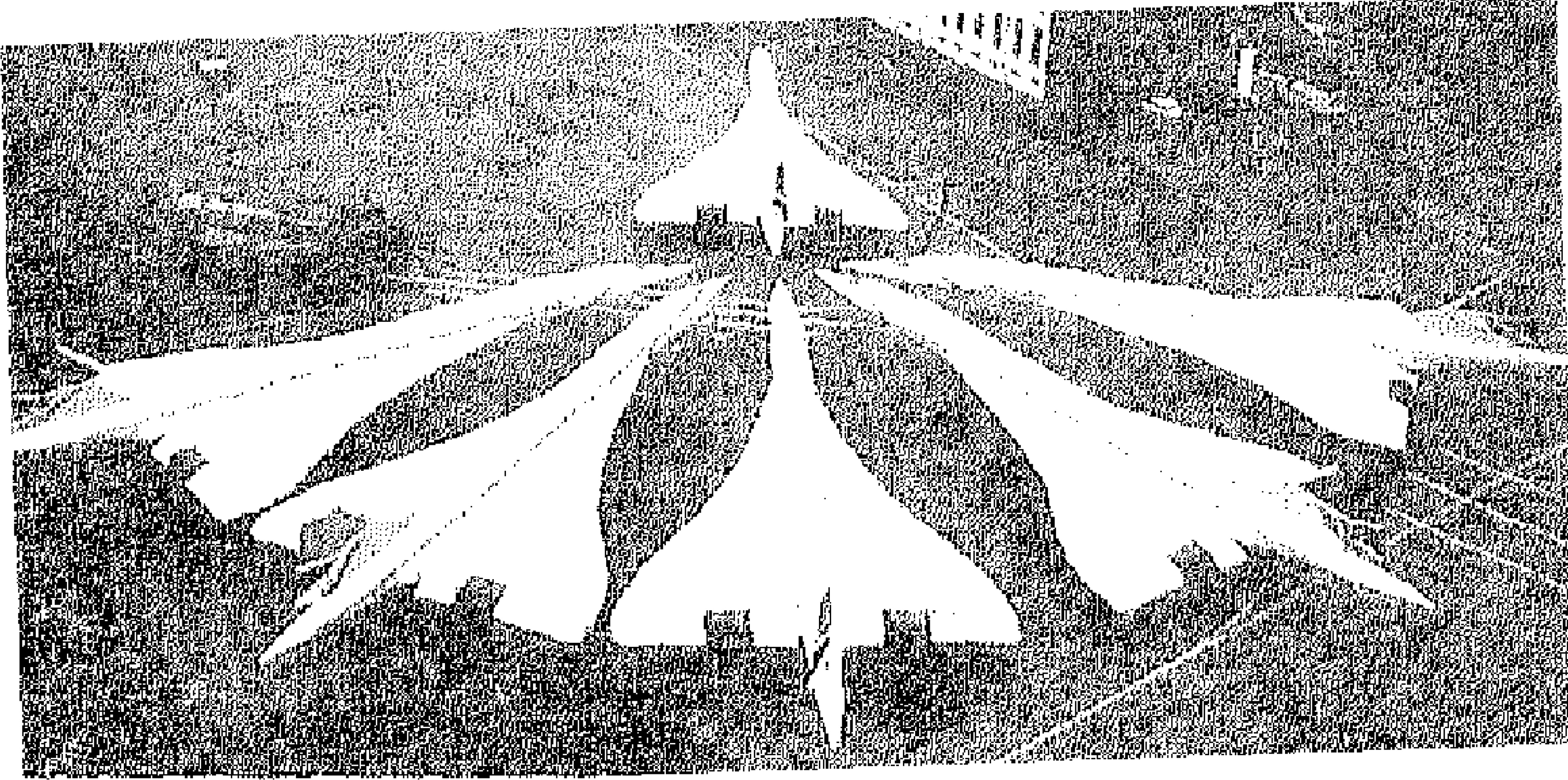
بفضل هذه النفاثة المستقبلية التي طورتها فرنسا وبريطانيا معاً، عبر غاز

Photos: British Airways

الكريبتون – ٨١ م المحيط الأطلسي الى مدينة واشنطن على متن الخطوط الجوية البريطانية في ثلاث ساعات و٤٣ دقيقة. فبقي متسع من الزمن لبلوغ بلدة بلتيمور المجاورة حيث انتظره الدكتور ألدرسون.

وأنهى مارك ستهلن عمله في باريس باكراً، وأدرك طائرة كونكورد تابعة لشركة "آر فرانس" غادرت باريس في الحادية عشرة قبل الظهر ووصلت الى نيويورك في الساعة ٨،٤٥ بالتوقيت المحلي. وهناك انضم الى اجتماع ثم واصل طيرانه الى كارولينا الشمالية لأعمال بعد الظهر.

وفي رحلة خاصة تعد الاولى من نوعها على متن احدى طائرات الكونكورد أحرز ماكاولي نجاحاً مذهلا. وشرب زبائنه نخبه على ارتفاع ١٨ ألف متر فيما هم يحلقون فوق خليج بسكاي في غرب فرنسا بضعفي سرعة الصوت.



طائرات كونكورد تتهيأ للاحتفال بعيدها العاشر في بريطانيا.

الأكثر تطوراً – زبائن سعداء كهؤلاء هم اليوم جزء أساسي من نجاح كونكورد في سنيها العشر الأولى في الخدمة. وعلى رغم الاكلاف الباهظة والمقالات النقدية المبكرة في الصحف والخسائر التجارية الاولية، فإن الكونكورد تحلق الآن في عقدها الثاني ملكة متوجة على الخطوط الجوية المعاصرة. لقد وصفها المنتقصون منها ذات مرة بأنها "فيل أبيض طائر،" لكنها اليوم تدر أرباحاً على الخطوط الجوية البريطانية وعلى "آر فرانس".

فلا عجب اذاً في ان بريطانيا وفرنسا أزالتا كل الحواجز في سبيل الاحتفال بالذكرى السنوية العاشرة لانطلاقة الكونكورد. وفي مطار هيثرو بلندن صدحت فرقة الحرس بالموسيقى فيما حلقت أربع طائرات كونكورد في تشكيل دقيق. وفي مطار شارل ديغول خارج باريس ركب عدد من المصممين الأصليين والمهندسين وطياري الاختبار طائرة كونكورد خاصة تابعة لشركة "آر فرانس" إلى نيويورك للاحتفال بطيرانهم الاسرع من الصوت.

أما رائد الفضاء الفرنسي باتريك بودري، وهو أحد الملاحين السابقين في المكوك الامريكي "ديسكافري"، فقد لخص مشاعر الفريق العامل على الكونكورد: "كلما تتالت السنون غدوت أكثر افتخاراً بانجاز الكونكورد."

وعلى رغم التقنية التي ترقى الى الستينات، فلا تزال الكونكورد الطائرة التجارية الأسرع من الصوت الأكثر تطوراً من حيث السرعة على الأقل.

وقدرتها على الطيران لعدة ساعات بسرعة "٢ ماك"(١) أي حوالى ٢١٠٠

(١) "الماك" (Mach) يساوي سرعة الصوت. و"٢ ماك" هنا تعني ضعفي سرعة الصوت.

كيلومتر في الساعة، لا مثيل لها بعد.

وبحسب قول ميشال لاغورس مدير برامج الطيران المدني في فرنسا: "إن أحدث المقاتلات لا يسعها أن تطير بضعفي سرعة الصوت الا لدقائق."

الساعة الداخلية للكونكورد سجل أمان خال من الشوائب. فهي نقلت اكثر من مليون ونصف مليون مسافر من دون أي حادث كبير. دقة مواعيدها؟ الكونكورد في الخطوط البريطانية تقلع خلال ١٥ دقيقة من برنامجها المحدد في غالب الاحيان. وقد بلغ من دقة مواعيد الكونكورد الفرنسية أن الساكنين تحت خط تحليقها يضبطون ساعاتهم في الحادية عشرة قبل الظهر، توقيت اقلاعها قاصدة نيويورك.

وتظل الكونكورد بلا جدل أجمل الطائرات اطلاقاً. وهي في الجوهر أنثوية، بأنفها المتعجرف المنحني وجناحيها المرتدّين الى الوراء. وحالما تلمحها جاثمة على المدرج، أنيقة وفخمة خلافاً لكثير من الناقلات الضخمة، تدرك أنك في سبيلك الى خوض تجربة فريدة.

انطباعك الأول وأنت على متن الكونكورد هو مدى طول الطائرة وضيقها. طولها ٦٢ متراً أي بطول طائر "بوينغ ٧٤٧" تقريباً، وفيها صف من مقعدين لصيقين على كل من جانبي الممشى.

وإذ تتنامى السرعة الى ١٠٠٠ كيلومتر أو ٢٠٠٠ في الساعة يحس المرء ترنحاً طفيفاً الى الأمام فيما تزداد قوة مضارم المحركات العملاقة ٢٠ في المئة لاختراق حاجز الصوت.

ويروي معظم المسافرين في الكونكورد أنهم يتعرضون لمقدار أقل من التأثيرات السلبية الناجمة عن الانتقال من منطقة زمنية الى أخرى(٢) اذ ان السرعة الفائقة تفرض اجهاداً أقل على "الساعة الداخلية" في الجسد.

ان سعر تذكرة السفر على متن الكونكورد يزيد بين ١٧ و٢٠ في المئة على تعريفة الدرجة الأولى في الطائرات الاخرى. وفي المقابل تقدم اليك الكونكورد إحدى أفخر وجبات الطعام التي يمكن أن تتناولها طائراً. وعند التحليق على علو حوالى ١٨ كيلومتراً ترى منظراً يحبس الانفاس: سماء أرجوانية وتقوس الارض ظاهر بجلاء.

مشروع مشترك – استهل عصر اختراق جدار الصوت عام ١٩٤٧ حين خرق الطيار الاختباري الأمريكي تشاك ياغر جدار الصوت في طائرة "بل اكس – ١" وهي طائرة اختبارية تعمل بالدفع الصاروخي. وحالما تبين أن الانسان قادر على البقاء حياً في سرعات كهذه، بوشر انتاج المقاتلات وقاذفات القنابل الأسرع من الصوت. وبحلول أوائل الستينات قررت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي صنع طائرات "فوق – صوتية" فيما ضمت بريطانيا وفرنسا جهودهما في احدى المغامرات الأكثر جسارة واثارة للجدل في تاريخ الطيران، وعزمتا على التفوق على الجبارين بابتكار نظام للمواصلات "فوق الصوتية."

هل تستطيع بريطانيا وفرنسا حقاً

(٢) Jet lag

انجاز عمل تقني فذ كهذا؟ هل يمكن هاتين القوتين البحريتين المتنافستين منذ القدم أن تحشدا المواهب الهندسية وتقتسما الاكلاف وتعملا معاً لتجعلا أوروبا قوة أساسية في دنيا الطيران المعاصر؟

بادىء الأمر عمد السير جورج ادواردز رئيس الفريق البريطاني الى تحديد مشروع الكونكورد ببساطة: "نحن نهدف الى انجاز مشروع جوي ودقيق بطريقة مباشرة ودقيقة."

ولكن حتى السير جورج بدأت تساوره الشكوك، اذ إنه أقر في ما بعد بأن إدارة المشروع كانت "بغيضة وبطيئة على نحو لا يصدق."

استوجب التصميم موافقة الحكومتين. وشكلت مجموعتان تقنيتان ثنائيتا الجنسية باشراف مجلس بريطاني - فرنسي مشترك. وتم تجميع نصف النماذج الاولية وطائرات الاختبار ونماذج الانتاج في تولوز (فرنسا) في حرم شركة "طيران الجنوب" المعروفة اليوم باسم "آيروسبسيال". فيما عمدت الشركة البريطانية لصناعة الطائرات واسمها اليوم "آيروسبايس" إلى تزويد كل الانصاف المكمّلة من خطوط الانتاج في منطقة فيلتن خارج بريستول وسطرت المواصفات النهائية في اللغتين الفرنسية والانكليزية وبنظامي القياس المعتمدين.

أدمغة الكترونية - بدا أن لدى الكونكورد كل مقومات الناقة التي يضرب بها المثل. لكن السير جورج عقد صلة عمل وطيدة مع نظيره الفرنسي الجنرال أندريه بوجيه، وشرعا معاً في كسر الرتابة الحكومية ومعالجة التحديات التقنية ومنها للمثال الاشكالات الآتية: ما شكل الجناح؟ الجناح العريض أفضل للطيران دون سرعة الصوت فيما الامتداد الارتدادي للجناح هو الافضل للطائرات ذوات السرعات العالية. وفي نظام النقل فوق الصوتي لدى الأمريكيين اعتمد هؤلاء نظاماً يشمل الاثنين، أي نظام الاجنحة المتحركة. أما الحل الوسط الذي تقدمت به الكونكورد فكان تصميم جناح مثلث(٣) وهو ليس نظاماً مثالياً للطيران فوق سرعة الصوت أو دونها، لكنه عملي للاثنين معاً.

وثمة مشكلة أخرى هي التوزيع المتغير لحمولة الوقود الثقيلة والبالغة قرابة ٩٦ طناً مترياً. فالكونكورد اذ تنقل ١٠٠ مسافر تحرق كمية وقود مماثلة لما تستهلكه طائرة "بوينغ ٧٤٧" التي تنقل خمسة أضعاف ذلك العدد من الركاب.

ولابقاء الكونكورد متوازنة أثناء اشتعال الوقود، واذ تنتقل من الطيران دون الصوتي إلى فوق الصوتي أو بالعكس، تم تجهيزها بأدمغة الكترونية لنقل الوقود إلى الخلف والى الامام بين صهاريج الجناح والذيل.

وبما ان الكونكورد تطير بسرعة خارقة تبلغ ٣٥ كيلومتراً في الدقيقة فان الادمغة الالكترونية تبطل ردود الفعل الطبيعية للربان ابتغاء السلامة.

واحدى المشاكل المقلقة كانت أن ضغط الهواء في السرعات فوق الصوتية كبير جداً بحيث يغلق المسارب في

(٣) Delta design

المحركات متسبباً في انسداد مجرى الهواء. وقد استنبط فنيو الكونكورد نظاماً من الالتواءات المعدنية المتحركة التي تتحكم بجريان الهواء الى مسارب المحركات.

وختاما في ٢ مارس (آذار) ١٩٦٩ حلق رئيس طياري الاختبار أندريه توركا في النموذج الاول للكونكورد(٤) ضابطاً السرعة على ٤٦٠ كيلومتراً في الساعة وعلى ارتفاع أدنى من ثلاثة آلاف متر. بعد هذه الرحلة البكر الناجحة ركب توركا وطيار الاختبار البريطاني بريان تروبشو النموذج الثاني المبني في فيلتن، وبدأا يقتحمان الاجواء حتى بلغا تدريجاً سرعات فوق الصوت وارتفاعات شاهقة.

وسميت الطائرة "كونكورد"(٥) وألحق باسمها حرف أخير هو «e» وهو أمر غير مألوف في الانكليزية.

حظر الهبوط – في الآن نفسه واجه الأمريكيون والسوفييت صعوبات في سباق أنظمة النقل الأسرع من الصوت. وتلاشى طموح شركة "بوينغ" الى الطائرات فوق الصوتية حين أوقف الكونغرس الأمريكي تمويل المشروع عام ١٩٧١. وواجهت الطائرة السوفييتية "توبوليف ١٤٤" سلسلة من الصعوبات الفنية وتحطم نموذجها في معرض باريس للطيران عام ١٩٧٣ مشيرة الى بداية نهاية المشروع السوفييتي.

وفيما سجل طيارو الكونكورد أكثر من خمسة آلاف ساعة اختبارية أي ما يفوق ثلاثة أضعاف الوقت الذي اختبرت فيه طائرة "بوينغ ٧٤٧" مضى المهندسون يشتغلون في حل العقد التقنية الأخيرة. وقد استمرت تكاليف التطوير متوائبة، كذلك الأسعار العالمية لوقود الطائرات. وبدأت جوقة من النقاد تضج بالشكوى وبأن الكونكورد ستكون الاخفاق التجاري الاكثر اثارة في التاريخ.

وفي نهاية المطاف، يوم ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦، قامت طائرتا كونكورد برحلتين متزامنتين، واحدة من باريس الى ريو دو جانيرو بقيادة القبطان بيار شانوان من "آر فرانس"، والثانية من لندن الى البحرين بقيادة القبطان نورمان تود من الخطوط الجوية البريطانية. ويصرح تود: "أذكر ضغطا رهيباً في ركن الطيار. لم يطر الناس في طائرة أسرع من الصوت قبلا، وهم يودون أن يشاهدوا ما يجري. كان من الصعب أن نركز تفكيرنا في العمل، لكننا فعلنا... ووصلنا."

هاتان الرحلتان الاوليان أودتا الى عقبات أخرى، فقد رفضت سلطات الطيران المدني في نيويورك ونيوجرزي منح الكونكورد حقوق الهبوط في مطار جون ف. كينيدي الدولي، معربة عن معارضة واسعة لمزيد من الضجيج. لكن محكمة اتحادية في نيويورك رفعت الحظر في خريف ١٩٧٧، وبدأت الكونكورد تسيير رحلات منتظمة الى نيويورك.

ومع ذلك فان اكلاف الوقود المتزايدة تعني أن ليس في وسع فرنسا وبريطانيا استرداد استثمارهما المشترك البالغ ملياري جنيه استرليني (نحو مليارين

---

(٤) Concorde prototype 001

(٥) Concorde

و٢٨٦ ألف دولار) بزيادة مبيعات طائرات الكونكورد.

وبالفعل فان رحلات الكونكورد الى مدينتي نيويورك وواشنطن ومنهما - وميامي لاحقا - كانت مربحة. وكل الرحلات الاخرى انطوت على خسائر مما استلزم وقفها.

- غير أن الجمهور عشق الكونكورد من فوره. ومهدت التجربة السبيل لاقامة اتحاد صناعي أوروبي اكثر اتساعاً مع ألمانيا الغربية واسبانيا وبلجيكا وهولندا، يهدف إلى بناء طائرات "آرباص" التجارية النفاثة.

وساهمت الكونكورد أيضاً في تقوية الروابط التي مكنت أوروبا من اطلاق برنامج صاروخ "آريان" وتطوير مختبر الفضاء الأوروبي وصنع سفينة فضائية لاستكشاف المذنب "هالي". ونتيجة ذلك غدت القارة الاوروبية اليوم قوة عظمى في مجال الأقمار الاصطناعية التجارية.

والى ذلك بات "الفيل الابيض" ملهماً لعدة مشاريع للقرن الحادي والعشرين. وقد أنجزت "آيروسبسيال" الفرنسية دراسة لطائرة "ابنة الكونكورد" التي تقل ضعفي عدد الركاب وتطير بسرعة ٣،٢ ماك وهي أكثر اقتصاداً في الوقود. كما خصصت الحكومة البريطانية ستة ملايين جنيه استرليني (نحو ٨،٦ ملايين دولار) لصناعة طائرة فضائية سمتها "هوتول"، وهي كلمة أخذت حروفها من أوائل كلمات انكليزية تعني الاقلاع والهبوط الافقيين(٦).

ازاء هذه الطموحات المتنامية تدخل الكونكورد الاصيلة عقدها الثاني في الخدمة، آملة التحليق مباشرة إلى القرن الحادي والعشرين.

لقد أبانت اختبارات الاجهاد المعادلة لعشرين ألف رحلة أن الكونكورد لم تشارف سن الكهولة بعد، وهي ما زالت تجارياً تقدم دلالات على تحسنها بمرور السنين. ففي العام ١٩٨٥ حققت "آر فرانس" أرباحاً من الكونكورد بلغت ٨٠ مليون فرنك فرنسي (نحو ١٢ مليون دولار) وربحت الخطوط الجوية البريطانية أكثر من ٢٠ مليون جنيه استرليني (نحو ٢٩ مليون دولار).

ونتيجة النزهة الطائرة لزبائن ايان ماكاولي كثر تأجير طائرات الكونكورد وانتشر كالفطر مما زاد الارباح السنوية عشرة في المئة. ويعرض البريطانيون والفرنسيون اليوم رحلات سياحية على متن الكونكورد الى مصر تدوم يوماً واحداً لمشاهدة الاهرام، ورحلة ليلية إلى موسكو لحضور حفلة باليه البولشوي. وبين ٥ و٧ ابريل (نيسان) ١٩٨٦ نظمت رحلة فلكية خاصة لمشاهدة المذنب "هالي".

ومـا زال رؤساء فـرنسا يؤثـرون الكونكورد لاضفاء عنصر اثـارة على سفراتهم في زياراتهم الدولية.

وفي الذكرى الخامسة والثمانين لمولد الملكة الام في بريطانيا ماذا كانت الهدية الوحيدة المشرّفة لمناسبة ملكية كهذه؟

انها طبعاً رحلة على جناحي سندريلا الفضاء: الكونكورد.

دونالد وديانا سترتزل ■

(٦) Horizontal takeoff and landing «HOTOL»

آذان الثلاجة ولسان السيارة

كثر الكلام عن كائنات غير أرضية تزور كوكبنا. لكنني لم أولِ الأمر يوماً الكثير من الاهتمام. غير أنني مقتنع بأننا محاطون بأشياء رهيفة الحس من صنع أيدينا، همّها الوحيد مضايقة الفرد وفي النهاية تحطيم المجتمع.

دعوني أعطيكم مثلاً. قبل سنتين وصلني مبلغ ٦٠٠ دولار كحصة من أرباح شركة التأمين. فجلست وزوجتي إلى طاولة المطبخ نناقش أمر استثمار تلك الثروة الهائلة. وقد أدركت اليوم أن الثلاجة كانت تتنصت إلى حديثنا. ففي اليوم التالي انتابها سعر. واخبرنا عامل الصيانة أنه تلزمنا ثلاجة جديدة... سعرها ٦٠٠ دولار.

وبعد فترة وجيزة حظينا بمبلغ اعادته إلينا مصلحة الضرائب ويكفي لتمويل عطلة في المكسيك.

وهمست في أذن زوجتي: "لدي ما أقوله لك... على انفراد!"

فاقترحت علي: "ما رأيك في غرفة المكتب؟"

وتذكّرت أن جهاز التلفزيون الملون موجود هناك فأجبتها: "كلّا، لنخرج من المنزل."

وأريتها الحوالة ونحن واقفان في الدرب التي تفصل منزلنا عن الطريق العامة. فتعانقنا مبتهجين وغير عابئين بالمطر المنهمر.

وكانت سيارتي متوقفة على مرمى صوت. ولكن لم تراودني في ذلك الحين أي فكرة. وفي اليوم التالي انطلقت إلى محطة القطار، فشرعت السيارة تصدر أصواتاً رهيبة وكأن الذعر أصابها.

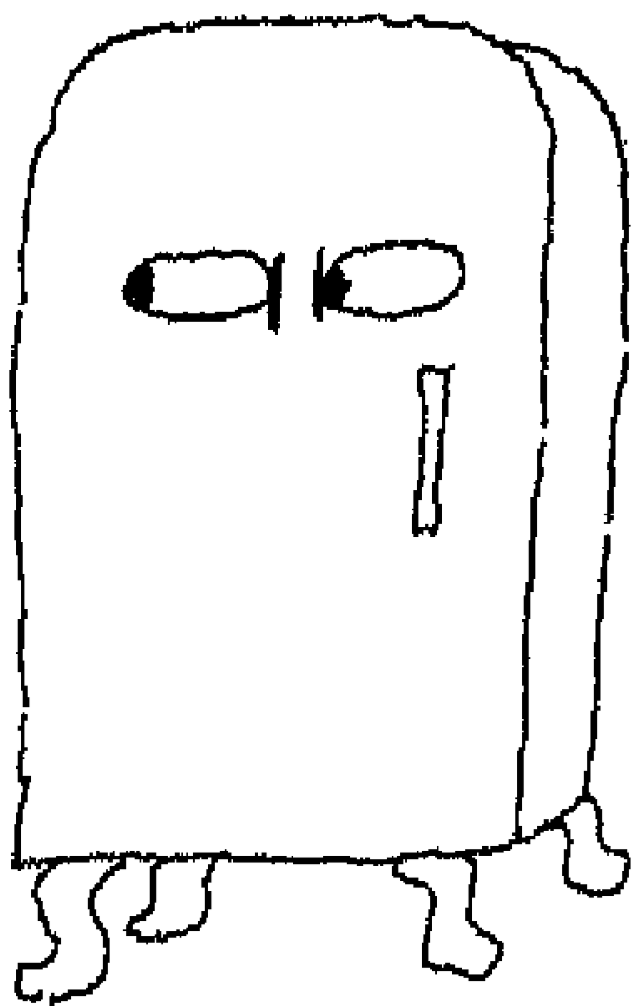
وقال لي الميكانيكي: "لقد تلف المحرّك، ويلزمك ألف دولار لابداله."

أكد لي تعطّل السيارة أنني على شك الاطلاع على سر عظيم. واكتشفت أنه في كل مرّة "وُجد" لنا مبلغ من المال على مدى السنين العشر الماضية، عقبته لا محالة مصاريف مماثلة لابدال سخانة ماء أو موقد أو جهاز تلفزيون.

أما اليوم فتراني أغدق المديح على جميع الاجهزة الميكانيكية في منزلنا. ولا أذكر المكافآت المالية أمامها البتة.

ولكن اذا نُشر هذا المقال وتلقيت أجراً عليه، فان الآلة الكاتبة ستتعطل حتماً. ستعلم بالامر.

جون وو ■



Condensed from New York Times (July 13, '80) © 1980 by The New York Times Co., New York, N.Y.

هذا الرسام العبقري هو مبتكر الدراجة الهوائية والدبابة والغواصة والطائرة المروحية وسواها كثير

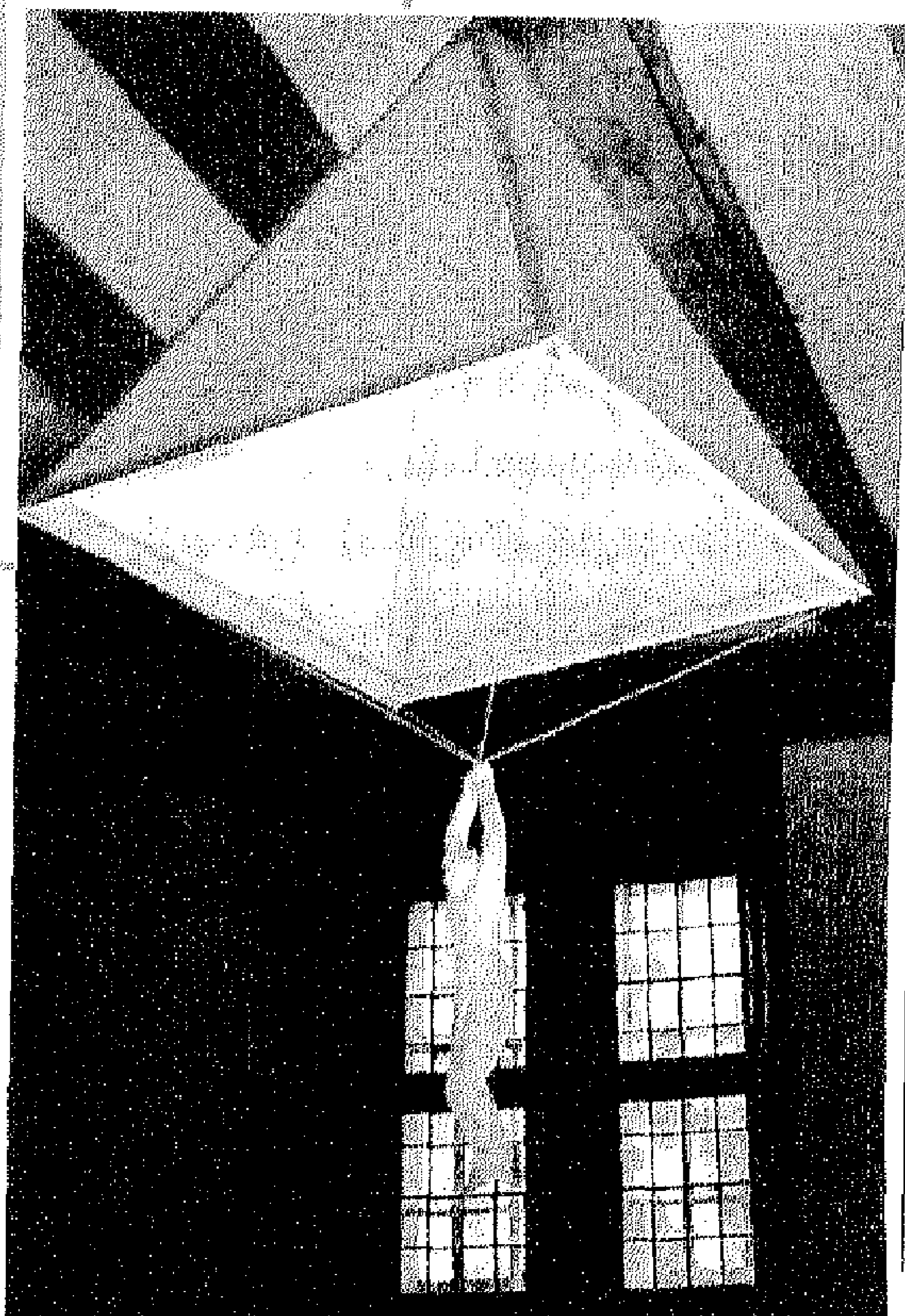
هل تعلم من اخترع المفتاح الانكليزي (الرنش)؟ وعداد المسافات؟ وأول من فكّر في الفانوس السحري الذي يعتبر سلفاً متقدماً للعارض السينمائي (البروجكتور)؟ ومن ابتكر ناقل الحركة؟ وعداد سرعة الهواء؟ لجميع هذه الأسئلة وكثير غيرها جواب واحد: ليوناردو دافنشي، رسام فلورنسا العظيم في عصر النهضة ومبدع "الموناليزا" وأحد أشهر المهندسين العلماء في كل العصور.

ولك أن تتحقق من ذلك لدى زيارتك متحف "كلو – لوسيه" كما يفعل ٧٠ ألف شخص يقصدون بلدة أمبواز في فرنسا كل عام. والمتحف بناء مرمّم مبنيّ بالقرميد الوردي والحجر الابيض عاش فيه ليوناردو أواخر أيام حياته ومات فيه يوم ٢ يونيو (أيار) ١٥١٩. وقد ورد في لافتات ملصقة على جدران أمبواز: "في كلو – لوسيه اخترع ليوناردو دافنشي العام ٢٠٠٠" وعندما تدخل غرف الطبقة الارضية بسقوفها الواطئة ودعاماتها التي تعود الى ٥٠٠ سنة خلت تتيقّن أن ذلك ليس مجرد شعار فارغ. هنا يمكنك ان تتفحّص النماذج المصنوعة طبقاً للتصاميم التي وضعها ليوناردو في مفكراته.

في أوائل العام ١٩٦٠ تولى مهندسو شركة «IBM» في فرنسا صنع هذه النماذج بمواد كان في امكان ليوناردو ذاته أن يستعملها. وكان ذلك عملا دقيقاً وسهلا نسبياً لوفرة التفاصيل التي وضعها ليوناردو. وبعد عرضها في فرنسا وفي معظم المدن العالمية الكبرى استقرّت النماذج الاربعون نهائياً في متحف كلو – لوسيه. ويفتح المتحف طوال السنة ما عدا شهر يناير (كانون الثاني). والى أعمال ليوناردو يتسنّى للزائر أن يشاهد

Illustrations: F. Saint-Bris

الى اليسار، رسم تخطيطي لمظله هبوط.
تحت، نمودج صنع بحسب الرسم.



غرفة عمله والمطبخ والحجرة الصغيرة التي انجز فيها تلاميذه، بموجب توجيهاته، ثلاث لوحات جصية شهيرة.

التحرر من القيود – من ضمن النماذج المعروضة يبرز نموذج الطائرة المروحية الذي يمكن اعتباره السلف الرائد للمروحية العصرية، فيشهد على عبقرية ليوناردو الخلاّقة. بذلك يكون ليوناردو سبق عصره بأربعة قرون. ونموذج المروحيّة الذي يبلغ علوه ٥٠ سنتيمتراً صنع من الخشب والقماش، ومقوّماته لولب هوائي يستمد قوته من أذرع واصلة (كرنكات) تديره عمودياً عبر مجموعة من التروس(١) ويحرّكها الربّان. وتولّد سرعة دوران اللولب، نظرياً قوّةً تكفي لرفع الآلة في الهواء ومعها منصّة خشبيّة للركاب.

ويبدو أن ليوناردو لم يقم بأي خطوة في هذا الشأن زيادة على التصاميم المفصّلة التي وضعها للجهاز في مفكّرته. ولكن في العام ١٩٠١ صنع صبي في الثانية عشرة من عمره في مدينة كييف في أوكرانيا (الاتحاد السوفييتي) نموذجاً يستمدّ قوته من رباط مطاطي، مستوحى من تصميم غريب أخذ عن صورة طبق الاصل لمذكرات ليوناردو أطلعته عليها والدته العالمة الفيزيائية. وعندما أطلق النموذج ارتفع بضعة سنتيمترات قبل أن يسقط. كان ذلك الولد إيغور سيكورسكي الذي صمم بعد ٣٨ سنة، وكان أصبح مهندساً ومواطناً أمريكياً، طراز المروحيّة «VS — 300» التي تعتبر السلف لكل مروحيّة تحلق اليوم في الجو.

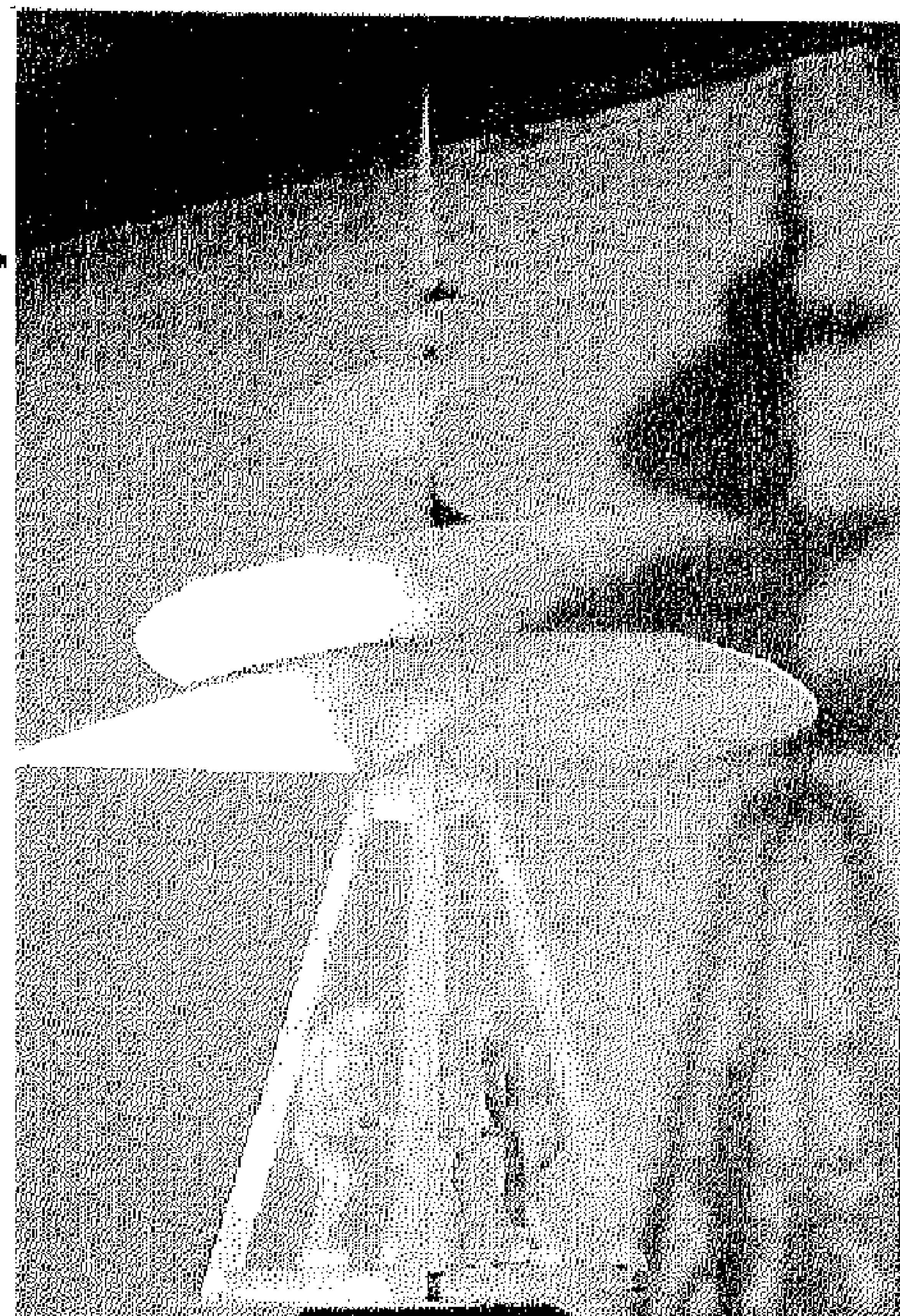
تطلّع ليوناردو الى تحرير الانسان من القيود التي تشدّه الى الارض. لذلك نرى في متحف كلو – لوسيه نموذجاً صادقاً يبلغ طوله متراً، لطائرة مجهّزة بجناحين ثابتين. وتشغّل بقوة العضلات. ويشاهد الربان مستلقياً على بطنه وقدماه في الركاب. والغاية هي خفق الجناحين بتحريك الذراعين والرجلين، ثم يعود الجناحان الى وضعهما الاول بقوة رفّاصات. ومع انه لم يتّم اختراع الطائرة الا بعد اختراع المحرّك الداخليّ الاحتراق فان ليوناردو كان السبّاق الى تصور الطيران البشري على نحو علمي. وكانت تصاميم طائرته تتويجاً لسنوات من الجهد صرفها في دراسة كل ما يتعلق بهندسة أجنحة الطيور وقدرتها على الطيران.

هل حاول ليوناردو أن يصنع نموذجاً لتصاميم طائراته؟ الارجح لا. أفلا ترانا نبالغ في الاساءة الى تلك العبقرية الخالدة اذا افترضنا أن صاحبها لم يكن مدركاً مدى الصعوبة التي تفصل النظرية المجرّدة عن امكان تحقيقها عملياً؟

دبابة وقذيفة – في غرفة مجاورة في المتحف يتدلّى من السقف نموذج من الخشب والقماش لمظلّة هبوط من تصميم ليوناردو تعتبر السلف المتقدّم للمظلّة العصرية. وهي مخروطية الشكل بينما تبدو المظلة الحديثة كمظلة عادية، لكن مبدأ تصميمهما واحد إنما أضيفت الى تصميم ليوناردو أداة في أعلى الحبال يمكن بواسطتها ضبط مسار الهبوط.

وقد اتبع مهندسو البحرية كذلك خطى

(١) Gears



حلم ليوناردو بهذا الشراع المدوّم، وهو السلف الرائد للمروحية.
والنموذج تعبير صادق عن تصوره للطائرة المروحية.

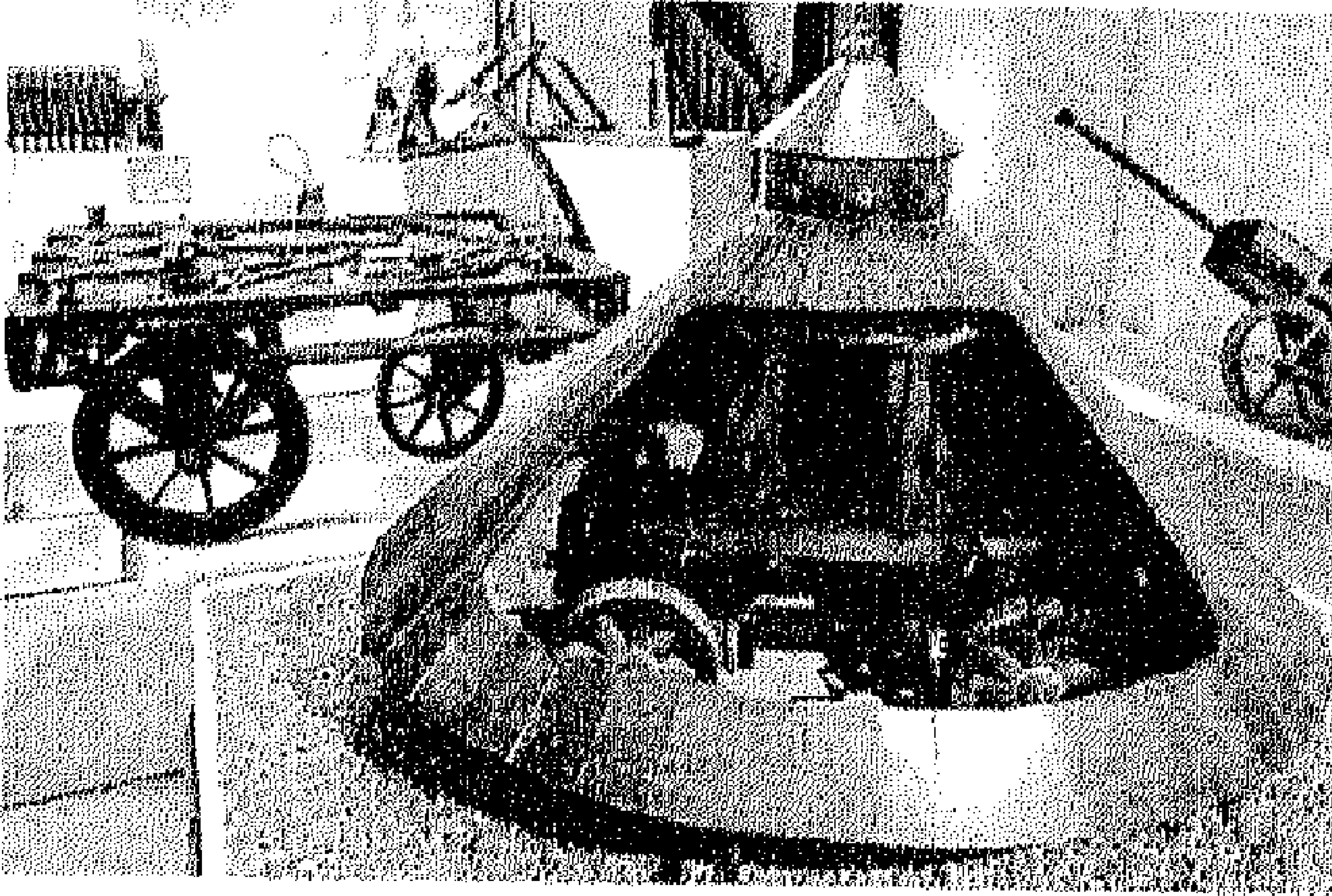
ليوناردو، اذ تُجهّز السفن الحديثة، حالياً بقيدوم(٢) بَصَلي الشكل للانزلاق بسهولة في الماء، وهذا التصميم هو من بنات أفكار ليوناردو. وتحت المقطع العَرضي الخشبي البالغ علوه ٤٠ سنتيمتراً لهيكل سفينة من تصميم ليوناردو، تجد صورة فوتوغرافية لباخرة ايطالية عابرة للمحيطات سمِّيت توافقاً "ليوناردو دافنشي" وأُنزلت الى البحر عام ١٩٦٠ ولها قيدوم شبيه الى حد مدهش بالتصميم الأصيل الذي وضعه المخترع العظيم.

وتميّز ليوناردو بحدس صائب في

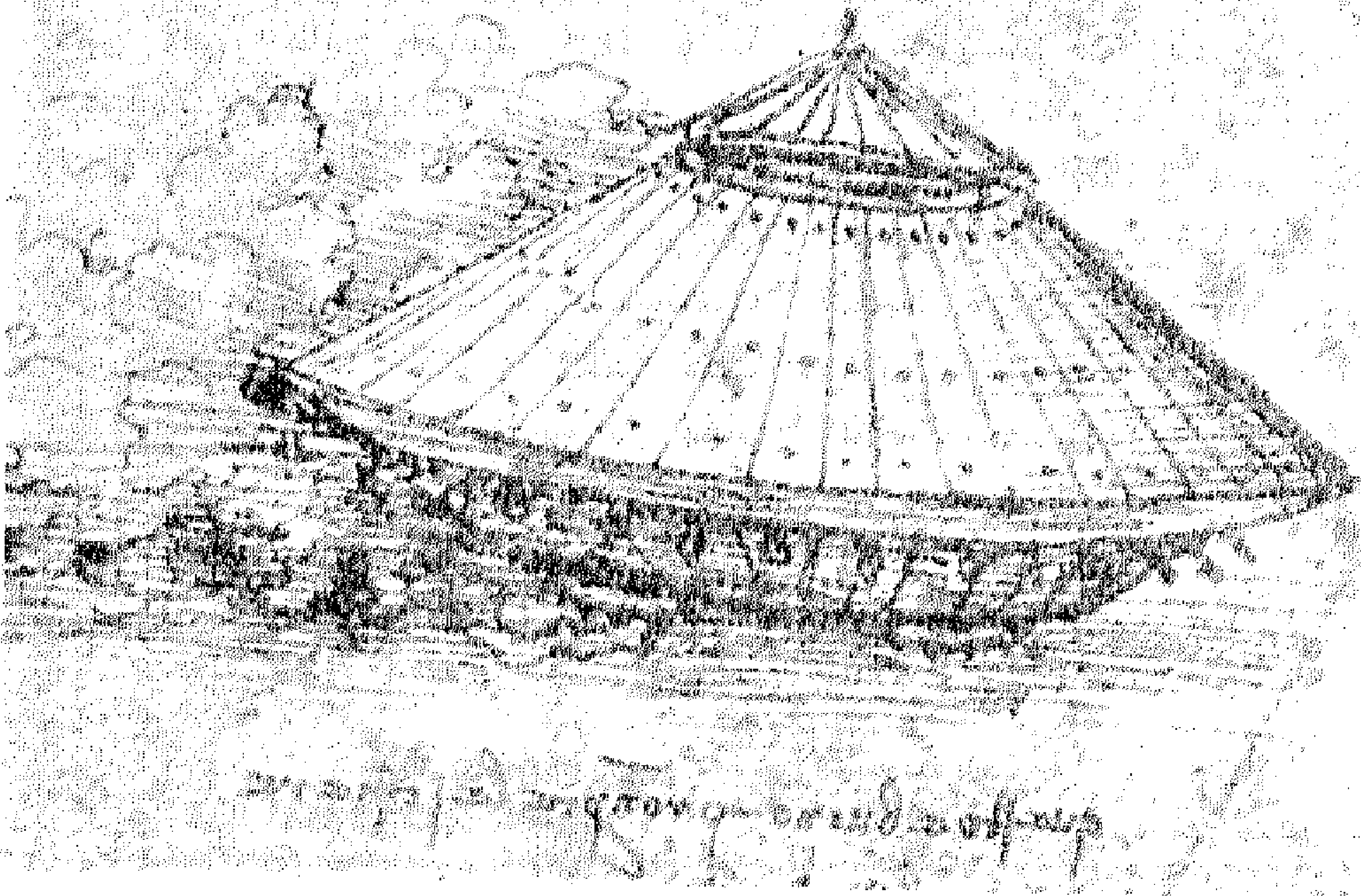
(٢) القيدوم هو مقدم السفينة أو الطائرة.

استنباط التصاميم لمعدّات تصلح للحروب الحديثة. ففي العام ١٤٨٢ كتب الى دوق ميلانو لودوفيكو سفورزا الذي أصبح راعيه في ما بعد: "سأبني لك عربات مصفّحة آمنة لا يستطيع أحد مهاجمتها. ومهما يكن عدد الجنود المهاجمين كبيراً فإن منظرها سيبعث الرعب في قلوبهم ويبدد شملهم." وقد رُفض عرضه لا لسبب سوى أن معاهدة سلام أبرمت في لومبارديا بايطاليا.

و"العربة" التي ابتكرها ليوناردو تتطابق أوصافها مع أوصاف الدبابات الحربية الحديثة، كما يبيّن النموذج المعروض في متحف كلو - لوسيه ويبلغ ارتفاعه ٥٠ سنتيمتراً. وهو عبارة عن مخروط اسطوانيّ خشبي مكسوّ بصفائح معدنية واقية ويعلوه برج صغير للمراقبة. وقد ارتأى ليوناردو أن يتم تحريك العجلات بواسطة شبكة من الاسطوانات والتروس.



قبل خمسة قرون ابتكر ليوناردو هذا السلف الرائد للدبابة المصفحة الحديثة.



وفي مذكراته أيضاً رسم لقذيفة مجهّزة بأداة للتوازن تنفجر لدى اصطدامها بالهدف، أي انها القذيفة الحديثة لمدفع الهاون. وتحدث ليوناردو أيضاً عن بناء غوّاصة، لكنه لم يسجّل التقنية التي صممها لذلك.

مدن المستقبل - هل كانت لليوناردو نظرة تشاؤمية الى المستقبل جعلته لا يفكّر إلا في الآلات الحربية؟ كلّا على الاطلاق، لأنه وضع تصاميم جسور تجر على عجلات من مكان الى آخر، وعربة آلية تحركها رفاصات تشتد وترتخي فتحرك عجلتي سَوْق كبيرتين بواسطة مجموعة معقّدة من التروس. ومما لا يصدّق أن العربة مزوّدة ترساً تفاضلياً(٣) يسمح للعجلتين بالدوران بسرعة متفاوتة عند المنحنيات في الطريق. وهذه التحسينات في صناعة السيارات لم تُطوّر إلا في أواخر القرن التاسع عشر.

ان غالبية اختراعات ليوناردو لا تحتاج حتى الى نماذج لتثبت أنها قابلة للتحقيق عملياً. وهنالك رسم لمركب ذي عجلة بدواسات يُقاد بواسطة ذراع واصلة (كرنك) وكأنه نسخة مطابقة للمراكب التي هي مشاهد مألوفة على الشواطىء الأوروبية. وهناك اختراع لافت كتب تفاصيله أحد تلاميذ ليوناردو في دفتر ملاحظاته (وهي ليست بالأسلوب المعروف للمعلم). تتألف الأداة من عجلتين موصولتين بسلسلة الى دوّاستين، ومقبضين ومقعد. انها باختصار دراجة هوائية.

ونظراً الى شمولية عبقرية ليوناردو فانه يعتبر أول من تكهن بعصر الصناعة. فالرسوم المأخوذة من كتب ملاحظاته والمعروضة في المتحف تشير الى طريقته المقترحة لبناء عشر مدن في ايطاليا تضم كل منها عشرة آلاف مسكن (وهو عدد مدهش قياساً على العصر). وتبنى هذه المدن بجانب البحر أو النهر لكي يتسنّى مدّ أنابيب المجاري الى الماء (لم تكن الانابيب معروفة في حينه). وكانت الاقذار نكبة للمدن الايطالية آنذاك. وقد رأى في فكره شوارع تتقاطع بزوايا قائمة على مستويات مختلفة (شائعة حالياً في المشاريع الهندسية المقترحة لبناء مدن المستقبل). كذلك تخيل طريقة فاعلة للتخلّص من الدخان. وكانت فكرة تجفيف مستنقعات بونتين بالقرب من روما مشروعاً لليوناردو لم يتحقق الا بعدما تسلّم موسوليني السلطة؟

واذ لم تنشر ملاحظات ليوناردو الا في أواخر القرن التاسع عشر، بعدما اخترع العلماء كل شيء ذي طابع ثوري ورد فيها، فقد كان لليوناردو تأثير ضئيل في تاريخ التكنولوجيا. ولكن عندما يغادر الزائر متحف كلو - لوسيه الرائع لا يسعه الا أن يعجب كيف وجد هذا العبقري وقتاً للرسم.

جان - ماري جافرون ■

(٣) Differential



غيّر أفكارك تغيّر عالمك. نورمان فنسنت بيل

قصة قصيرة

جين ومدافع الأسيال

ترى كيف أصبحت الارملة الريفية محط انظار أهالي المدينة؟

كانت السيدة تاور تتباهى بحفلات العشاء التي تقيمها، فلا تألو جهداً في سبيل التنسيق وتوفير التجانس بين ضيوفها وتحضير ما لذ وطاب من الطعام. وعلى أثر عودتي من الصين الى لندن دعتني الى منزلها المتأنق والمتألق والمؤثث عصرياً.

وبينما نحن نرتشف الشاي حددت موعداً لمأدبة عشاء وسألتني بمن أود أن أجتمع ثم أضافت: "لكن أمراً واحداً يقلقني، فاذا كانت جين فولر لا تزال هنا اضطررت الى تأجيل العشاء. فهي مشكلتي العظمى. إنها شقيقة المرحوم زوجي وقد تزوجت أحد أصحاب المصانع في جنوب البلاد. وهي أرملة منذ سنوات وعلى جانب كبير من اليسر والثراء."

– ولم هذا الامتعاض منها؟

"إنها زرية الملبس ريفية المظهر. وقد اعتادت أن تمضي عندي ثلاثة أسابيع أو أربعة كلما أتت الى لندن. فنجلس ههنا وتشرع هي في القراءة وحياكة الصوف والاغطية لأباريق الشاي."

– لكنه يخيل إلي ان امرأة بمثل لباقتك لا تصعب عليها معالجة وضع كهذا.

"لا سبيل لي الى ذلك. فأنا قريبتها الوحيدة التي ما زالت على قيد الحياة، وهي مخلصة لي ولها قلب كالذهب. صحيح انها تبعث في نفسي أشد السأم، لكني لا أدعها تفطن للامر.

وفي تلك اللحظة دخلت علينا جين فولر في احدى زياراتها. ورحت أضحك

في سري اذ تذكرت ان المزأتين ذهبنا الى المدرسة معاً. فالسيدة تاور امرأة وسيمة ترتدي أبهى حللها ولا تبدو أكبر بيوم واحد من الاعوام الاربعين التي تدعيها. أما السيدة فولر فتبدو في الخامسة والخمسين، وهي مديدة القامة تحدق اليك من خلف نظارتين واسعتين لهما إطار مذهب. وكان شعرها الرمادي الاملس مصففاً ببساطة بحيث ان مفرقه في وسط رأسها كشف جبهتها العريضة وأذنيها. أما فستانها الاسود الذي أكل الدهر عليه وشرب مدة ٤٥ سنة فلم يكن ليتناسب مع بهاء قاعة السيدة تاور وعظمتها.

ووقع نظر السيدة فولر على إبريق الشاي الفضي الذي كان من الطراز الجورجي وسألت: "ما الذي حل بغطاء الإبريق الذي أعطيتك إياه يا ماريون؟"

فأجابتها السيدة تاور بعفوية: "لقد احترق لسوء الحظ."

- لكن الغطاء السابق احترق هو أيضاً.

"أخشى أن تحسبينا مهملين."

فابتسمت السيدة فولر وقالت: "ما هم! يسرني أن أحوك لك غطاء آخر." وحافظت السيدة تاور على رباطة جأشها.



الخطيب

صباح اليوم التالي اتصلت بي السيدة تاور هاتفياً وبدت لي مرتفعة المعنويات إذ بادرتني: "لدي أخبار رائعة، جين سوف تتزوج."

- هذا هراء!

"إن خطيبها آت الليلة لتناول العشاء معنا. وأود لو تأتي أنت ايضاً. لقد قالت لي جين انه مهندس."

ولما وصلت كانت السيدة تاور بمفردها فبادرتني: "ما زالت جين تضع اللمسة الأخيرة على مظهرها. انها في حال من الهيجان النفسي. تزعم انه يعبدها. اسمه جيلبير."

- ترى كيف هو؟

"لا شك في أنه مديد القامة أصلع الرأس وصاحب بطن ضخم ووجه سمين أحمر وصوت هادر."

وعندما دخلت السيدة فولر قلت لها: "اسمحي لي بأن أهنئك."

- انتظر حتى ترى خطيبي الشاب.

فابتسمت السيدة تاور وقالت: "كم هو لطيف أن نسمعك تتكلمين عن خطيبك الشاب."

ولاحظت وميضاً في عينيها وراء النظارتين المضحكتين، وقالت لنسيبتها محذرة: "لا تنتظري رجلا مسناً!"

وكان ذلك الانذار الوحيد الذي أعطتنا إياه.

ودخل علينا جيلبير نابييه. كان شاباً ناحل القد أشقر الشعر أزرق العينين حليق الذقن أنيقاً نضراً نظيفاً لا يتعدى الرابعة والعشرين من عمره. وما إن رأى السيدة فولر حتى أشرق وجهه وتقدم نحوها ويداه ممدودتان. فأعطته يديها وعلى شفتيها ابتسامة رزينة ثم استدارت نحو شقيقة زوجها معرفة: "ها هو خطيبي الشاب يا ماريون."

وكم طاب لي أن أتأمل وجه السيدة تاور وما اعتراه للحظة من دهشة صعب عليها إخفاؤها. وخلال العشاء بدت لي مغتاظة حائرة غير قادرة على تقرير



ما اذا كان الاثنان يستخفان بها بمزحة سمجة، وقالت: "لا شك في أن بينكما بعض التباين في السن."

فأجابتها جين: "بيننا سبع وعشرون سنة. أهذا كثير في رأيك؟"

وكاد صبر السيدة تاور أن ينفد فسارعت الى نجدتها بما أوتيته من سبل وتوجهت الى جين: "لا بد من أنك منهمكة في شراء جهازك."

– كلا. الواقع انني أردت أن أشتري حاجاتي من مدينة ليفربول، لكن جيلبير لم يدعني أفعل. فهو يحب فرض آرائه، ويتمتع بذوق مرهف."

وامتقع وجه السيدة تاور تحت مستحضرات التجميل. واضافت جين: "سنسافر الى ايطاليا لقضاء شهر العسل. وفي طريقنا سنتوقف في باريس لأشتري ملابسي من هناك. سيكون الامر ممتعاً بالنسبة الى جيلبير، فهو لم يحظ من قبل بعطلة تتجاوز الاسبوعين."

فسألتها السيدة تاور ببرود: "ولم؟"

– المسكين لم يستطع أبداً تدبر مصاريف عطلة أطول.

وتأوهت السيدة تاور تأوهاً معبراً.

التحول المدهش

ما ان اصبحت السيدتان وحيدتين بعد انتهاء العشاء حتى انطلق شرر غيظ السيدة تاور: "أجننت يا جين؟ كيف تظنين انه متلهف الى الزواج بك؟"

– انني أسليه.

"انه معدم الحال وأنت ثرية. هل اعتراك الخبل فعميت عن انه يتزوجك من أجل مالك؟ ثم أين كرامتك؟ لم لا تتزوجين رجلا يناسبك سناً؟"

وبقيت جين هادئة الملامح رابطة الجأش وقالت: "لقد تحدثنا في الامر ملياً، وأظن أنني سأسعده كثيراً. ثم اننا قررنا انه اذا أراد أحدنا استرجاع حريته فلن يقف الآخر عائقاً في سبيله."

ورفعت السيدة تاور يديها بهلع.

وتم عقد القران. وكنت والسيدة تاور شاهدين. وبعدما شهدنا رحيلهما لقضاء شهر العسل أوصلت السيدة تاور في سيارتي الى منزلها. وفي الطريق سألتني: "كم يدوم زواجهما في اعتقادك؟ ستة أشهر؟"

– لنأمل أفضل من ذلك.

"لا تكن سخيفاً. فهذا محال. انها عجوز شمطاء مملة."

– أأكيدة أنت من أنها مملة؟ صحيح انها لا تتكلم كثيراً، لكنها اذا قالت شيئاً أتى في موضعه.

"لم أسمعها يوماً تسرد نكتة."

ولما عاد جيلبير وجين من شهر العسل كنت في الشرق الأقصى حيث أمضيت نحو سنتين. وبعيد أسبوع من عودتي الى لندن دعيت الى حفلة عشاء عامرة. وكانت مضيفتنا تهوى المشاهير فدعت جمعاً من الشخصيات اللامعة قلما ألفناه. ولما وصلت متأخراً وجدت نفسي جالساً الى جانب السيدة تاور. وعندما سألتها عن زواج جين قالت لي باشمئزاز: "يبدو انه زواج ناجح. لقد أصبحت جين شخصية مرموقة وهي بيننا الليلة."

فصعقت للخبر ورحت أحدق الى المدعوين الجالسين الى المائدة. ولم أصدق أن مضيفتنا دعت الى حفلة عشاء كهذه زوجة مهندس مغمور، مسنة وزرية الملبس. وفطنت السيدة تاور الى حيرتي فابتسمت بفتور وقالت: "أنظر الى يسار مضيفنا."

فنظرت. والغريب أن السيدة التي أشارت اليها استرعت انتباهي لحظة دخولي القاعة لمظهرها الأخاذ الذي كاد أن يكون من نسج الخيال. وأظن أنني لمحت وميضاً في عينيها وكأنها عرفتني.

لم تكن شابة، فشعرها رمادي. ومع أن وجهها لم يتسم تماماً بصفات الجمال فقد تحلى بقسمات غير مصطنعة يطيب النظر إليها. أما فستانها فكان مدهشاً وغير مألوف وقد خيط بقماش أسود وأصفر فبدا كأنه لباس تنكري لو ارتدته أي امرأة سواها لبدا عليها فاضحاً. أما هي فلم تكن لتظهر فيه مظهر المتكلف أو المتباهي. وكانت تضع المونوكل(★) وقد ربطته بشريطة سوداء عريضة.

فسألت السيدة تاور وقد بهرني ما رأيت: "أهذه شقيقة زوجك؟"

فأجابتني ببرود: "هذه جين نابييه."

كانت جين تتكلم ومن حولها يصغون اليها بارهاف. وما لبث الكل أن انطلق في ضحكة صاخبة. فاستدار أحد السياسيين المعروفين نحو السيدة تاور وقال لها: "لقد أتتنا شقيقة زوجك بنكتة أخرى. إنها لا تقدر بثمن، أليس كذلك؟" فتبسمت السيدة تاور.

وسألتها: "بالله عليك، هلا شرحت لي الأمر؟"

يبدو ان جيلبير كان يملك موهبة تصميم الملابس. وفي بداية شهر العسل ذهب بزوجته الى عدد من الخياطين الباريسيين وأقنعها بارتداء فساتين من تصميمه. وكانت الفساتين مختلفة تماماً عن كل ما ارتدته جين في السابق، لكنها لاءمت قوامها الممشوق.

(★) نظارة ذات زجاجة واحدة.

وقرر جيلبير أن النظارات رهيبة المظهر. وجاءه إلهام فأعلن لها: "عليك أن تضعي المونوكل."

وفي ايطاليا ألفت جين مظهرها المتغير، بل وجدت انه يعجبها. فالناس أصبحوا يستديرون ليحدقوا اليها بعدما كانت تمر من دون أن يلحظها أحد.

وعندما مر العروسان في فرنسا في طريق العودة الى الوطن، أخذ جيلبير زوجته الى أشهر مزين للشعر في العالم. فخرجت من محله بشعر مجعد رمادي أنيق.

وقلت للسيدة تاور: "لكن كل هذا لا يفسر وجود جين هنا الليلة وسط هذا اللفيف من الوزراء والمشاهير."

فأجابتني السيدة تاور: "ان جين تتمتع بروح الدعابة. ففي غضون شهر واحد من عودتها من شهر العسل أصبحت حدثاً مثيراً يتكلم عنه الجميع. وان كنت هنا الليلة فليس لان معرفة وطيدة تربطني بمضيفتنا، بل لانني قريبة جين."

مسكينة السيدة تاور. فالموقف يثير الغيظ حقاً. وأحسست أنها تستحق التعاطف فقلت لها: "الناس لا يستطيعون أبداً مقاومة أولئك الذين يضحكونهم."

- أما أنا فلم تحملني يوماً على الضحك.

زواج جين والاميرال

بعد تلك الليلة زادت لقاءاتي وجين، فكنت أصادفها تارة في منزلها وأطواراً في مآدب الغداء والعشاء. ورحت أبحث عن سر موهبتها المميزة.

وبقيت السيدة تاور مصممة على رأيها في استحالة دوام زواج جين وجيلبير. لكن الامور لم تسر في المنوال الذي توقعته. وفي أحد الايام تلقيت رسالة عاجلة منها تحثني على القدوم الى منزلها. وما ان وطئت قدماي عتبته حتى زفت الي النبأ: "ستطلق جين من جيلبير. وهي تنوي أن تتزوج السير ردجينالد فروبيشر وهو أميرال في الاسطول."

فجأة فتح الباب ودخلت علينا جين. وكانت كعادتها رقيقة وهادئة. وتوجهت الى السيدة تاور قائلة: "ألا تذكرين انك نصحتني قبل أن أتزوج جيلبير أن اقترن برجل يناسبني سناً؟ لقد عملت بنصحيتك، فالاميرال في الثالثة والخمسين."

قالت السيدة تاور ساخطة: "لكنك مدينة لجيلبير بكل ما أنت عليه اليوم."

- لقد وعدني بأنه لن يكف عن تصميم أزيائي.

"كيف يمكنك أن تكوني قاسية القلب الى هذا الحد؟"

- لكنني لم أهم يوماً في حب جيلبير. ولطالما صارحته بذلك. أظن انه حان لزواجنا أن ينتهي. لقد طال أمده. فليس للشباب ما يحادثونك فيه.

وابتسمت لنا بسحر قبل ان تستأنف كلامها: "لن يغيب جيلبير عن ناظري، لقد سويت الأمر مع ردجينالد. فله ابنة أخ تناسب جيلبير تماماً. ولن يدهشني ابداً أن يغرم أحدهما بالآخر."

وأخذت السيدة تاور نفساً عميقاً ثم قالت: "وهل اتفقت مع الاميرال على ألا يضع الواحد منكما عائقاً في سبيل الآخر اذا أراد استرجاع حريته؟"

فأجابتها جين بكل هدوء: "لقد فتحت هذا الحديث، لكن الاميرال يقول انه يميز الجيد عندما يصادفه وانه لا يريدني أن أتزوج سواه. أما اذا أراد أحدهم أن يتزوجني فلديه ثمانية مدافع من عيار ١٢ انشاً على متن بارجته، وسيكون مستعداً للبحث في الموضوع على المرمى القصير." ورمقتنا بنظرة من وراء المونوكل فلم أتمالك الضحك على رغم خشيتي حنق السيدة تاور.

وقالت السيدة تاور: "جين، لم أفهم قط لماذا يضحك الناس لما تقولينه."

فابتسمت جين وأجابت: "لم أظن يوماً أنني أقول ما يضحك."

وسألتها أنا: "أتمنى لو تفشين لي سر نجاحك."

فاستدارت نحوي وفي عينيها تلك النظرة المألوفة التي أصبحت أعرفها جيداً وقالت: "عندما بدأ الناس يضحكون لما أقوله كنت أكثر المندهشين للامر. وحسبت أولا أنهم يسخرون من ملابسي أو من تصفيفة شعري أو من المونوكل. وما لبثت أن اكتشفت أنهم يضحكون لانني أقول الحقيقة. وقد كان ذلك خارجاً عما ألفوه الى حد انهم ظنوه مثيراً للضحك."

وسألتها السيدة تاور: "ولم أنا الوحيدة التي لا تعتبر ما تقولينه مضحكاً؟"

فاجابتها جين بلطفها الطيب: "ربما لانك لا تدركين الحقيقة متى ترينها يا عزيزتي ماريون."

وليم سامرست موم ■

أديب بريطاني تخرج في الطب لكنه عمل في الادب بعد نجاح روايته الاولى "ليزا من لامبث" (Liza of Lambeth) عام ١٨٩٧. أما رائعته الاولى "عبودية الانسان" (of Human Bondage) فنشرت إبان الحرب العالمية الاولى. وقد أصبح آنذاك كاتب روايات مسرحية وخدم كعميل سري. وتوفي في فرنسا عام ١٩٦٥ وهو في الحادية والتسعين من عمره مخلفاً تسع مجموعات من القصص القصيرة.

حاصرهم الرّعدُ فركبوا العاصفة

انفتحت المظلات في الوقت المناسب، ولكن بدلا من أن يهبطوا ارتفع المظليون الى أكثر من ١٤٥٠٠ قدم في مجازفة أنذرت بكارثة

كانت مذهلة العروض التي اعدّت لدورة ألعاب الكومنولث الثانية عشرة التي أقيمت في بريسبين شرق أوستراليا خلال سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الاول) من العام ١٩٨٢. لكنني كنت واثقاً بأن شيئاً لن يضاهي العمل البطولي الذي أعدّه نادي المظلات الذي أنتمي اليه، وهو عبارة عن قفزة يحققها تسعة أشخاص يهبطون في مدرّج الملكة اليزابيث الثانية في حفلة الافتتاح.

وتناولت الخطة تسعة أعضاء في النادي قسّموا ثلاثة فرق في كل منها ثلاثة مظليين، على أن يقفزوا من علو ٦٠٠٠ قدم(★). وكان على الفريق الأول أن يفتح مظلاته بعد اثنتي عشرة ثانية من هبوطه الحر، والفريق الثاني بعد سبع ثوان والفريق الثالث الذي كنت في عداده كان مقرراً ان يفتح مظلاته مباشرة بعد القفز من الطائرة. وفي الجو يعود المظليون التسعة الى التجمع بحيث ينزل أعضاء كل فريق معاً، الواحد منهم فوق الآخر، في تشكيل يعرف باسم "الطائرة الثلاثية الاجنحة." وعلى ارتفاع عشرة أقدام نفك ارتباطنا ونهبط في أقرب نقطة من هدفنا.

وفي ٢٦ سبتمبر (أيلول ١٩٨٢)، وهو اليوم الأخير للتمرن على القفزة، وقبل ثلاثة أيام من ذكرى ميلادي التاسعة

(★) يقضي اتفاق دولي بأن تكون القدم مقياس الارتفاع في الطيران. والقدم حوالى ٣٠ سنتيمتراً

Illustration: Mike Wilkin



والعشرين، كنت في طائرة "سيسنا ١٨٥" ذات محرك واحد ومعي زملائي المظليون. ونظرت من عل الى المدرّج حيث تجمع ٦٥٠٠ تلميذ صغير يحملون الواحاً من الكرتون ويبدلون مشهداً حياً لخريطة أوستراليا الى علم كبير للبلاد. وكان علينا أن نقفز حالما يكتمل مشهد العلم. بعدئذ يقلب التلاميذ ألواحهم ليشكلوا هدفا لنا تتوسطه رقعة معشبة يبلغ قطرها ٣٠ متراً.

عرف فريقنا باسم "فريق رامبلرز للهبوط الاستعراضي." وكنا مظليين متمرسين وقد حقّق كل منا أكثر من ١٢٠٠ قفزة. ولهذا الفريق الذي شكل في العام ١٩٦٧، مهبطه الخاص وناديه في توغولاوا التي تقع على بعد حوالى ٨٠ كيلومتراً تقريباً شمال غرب بريسبين.

الرجل الاعلى في التركيبة الثلاثية الأجنحة يتحكّم بالاتجاه. وأوكلت المهمة في فريقنا الى الكيميائي بيتر نوبس (٣٤ عاماً) وهو مدير في نادي رامبلرز. أمّا ستيوارت ماكني (٣٢ عاماً) وهو الرجل الادنى في التر·بة فهو متعدد المهن. وكان رجع لتوّه من عمليّة جمع قطيع من الجمال لتصوير فيلم سينمائي. وأما أنا فكنت في الوسط. وبمعزل عن الاثارة التي ولدتها المناسبة كانت تلك القفزة ذات مدلول خاص لي، اذ ان خطيبتي كريستين (٣٠ عاماً) كانت في المدرج، وهي أيضاً مظلية عريقة.

غيمة سوداء - أجرى فريقنا تمارين لأسابيع عدة الى ان حان موعد التمرين الأخير. وكانت الانوار تسطع على الأرض وفي الجو وتعكس ألواناً حمراء وبيضاء وزرقاء. وقرعت الطبول أمام حشد فخور يتألف من ١٠ آلاف شخص هم أقرباء التلاميذ وأصدقاؤهم.

والى الجنوب رأينا ناراً ودخاناً يتصاعدان من حريق في غابة. وأظهرت وجهة الدخان أن الريح مستقرة. وعلى بعد حوالى سبعة كيلومترات الى الجنوب الغربي استطلعت كتلة سوداء لاحدى تلك العواصف التي تهب على بريسبين في سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الاول). وعلى رغم أن مدتها قصيرة فانها تكون شديدة. لكن العاصفة التي استطلعتها كانت حينئذ تتحرك ببطء.

في الثالثة بعد الظهر رأينا الاولاد يشكلون العلم. وكانت جميع رحلات الطيران فوق بريسبين حولت عن المنطقة وباتت السماء خالية من الطائرات. وقفز الفريقان الاول والثاني، وشاهدنا مظلاتهما تفتح. ولحقنا بهما أنا وبيتر وستيوارت على الفور. ونظرت الى أعلى فشاهدت مظلتي الحمراء والبيضاء والزرقاء تفتح. لم يكن ثمة ما يثير القلق!

وحان وقت المناورة التي تؤدي الى التعلق في ما بيننا. كان بيتر يعلوني بمترين ويبعد عني حوالى متر. وتراجع في الوقت المناسب وكلّب رجليه في خيوط مظلتي وانزلق الى أسفل حتى أصبحت قدماه فوق رأسي. ومن ثم انزلقنا معاً نحو ستيوارت الذي كان تحتي مباشرة. وكلّبت رجليّ بخيوط مظلته وانزلقت متراً أو مترين فأصبح واحدنا فوق الآخر كشطيرة ثلاثية الطبقات.

وأشار مقياس الارتفاع عندي الى ٥٠٠٠ قدم. وعلى مسافة بعيدة تحتنا تدافعت مجموعات الاولاد لتشكّل الهدف الذي نقصده. وفجأة اختفى كل شيء. لقد ابتلعتنا غيمة سوداء كانت تلتفّ تحتنا بسرعة، فشعرت بالضياع والدوار.

بدا الأمر وكأنني أطفو على علو واحد. ونظرت الى مقياس الارتفاع فرأيته لا يزال يشير الى ٥٠٠٠ قدم. نحن لم نتحرك البتة!

تشابك المظلات – بقينا معلقين في الجو ثلاث دقائق أو أربعاً. ثم نظرت الى مقياس الارتفاع فاشار الى ٦٠٠٠ قدم، لقد دخلنا تياراً هوائياً صاعداً. وصرخت الى ستيوارت وبيتر: "راقبا الارتفاع!" فأكدا لي ما كنت أعرفه. كنا نصعد، ولا حول لنا سوى التماسك معاً والتعلق بالأمل.

وفيما نحن نرتفع جرفنا تيار جانباً. وأخذت مظلاتنا تنطوي وتنتفخ على هواها ومن دون انسجام، الأمر الذي أدّى الى زعزعة تماسكنا فاجتهدنا للبقاء معاً.

كان هدفنا في بادىء الأمر الخروج من العاصفة سالمين والهبوط في المدرّج متأخرين دقيقة أو دقيقتين. لكن المظلات جعلت تخفق بشدة ولم يعد الأمر متعلقاً بالهبوط حسبما هو مقرر، بل أصبحنا نكافح من أجل البقاء أحياء.

نظرت مجدداً الى مقياس الارتفاع فأشار الى ٨٠٠٠ قدم. الأمر لا يصدّق، كنا نرتفع بالسرعة المقررة للهبوط، أي ١٠٠٠ قدم في الدقيقة. وكانت المظلات تلتف وتخفق بشدة، فخشيت تشابكها واستحالة فتح مظلة الاحتياط. فمظلاتنا التي يبلغ اتساع كل منها ٢١ متراً مربعاً يجب أن تبقى مقدماتها مفتوحة وإلا فرغت من الهواء. وحتى ذلك الحين استطاع المظليون في أوستراليا النجاة من تشابك المظلات الذي أدّى الى مقتل مظليين كثيرين في الخارج. يا الهي! هل سنكون أولى ضحايا تشابك المظلات أمام ما يزيد على ١٦ ألف شخص؟

ولحسن الحظ كنّا نرتدي كنزات صوفية تحت بذلات القفز، وهذا غير مألوف في ربيع بريسببين الحار. وشعرت بالارتياح. وعلى علو ٩٠٠٠ قدم اشتدت البرودة. وما أثار دهشتي أنني بقيت أشمّ رائحة الدخان الناجم عن حريق الغابة، وذلك بفعل مجرى الهواء الصاعد. كان الأمر مخيفاً. اذا تسنى لنا الهبوط، فهل سنحترق ونحن أحياء؟

مجازفة خطرة – صرخ ستيوارت: "كيف سنخرج من هذه الورطة؟" ولكن كان يستحيل عمل شيء ما عدا البقاء معاً. كانت المظلات تدور ويلتف بعضها على بعض وكأنها شراشف في غسالة. أين أصبحنا؟ ماذا يحدث لو هبطنا وسط المدينة؟ هل ننجو اذا هبطنا في البحر؟

تلك الاسئلة كانت نظرية، اذ رحنا نحلّق عاجزين عن السيطرة على أنفسنا. وجاء دور المطر اللاسع. فجأة شعرنا باجسادنا تلتهب بفعل المغنيزيوم الحارق الذي يعمي العيون. وبعد البرق بجزء من الثانية جاء قصف الرعد المخيف الذي بدا وكأنه يخترق أجسادنا ويهز كل عرق فيها. لقد حوصرنا في قلب العاصفة

الرعدية، وشعرت بأننا هدف يوشك على الانتقال الى الأبدية.

على علو عشرة آلاف قدم تفككت تركيبتنا الثلاثية. وبعد نترة قوية اختفى بيتر. وصاح ستيوارت: "ابق على اتصال بي يا ريك! لنبقَ معاً!" لكنني انتزعت بجذبة عنيفة من دون أن تتسنى لي الاجابة.

وبتُّ وحدي. كان التيار قوياً ويزداد سوءاً. وراودتني فكرة أنه قد يتعيّن علي التخلي عن المظلة. فثمة نظام آلي يحررني من مظلتي الرئيسية، وقد يسعني السقوط عبر الغيوم من دون عائق ومن ثم أفتح مظلتي الاحتياطية على علو ٣٥٠٠ قدم. لكن ذلك بدا مجازفة خطرة. ولم يهُن علي أن أهبط ٧٥٠٠ قدم عبر غيوم مدوّمة.

مظلة الاحتياط – قد أتمكن من وقف صعودي، لذلك أخذت ألفّ مظلتي في حركة لولبية لمدة دقيقتين من غير أن أصل الى نتيجة. بعدئذ جذبت الوجه الخلفي للمظلة. ومع ذلك تابعت التحليق صعوداً. وكادت يداي أن تتجمدا، وقد منحتني بذلة القفز بعض الدفء لكن الكنزة الصوف لم تعد ترد البرد عني.

وتحول المطر بَرَداً تساقط رذاذاً صغيراً في بادىء الأمر. وحمتني المظلة لبعض الوقت، ثم انهالت عليّ رصاصات جليدية من كل صوب فتركت كدمات في رأسي. وأدركت أن عليّ التصرف للحال، فحبات البرد قد تفقدني الوعي. وعلى الارتفاع الذي كنت فيه، أي أكثر من ١٣ ألف قدم، واجهت خطر فقدان الأوكسيجين.

وعلى ارتفاع ١٣٥٠٠ قدم جذبت مقبض تحرير المظلة، فطارت عني وبدأت أهبط. كنت آمل ألا أهبط في البحر أو في الغابة المحترقة أو وسط المدينة. وأصبح لون الغيوم ضارباً الى الخضرة، وبدت كأنها تتضمن كتلا من الثلج، كنت أهبط بسرعة ٣٠٠ كيلومتر في الساعة تقريباً ووجهي الى أسفل وذراعاي تحميان رأسي وصدري واحدى يديّ تمسك بمقياس الارتفاع الغالي. وبقيت عيناي تراقبان المقياس الذي واصلت إبرته الهبوط. وفي غضون ٥٠ ثانية هبطت حوالى ٩٠٠٠ قدم. وشعرت كأن وجهي يسفع بالرمل.

وعلى ارتفاع ٣٥٠٠ قدم كنت لا أزال في قلب العاصفة. هل أفتح مظلة الاحتياط؟ اذا فعلت ذلك قبل الاوان فقد تجذبني العاصفة صعوداً من جديد من غير أن أملك أي وسيلة للنجاة. أمّا على ارتفاع ١٥٠٠ قدم فعلمت أنه من الخطر الانتظار وقتاً أطول. لذا جذبت الحبل لفتح المظلة.

الهبوط – غمرني الارتياح وأنا أرى المظلة تنتفخ. ولكن أين اليابسة؟ على ارتفاع ٥٠٠ قدم خرجت من الغيوم ونظرت الى أسفل فرأيت بعض البيوت. لم أستطع رؤية المدرّج. وفيما أنا أهبط الى الارض حلّقت فوق نهر هادر. ليس هنا بعد كل الذي جرى!

وشددت حبال القيادة واستطعت الهبوط على ضفة النهر الموحلة. كنت أشعر بالصقيع الى درجة الارتعاش. وكانت الساعة تشير الى الثالثة والدقيقة الثامنة والعشرين بعد الظهر. ان القفزة

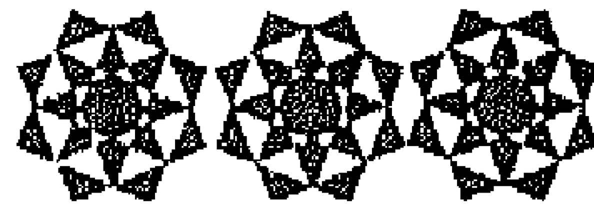
التي لزم ان تستغرق ست دقائق دامت قرابة نصف ساعة.

وكان شاب على دراجة نارية رآني وأنا أهبط، فاتجه صوبي للمساعدة. لقد هبطت على بُعد ستة كيلومترات غرب المدرّج. فأقنعت الدرّاج بأخذي الى هناك. أمّا ستيوارت ماكني وبيتر نوبس فوصلا بعدي بعشرين دقيقة. أحدهما هبط في باحة مدرسة والآخر في فناء أحد الفنادق. ثلاثة فقط من المظليّين التسعة هبطوا في المدرّج.

وفي الخميس التالي، يوم افتتاح الدورة، هبّت ريح عاتية لم تعرفها بريسبين منذ سنتين فأجِّلت عملية الهبوط الى الاحتفال الختامي بعد أسبوعين. وفي اليوم المحدّد، في حضور الملكة التي التقطت صوراً لنا اثناء النزول، هبطنا وسط الهدف مسترشدين بموكب من الفتيات، "أمام" ١٠٠ مليون تابعونا على شاشات التلفزيون في ٢١ بلداً من الكومنولث.

وفي وقت لاحق جلست مع خطيبتي أمام التلفزيون نشاهد إعادة لشريط الاحتفال الختامي. وعلمت أنني سأتذكر تلك القفزة الناجحة ما حييت، لكنني لن أنسى على الاطلاق العاصفة التي ركبتها!

ريك كولينز وستيفن جونسون ■



"ورقة" ثبوتية

تطلب المصارف عادة من امناء الصناديق ان يتثبتوا من هوية كل شخص يأتي ليصرف حوالة. فإما ان يعرفوه شخصياً واما أن يطلبوا منه إبراز هويته. وذات يوم دخل أحد المصارف شاب اراد ان يصرف حوالة، لكنه لم يكن يحمل هويته. وبعدما غاب بضع دقائق رجع متأبطاً كتاب نهاية السنة المدرسية وقد فتحه على الصفحة التي تظهر فيها صورته مع رفقائه في الصف.

فصرفت له الحوالة.

ج.و.

ذوق كلب

دخل أحدهم محلا للبقالة واشترى علبتين من الطعام الرخيص المخصص للكلاب.

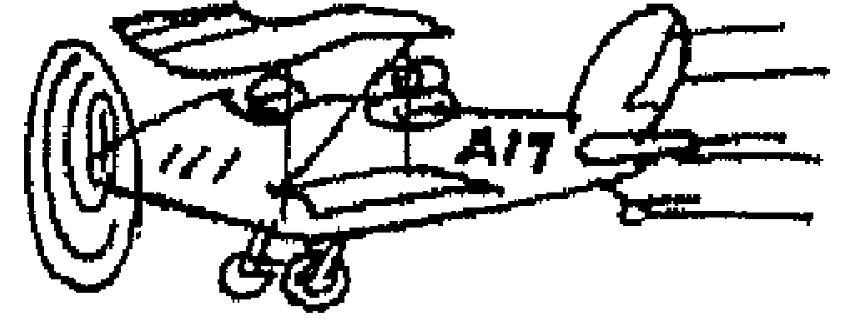
وما ان خرج حتى عاد قائلا ان كلبه لا يعجبه هذا النوع من الطعام. فأعطاه صاحب المحل صنفاً آخر، لكن الرجل طلب ان يسمح له بالتأكد مما اذا كان هذا الصنف يعجب كلبه.

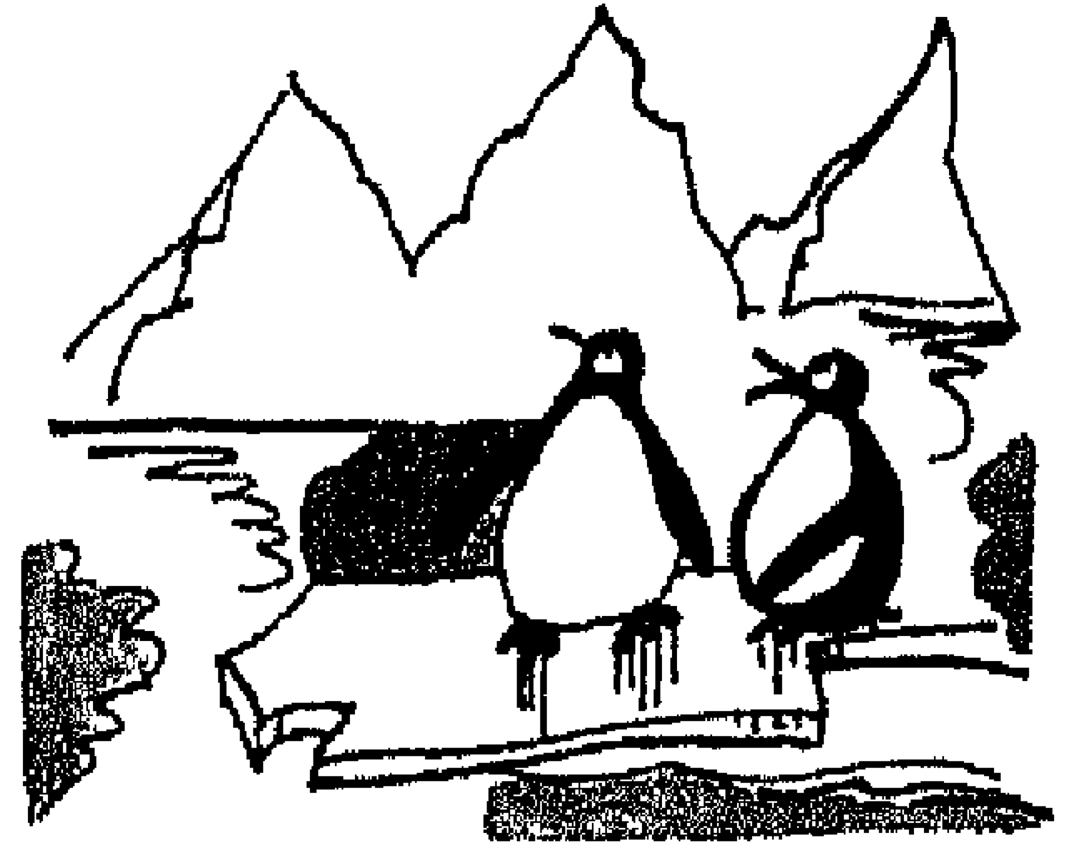
وخرج الرجل الى سيارته ونقر على نافذتها ورفع العلبة كي يراها كلبه ثم رجع مبتسماً وهو يقول: "اننا محظوظون. لقد أعجب هذا الطعام كلبي، وسأشتريه له!"

ج.هـ.



"هدىء أعصابك يا نيجل!"

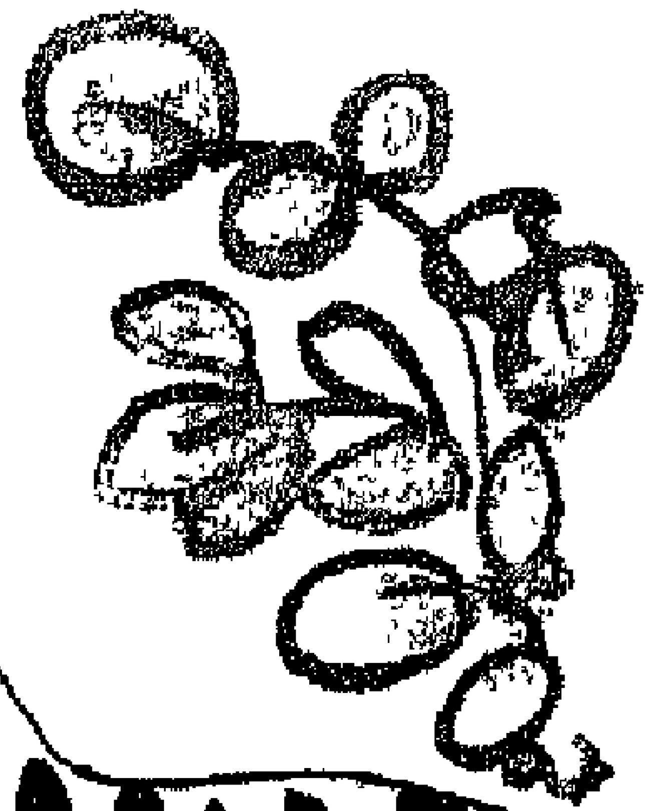




"لو أرادونا أن نطير
لمنحونا مراوح."



"كرررررك، مرِّر هذه الكلمة لنرى كيف تعود الي."

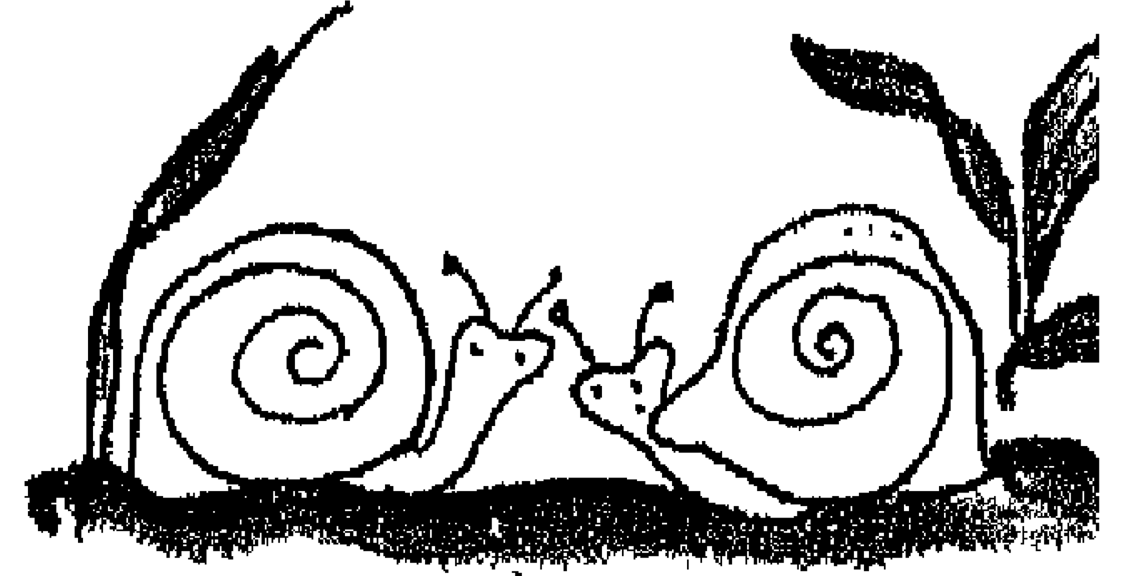




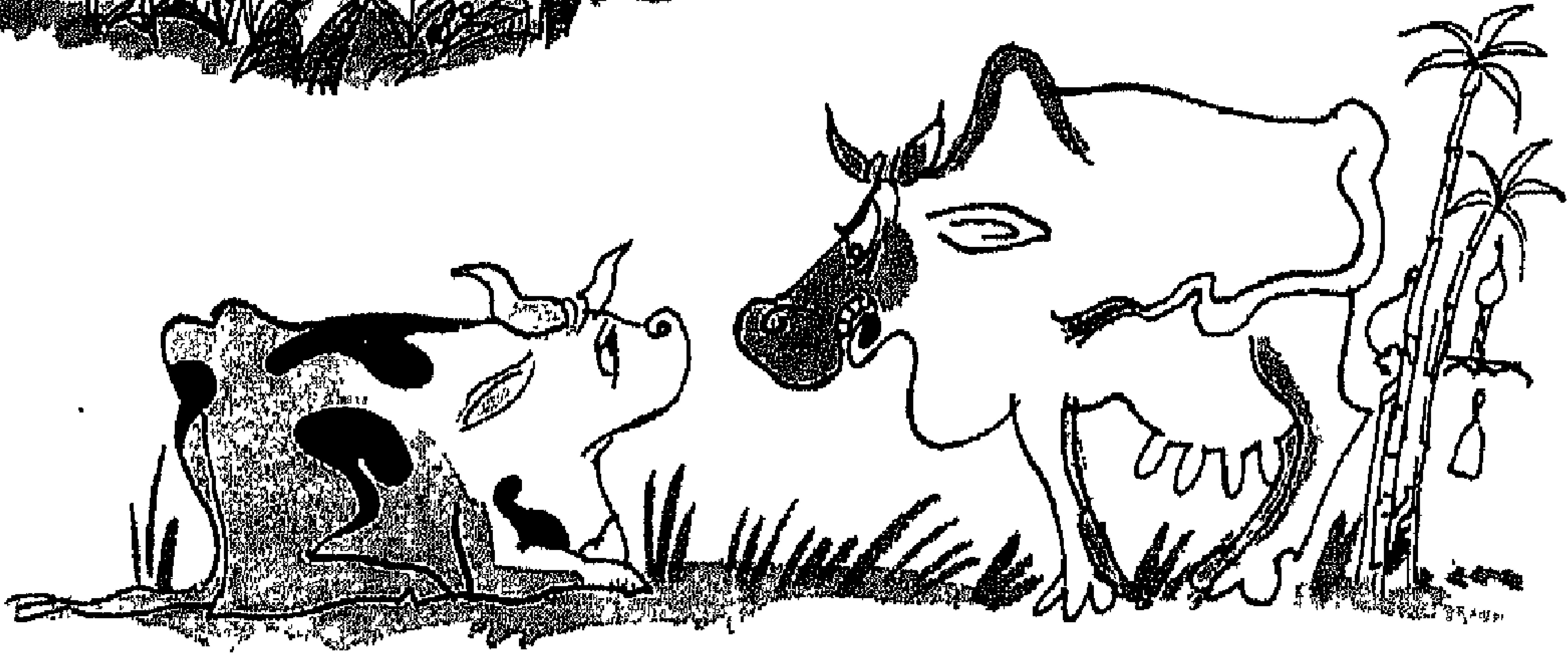
"هذه الخطوط توهم بالسرعة الخارقة."

طرائف حيوانية

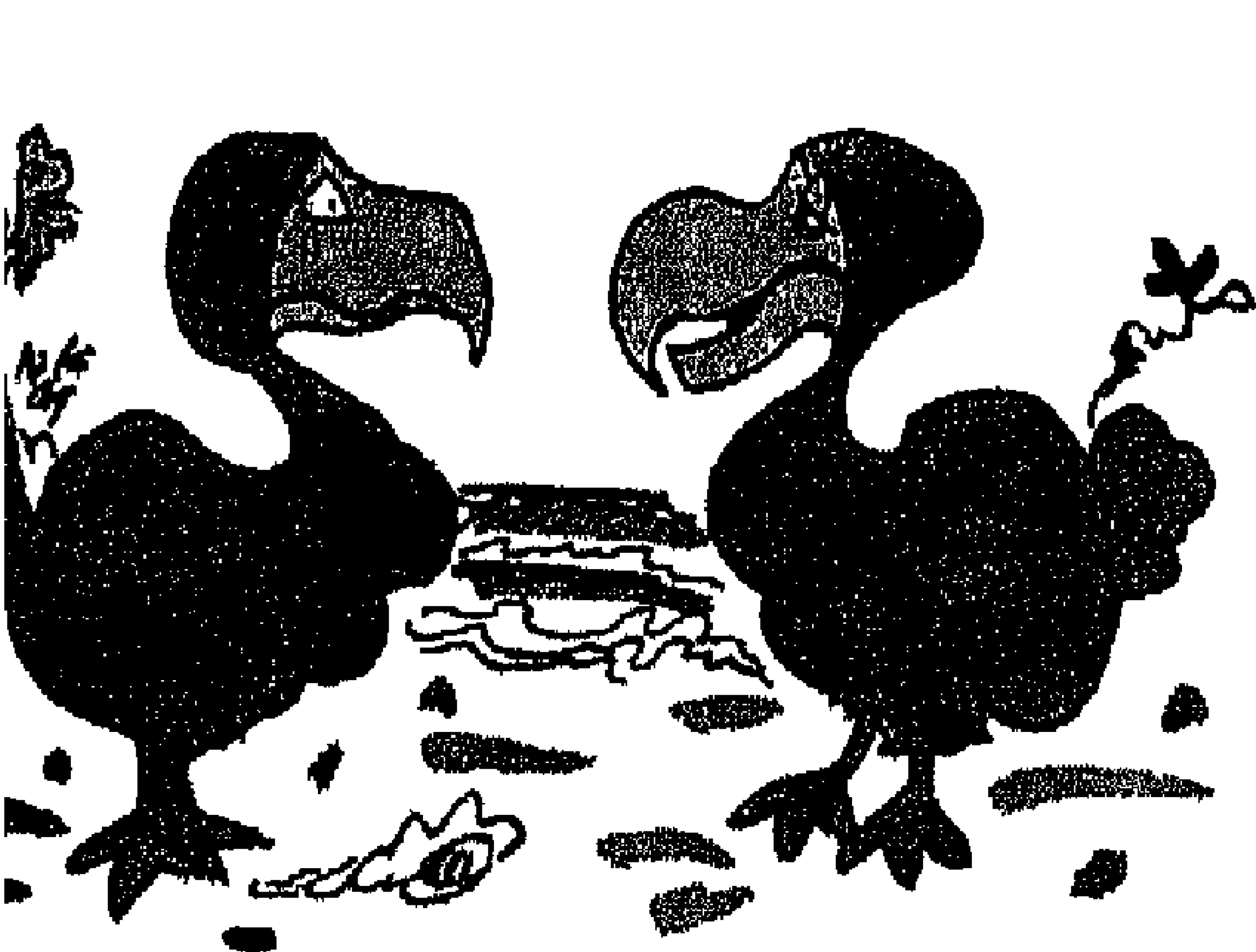




"أبشر يا عزيزي. قريباً ستنزلق بطون صغيرة على الارض."



"لماذا أنا على حق؟ بكل بساطة، لأن الهند تكرسني."



"أنت تضجرني الى درجة الانقراض."



"أرجوك يا روجر! يحق لامك أن تتذوق الحرية بين وقت وآخر."

التقاليد العائليّة تمنح الأطفال الطمأنينة والثقة

يحتاج الاولاد للشعور بالطمأنينة وبأنهم محبوبون ونافعون. كما يحتاجون الى وقت للابداع والتفكير، وأحياناً الى عدم القيام بأي عمل على الاطلاق

كانت ابنتي جويس تتشوّق الى رؤية ابنتها أودري في ثوبها التنكري في سهرة العيد. غير أن الصغيرة البالغة من العمر ثلاثة أعوام صاحت بحدة عندما رأت التاج الورقي الذهبي والتنورة (الغونلّة) الواسعة: "لا أريد أن أبدو حورية، أريد أن أكون مسخاً."

في تلك الليلة أيضاً اتصلت بي صديقة أخبرتني وهي تذرف الدمع أن ابنها البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً ترك الجامعة ليعمل في مسرح للدمى المتحركة. واضافت بصوت حزين: "الابني حاصل ذكاء يبلغ ١٥٠، وفي استطاعته أن يصبح طبيباً أو محامياً أو أي شيء يريده. كيف أمكنه أن يفعل بنا ما فعل؟"

إن هاتين الحكايتين تطرقان باباً واحداً. فنحن نأتي بالاولاد الى هذه الدنيا ونعطيهم الفيتامينات وعصير الليمون ومزالج التزحلق ودروساً في العزف على البيانو ونشتري لهم دراجات هوائية بعشر سرعات، لكنه يصعب علينا إعطاؤهم أولى الهدايا الأساسية على الاطلاق وهي الحرّية في أن يكونوا أنفسهم. لقد قال الكاتب الامريكي هودنغ كارتر: "ثمة شيئان فقط جديران بأن نورثهما أولادنا هما الجذور والاجنحة."

الجذور أولاً. ان ولداً ذا جذور قوية ويشعر بالطمأنينة هو الولد المحبوب. والحب لا يعني الحب الخانق، بل ذاك المقبول الذي مؤدّاه: "إنني اعترف بجوهرك واحترمه." ما هو الشيء الآخر الذي يريده الولد؟ احترام الذات. وهذا يحصل عليه من الطريقة التي يعامله بها الكبار. وينبغي له أن يفهم أنه إذا أتى عملاً سيئاً فذلك لا يعني أنه أصبح شخصاً

سيئاً. انه في حاجة الى الاعتماد على النفس الذي يتحقق فقط عبر الكفاية المكتسبة. إنه في حاجة الى انضباط معقول، أي الى الشعور بالحدود التي ينبغي التوقف عندها مع بعض المرونة. بهذه الهدايا ينمّي الولد شعوره بالاستقلالية وبأنه انسان بحكم حقه الشخصي وبأن انجازاته لها قيمة.

أمّا في ما يتعلق بالاجنحة، فانّك تغذّي الفضول الفكري الطبيعي للولد وتحترم أسئلته من دون ضرورة اعطائه أجوبة عنها، بل بمساعدته على ايجاد هذه الاجوبة. وثمة مثل أعرفه يفسّر ذلك جيداً هو: "أعطِ رجلا سمكة، يكن لديه ما يقتات به لليلة واحدة. علّمه الصيد، يكن لديه ما يقتات به العمر كلّه." وفي عصر التلفزة هذا، عندما تنهمر علينا المعلومات الصحيحة والخاطئة معاً، يحتاج الولد الى توجيه لتفكيره. وهو أخيراً يحتاج الى حرية اللعب والاستغراق في أحلام اليقظة وتغذية خياله وحياته الخلّاقة.

الايمان بالمقدرة – كيف يكتسب الولد جذوراً قوية وشعوراً بالذات؟

أولا عبر اعتراف الأهل باستقلاليته واحترامهم لها.

إذا أفصحنا للاولاد عن تصورنا لماهيّتهم، فاننا ننتهك طبيعتهم الصادقة ونحدّ من حريتهم في أن يكبروا. "إنك مماطل ميؤوس منه مثل أبيك." في الامكان أن يصبح ذلك الكلام حقيقة، فيشعر الولد بانه نسخة مطابقة لشخص آخر.

قبل سنوات وقعت على قول من أمّ حكيمة لولدها: "لحظة ولادتك كنا شخصين منفصلين. لن أعدم وسيلة لمساعدتك على تحقيق ما تريد أن تكونه. إنك لست ملكاً لي، بل أنت ملك لذاتك."

إنّ الشعور بالذات هو الأساس الضروري للاعتماد على تلك الذات. ومساعدة الولد في أن يعتمد على ذاته عملية طويلة ودقيقة. إنها طويلة لأنها تبدأ في فترة الطفولة، ودقيقة لأن على الأهل أن يقرروا الوقت الصحيح لاطلاق الولد. والاستقلال المبكر غير الناضج يضعف الولد مثلما يضعفه الاستقلال المتأخر. والطفل الذي يرضع من زجاجة حليب مُسندة، أو الذي يتوقع منه في شهره السادس الامساك بالزجاجة، يخسر بعض القوة التي يستمدها من الاحتضان. كما أن الطفل الذي يُثنى عن محاولاته الاولى الاعتماد على نفسه في الرضاعة قد يقرّر المضي في تلقي العناية من غيره.

معظم الأهل يقبل الفكرة القائلة بان الاستقلالية هدف رئيسي في تنشئة الاولاد. والتشجيع على الاستقلالية في كثير من الأحيان ينتابه تعقيد من جرّاء مخاوف الأهل. فكيف تطمئن الى أن بنتاً في الثالثة من عمرها لن تؤذي نفسها إذا تركتها تقطّع تفاحتها بسكين؟ يصعب عليك ذلك. والاطفال الذين يجازفون قد تقع لهم بعض حوادث. لكنه ثمن زهيد لامتلاك حرية المجازفة والنمو.

دعم العائلة – إن الاعتماد على الذات يتوقف على اكتساب القدرات الحقيقية. فالولد يشعر برضا على نفسه عندما يعلم أنه انسان كفي في سنّه. والولد الذي لا

يحسن ارتداء بذلة التزلج وهو في الرابعة من عمره أو القراءة وهو في السابعة من عمره أو ركوب دراجة هوائية بعجلتين وهو في السن العاشرة، يعاني نقصاً في احترام الذات وفي الشعور بالاطمئنان. وعلى الأهل أن يبدأوا باكراً تكليف اولادهم مهمات حقيقية، مثل طلب مساعدتهم في العثور على الخضر والبقول في السوق أو ري الحديقة أو ترتيب المائدة أو تحضير السَلَطة. وعندما يكبر الاولاد دعوهم يعملون في وظائف وقتية مثل حضانة الاطفال أثناء غياب ذويهم أو توزيع الصحف، وعلى الأهل تعليم أولادهم مهارات اجتماعية أساسية وسلوك المجاملة الذي يمهّد أمامهم الطريق للانفتاح على العالم.

في أي سنّ ينبغي بدء تلك التدريبات؟

إن ولداً في الثالثة من عمره تلزمه ثلاث سنوات ليصبح في الصف الابتدائي الاول، وتسع أو عشر ليدرك سن البلوغ وست عشرة سنة ليقود سيارة. وبعد عقد من الزمن تواجهه خيارات حياتية حاسمة. هل يدخن؟ او يتعاطى الكحول؟ أو يتناول المخدرات؟ هل يذهب الى الجامعة؟ لن يكون لديه متسع من الوقت للتفكير في كل ذلك.

ثمة عامل حاسم آخر يدعو الولد الى الاطمئنان هو شعوره بدعم عائلته. ففي عصر فقدت المدرسة كثيراً من سلطاتها، وينتهي زواج من كل اثنين بالطلاق، يبقى الشعور بالحاجة الى العائلة أكثر الحاحاً من أي وقت مضى. واذا شعر الطفل بأنه جزء من مجموعة من الاقرباء، فضلا عن والديه، فان ذلك سيغنيه ويقويه. ومن المجدي تحمّل عناء السفر لتعريف الاولاد الى أقربائهم الأبعدين وتشجيعهم على ارسال خطابات ورسوم اليهم واخبارهم قصصاً عن أفراد العائلة.

عندما كنت ولداً أحببت قصة عن جدي الروسي الاصل الشجاع الذي كان يمشي ويداه خلف ظهره وجدتي الى جانبه تنوء تحت حمل من الحطب.

كان يقول لها وهي تلهث وتنقل حملها من كتف الى أخرى: "دعيني أخبرك عن طبيعة الكون."

بين الابداع والوداعة – إن الشعور بالعائلة تعزّزه التقاليد العائلية. فعندما كنت أجري بحثاً في ما يتذكره الشبان اليافعون من سني فتوتهم، استوقفتني الاشارة دوماً الى الشعائر العائلية، ليس فقط الاحتفالات التقليدية مثل أعياد الميلاد، بل أيضاً احتفالات شخصية عبّرت عن الروح العائلية. قال أحدهم: "لم نكن نصلي دائماً، ولكن قبيل أوان النوم كنا دائماً نتبادل هذه العبارة: عمتم مساء، باركَكم الله وحفظكم طوال الليل."

وقال آخر: "كان أبي يحضّر طعام الفطور أيام الآحاد، فكانت المائدة تضم خبزاً فرنسياً محمّصاً وفطائر محلّاة وأنواعاً من الأجبان والمربيات. وبعد الفطور يجلس كل منا وفي يده القسم الذي يثير اهتمامه من الصحيفة."

إن تقرير المصير والاعتماد على الذات والشعور بأهمية العائلة كلها أمور يكتسبها الولد بتوجيه من الكبار. أما بالنسبة الى الاجنحة، وهي الروح الخلّاقة، فان الهدف لا يتمثّل في إعطاء الولد ما

يفتقر اليه، بل في تقوية ما يحوزه كل فتى صحيح الجسم من صفات. كل ولد في الرابعة من عمره يرى الدنيا بعينين نضرتين. وفي رسومه قد تبدو أخته الكبيرة في حجم فأرة، في حين يبدو كلب الحراسة المجاور ضخماً كالدينوصور. إنها حقيقته هو. فداخل كل ولد مهندس ورسام وشاعر وموسيقي وعالم نبات.

بعد مرور خمس سنوات يتبدل معظم هذه الصفات الخلّاقة على نحو غريب. حينئذ يلهو الأولاد بطائرات يركبّونها أو بقماشات للتطريز، ويلوّنون بعناية ويصرفون ساعات أمام التلفاز (التلفزيون) أو جهاز الفيديو. أمّا الولد الذي يحتفظ بابداعه الخلّاق فيعتبر غريب الأطوار، ويجده أساتذته مصدر ازعاج لانه لا يتبع الارشادات، كما يفضّل رفقاؤه معاشرة أولاد أكثر وداعة.

والولد العادي في السن العاشرة يكون تعلم تأدية أعمال مقبولة بوسائل عادية.

حق الحماقة – إنّ التقهقر الذي يحصل عادة في القدرة على الابداع ليس أمراً محتوماً. ففي وسع الاهل تعزيز عنصر الخيال والابداع لدى أولادهم بتشجيع حب الاستطلاع عندهم. وهذا يعني الانتباه الى الاسئلة التي يطرحونها، مهما تكن سخيفة. ومن يمكنه البتّ أن سؤالا ما هو سخيف فعلا؟ ماذا قال الأهل قبل خمسين سنة لولد طرح السؤال الآتي: "هل في استطاعتي الطيران الى القمر؟" إن سؤالا جدياً ومهماً يجب أن يليه شرح أو بحث عملي. واذا سألتك فتاة في الخامسة من عمرها: "ما الذي يجعل الأزهار تنمو؟" دعها تزرع بذوراً سريعة النبت في أربعة أكواب ورقية مليئة بالتراب. واقترح عليها أن تترك واحداً من دون ري، وتروي آخر، وتروي الكوب الثالث مع تعريضه لأشعة الشمس، وتروي الرابع مع تعريضه لأشعة الشمس واضافة سماد الى ترابه. وسرعان ما ستتعرف الى ما يجعل الازهار تنمو.

ما زلت أذكر ذلك اليوم حين أخبرتني معلمة الصف الابتدائي الثالث ان حفيدي بن "يتصرف بحماقة." فقررت تلقينه درساً صغيراً. وبدأت كلامي بالقول: "بن، ماذا تظن أنه قد يحدث لابيك لو ذهب الى المكتب وتصرّف بحماقة؟"

– سيطرد من عمله؟

"بالتأكيد. وستُحرم لعبة "ليغو" من ٥٠٠ قطعة ودراجة جديدة. وماذا لو تصرّفت أمك بحماقة؟"

– أوه! أمي لن تفعل ذلك.

"طبعاً لا. اذاً على كل انسان أن يتصرف بمسؤولية وألّا يأتي حماقة."

فنظر إليّ بن متعجباً وقال: "لكنني ظننت أن في استطاعتي التصرف بحماقة لأنني ولد صغيرا!"

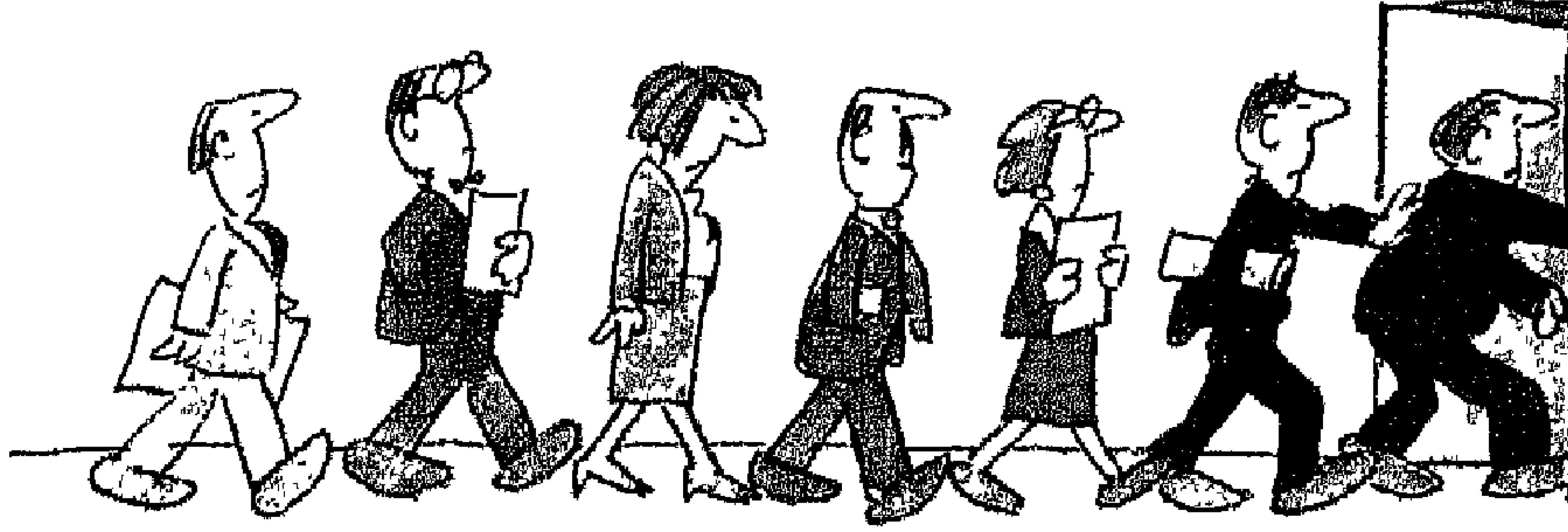
أنا أعتقد أنه على حق.

فريديل ماينارد ■

ان الذين يضيعون وقتهم هم السبّاقون الى التذمّر من قصر الوقت.

جان دو لا برويير

نصائح طريفة حول الطريقة المثلى
لحضور اجتماعات العمل



مَتى تشغلُ ربطة عنقك؟

لكي تلاقي النجاح الفعلي في عمل ما أو مؤسسة ما، يجدر بك أحياناً أن تعرف ماهية عملك والواجبات المترتبة عليك. سَلْ زملاءك العمّال. قل مثلا: "مرحباً، انني موظف جديد. ما اسم وظيفتي؟" فاذا أجابوك: "مخطِّط على المدى الطويل" أو "نائب حاكم" فاعلم أن وقتك يتسع للتسكع وحل شبكات الكلمات المتقاطعة إلى أن يحين وقت التقاعد. لكن غالبية الوظائف الأخرى ترتب عليك بعض العمل.

في المؤسسات الحديثة نوعان أساسيان من العمل:

أولا، تدوين الرسائل الهاتفية للاشخاص المنشغلين في الاجتماعات.

ثانيا، حضور الاجتماعات.

ينبغي أن تهدف خطتك المهنية إلى الحصول بأسرع ما يمكن على عمل ينطوي قبل كل شيء على حضور الاجتماعات، لان في ذلك الأبّهة كلّها.

جيد أن يكون في وسعك تدوين الرسائل الهاتفية. لكنك لن تصل أبداً إلى مركز نفوذ يمكنك فيه أن تخسِّر ألوف الاشخاص وظائفهم بقرار أحمق واحد، ما لم تتعلم كيف تحضر الاجتماعات.

عقد الاجتماع الاول في التاريخ في العهد الوسيط. ففي تلك الايام كانت مهمة الرجل تقتصر على قتل فريسته

Condensed from «Claw Your Way to the Top,» copyright © 1986 by Dave Barry, published by Rodale Press, Inc., Emmaus, Pa., Illustrations: Roy Mckie

وجلبها إلى المرأة التي كان عليها حينذاك أن تفكّر في طريقة طهوها. لكن المشكلة أن الرجل كان بطيئاً وشبه عارٍ، في حين كانت الفريسة تتمتع بصوفٍ دافىء وتعدو كالغزال. (في الواقع كانت الفريسة غزالا، لكن أحداً لم يدرك هذا الأمر آنذاك.)

وفي النهاية قال أحدهم: "لو جلسنا معاً واستنبطنا الافكار البارعة التي تأتي على حين غرّة، فربما أمكننا أن نبتكر طريقة فضلى لصيد فريستنا!"

وسارت الامور على نحو جيّد، فضلا عن أن الرجال شعروا بالدفء وهم متحلقون، فقرروا أن يجتمعوا من جديد في الغد وفي الايام التالية.

لكن النساء لاحظن أن الرجال لم يأتوا بجديد في ما خصّ مسألة تأمين الفريسة، وأن العِرق البشري يكاد يتضوّر جوعاً. فأقر الرجال بجدية الأمر ووعدوا بادراجه على رأس "جدول أعمالهم." ومنذ ذلك الحين بدأت النساء اللواتي كنّ بدائيات ولكن غير غبيّات، يأكلن النبات. من هنا نشأت الزراعة الحديثة. وهي لم تكن لتنشأ لولا الاجتماعات.

أما اجتماعات العمل الحديثة فيجدر تشبيهها بالمآتم، حيث ترى مجموعة أشخاص يرتدون ثياباً غير مـريحة ويتمنون لو يكونون في مكان آخر. ويكمن الفارق الاساسي في أن لمعظم المآتم غاية معيّنة في حين أنه ما من شيء يدفن حقاً في الاجتماع.

قد تبدو فكرة من الافكار ميتة، لكنها لا تلبث أن تظهر لاحقاً في اجتماع آخر. واذا أنت شاهدت فيلم "ليلة الميت الحي" فان لديك فكرة تقريبية عن طريقة انعقاد الاجتماعات الحديثة، حيث تنبعث المشاريع والاقتراحات من قبورها بعدما ظنها الجميع مـاتت، فتنـدرج في الاجتماعات من جديد لتلتهم عقول الأحياء.

والاجتماعات نوعان أساسيان:

أولا، الاجتماعات التي تعقد للسبب نفسه الذي يحتفل له بعيد ثانوي لا جدوى منه، وأعني بذلك التقليد المتبع. من ذلك أن مديرين كثيرين يحبون الاجتماع في يوم الاثنين، لا لسبب الا لأنه الاثنين. وعلى المرء أن يتعوّد هذا الامر، لأن هذا النوع يشمل ٨٣ في المئة من مجمل الاجتماعات. (أستند هنا الى دراسة دونتُ فيها أرقاماً الى أن بدا لي أحدها شبه صحيح.)

ويدور هذا النوع من الاجتماعات بطريقة "أشِر وأخبر" المتبعة في دور الحضانة، حيث يحق لكلّ فرد أن يقول شيئاً. والفرق أن الأطفال في دار الحضانة لديهم في الواقع شيء جديد ليقولوه. ولكن عندما يأتي دورك للكلام في الاجتماع فعليك أن تقول إنك ما زلت تعمل على ما يفترض بك أن تعمل عليه. قد يبدو ذلك غباء، اذ انك بالطبع تعمل على ما يفترض بك أن تعمل عليه، حتى وان لم تكن تفعل فانك ستدعي أنك تفعل، فذاك هو الكلام التقليدي الذي يتفوّه به الجميع. وكم كانت الامور لتجري سريعاً لو يكتفي الشخص الذي يدير الاجتماع بالقول: "كل من لا يزال يعمل على ما يفترض به أن يعمل عليه، ليرفع يده!" وهكذا يخرج الجميع بعد خمس

دقائق وقد سنحت لهم خلال الاجتماع فرصة المزاح. غير أن هذه الطريقة لا تتبع الا في اليابان على ما أظن.

النوع الثاني من الاجتماعات يشمل تلك التي لها هدف مزعوم. وهي أكثر دقة، لان ما تفعله أنت يتعلّق بالهدف المذكور. في بعض الاحيان يكون الهدف غير مؤذ، كأن يشاء أحدهم أن يعرض صوراً لرسمٍ بياني أو يوزّع نسخاً عن تقرير مكتنز. جل ما عليك أن تفعله في هذا النوع من الاجتماعات هو أن تجلس في مكانك وتطلق لخيالك العنان، ثم تأخذ التقرير إلى مكتبك وترميه، إلّا اذا كنت نائب الرئيس، ففي هذه الحال تدوّن اسم أحد مرؤوسيك في أعلى الزاوية اليمنى من التقرير وتتبعه بعلامة استفهام على هذا النحو: "نورمان؟" ثم ترسله الى نورمان وتنسى أمره كليّاً (مع أن التقرير قد ينزل البلاء بنورمان المسكين طوال ما تبقى من حياته المهنية).

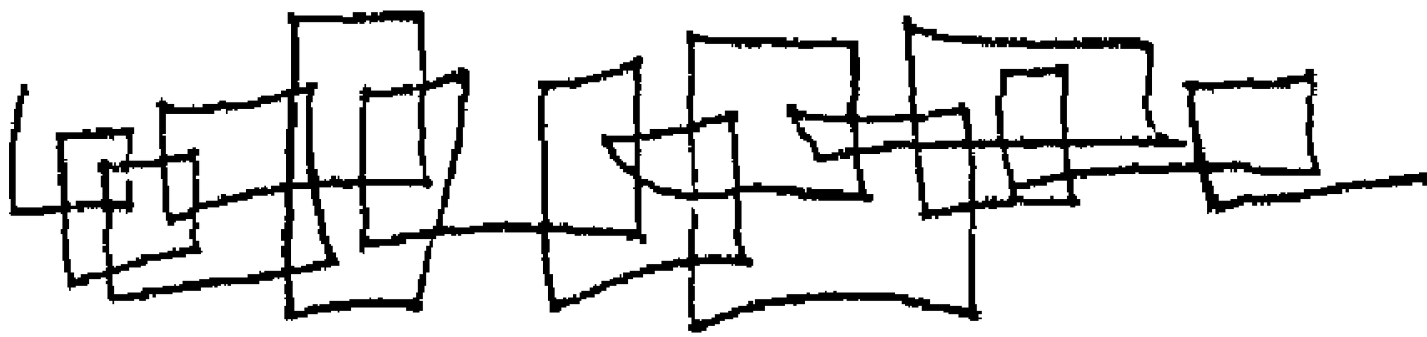
لكنك أحياناً تقصد اجتماعات يتوجب عليك خلالها أن تساهم في أمر ما. ان ذلك غاية في الجدّية، لانه يعني أن القيمين على الاجتماع يريدون، في حال نتج من القرارات كوارث، أن يتأكّدوا أن بعض الملامة تقع عليك. لذا يجدر بك أن تهرب من الاجتماع بتبرير ما قبل أن يُطلب منك أي شيء. وتقضي إحدى الطرق بأن تشعل النار في ربطة عنقك.

وتنفع طريقة أخرى هي أن توصي متآمراً آخر بأن يقطع الاجتماع معلناً أن لديك اتصالا هاتفياً من شخص مهم جداً كرئيس الشركة أو رئيس الوزراء. ويجب أن ينكر واحداً منهما، فقد يثير الارتياب اذا قال: "الديك اتصال من رئيس الشركة أو من رئيس الوزراء."

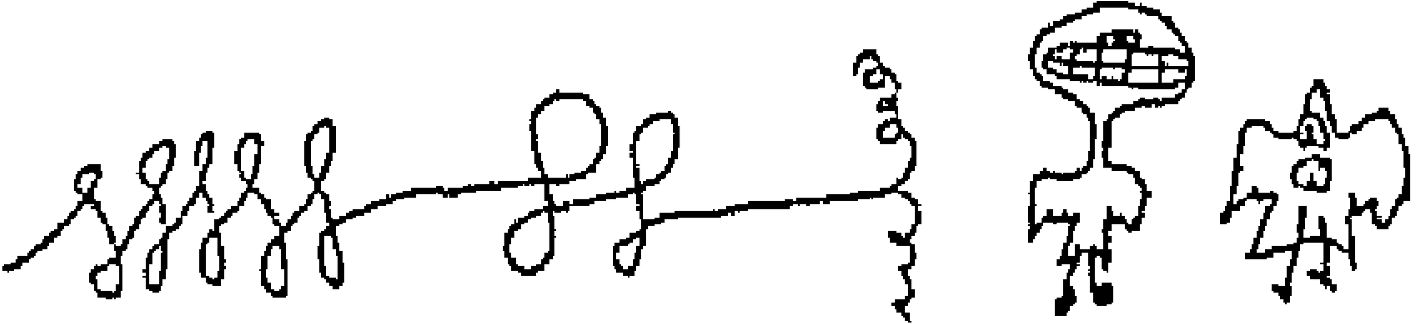
وعليك أن تتعلم طريقة تدوين الافكار الرئيسية خلال الاجتماع: استعمل دفتراً كبيراً يوهم بالرسميات. وفي أعلى الورقة سجّل تاريخ اليوم وضع تحته خطين، هكذا:

٨ تشرين الاول

ثم انتظر حتى يبدأ الكلام شخص مهم، رئيسك مثلا. فمتى بدأ حدّق اليه وارسم على وجهك تعبير اهتمام ونشوة وكأنه يكشف لك أسرار الحياة. ثم اكتب مستطيلات متشابكة على النحو الآتي:



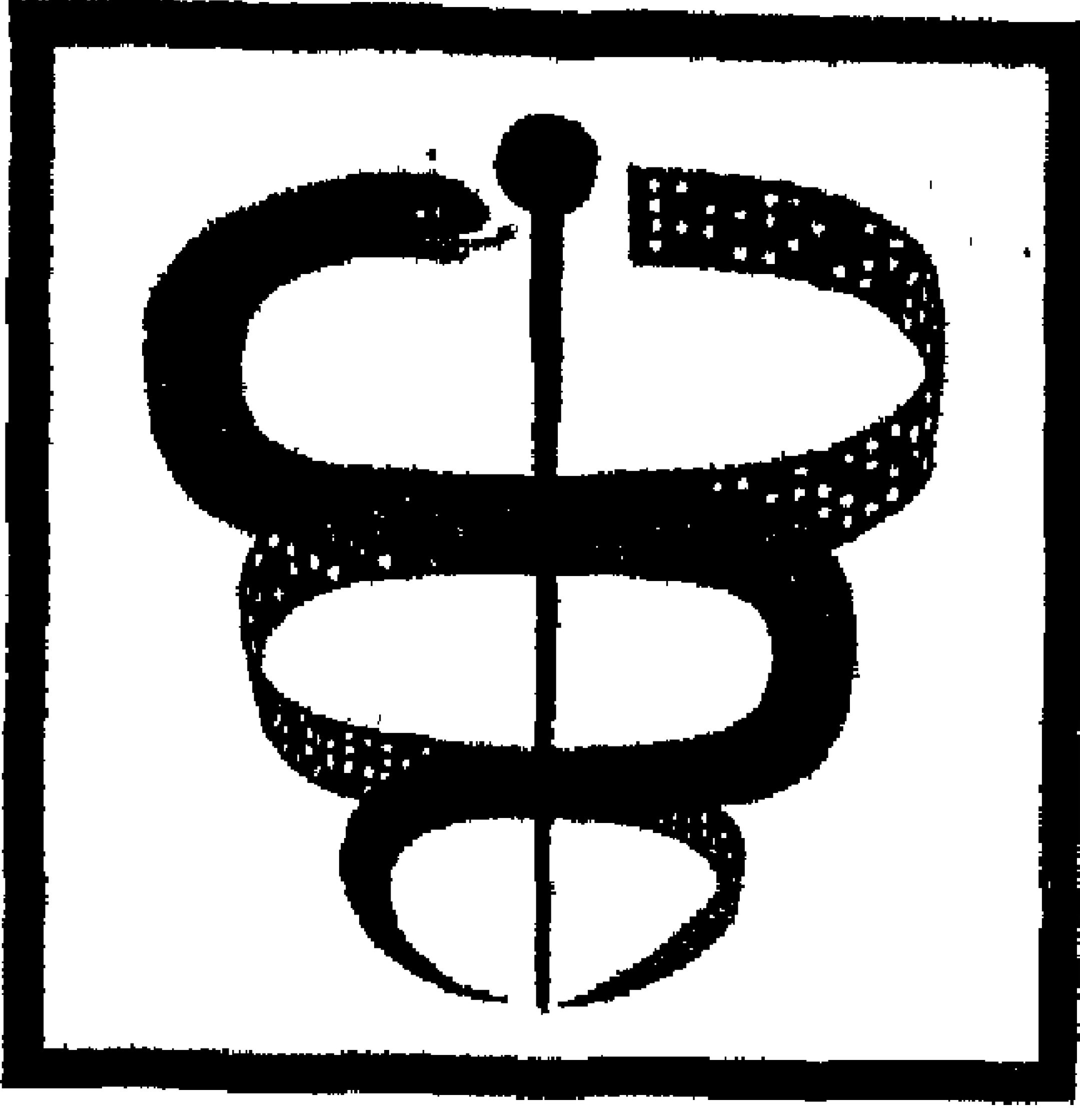
واذا طال الاجتماع حاول أن تصنع أشكالا كهذه:



واذا غطّ أحدهم في نوم عميق خلال الاجتماع، أطلب من الآخرين إخلاء القاعة. ثم جيء بمجموعة من الأغراب من الشارع وأجلسهم حول النائم حتى يستفيق. فمتى استفاق اجعل أحدهم يقول له بصوت كئيب جداً: "ان برنامجك يا بوب في منتهى المجازفة. لكنك لم تترك لنا سوى خيار اعتماده. وأتمنى لمصلحتك أن تكون مدركاً المأزق الذي تضع فيه نفسك." ثم يغادرون القاعة بهدوء، الواحد تلو الآخر.

ديف باري ■

أطباء من عالم الطب



أسنان الامهات

النساء اللاتي يحوي لعابهن عدداً كبيراً من الجراثيم العقدية ستربتوكوكس موتان(★) التي تؤدي دوراً رئيسياً في نخر الاسنان، يمكن أن ينقلن هذه الجراثيم الى أطفالهن.
تشارك الام طفلها في طعامه ترغيباً له في الاكل: "ملعقة لك يا حبيبي وملعقة لي." وهذا هو الاسلوب المشكوك في كونه الطريقة الرئيسية لانتقال الجراثيم. حتى السعال قرب الطفل يمكن أن ينقل اليه هذه الجراثيم.
وتقول الطبيبة الاسوجية بريجيتا كولر ان في وسع الام ان تقي طفلها من نخر الاسنان. وهي عالجت أسنان مجموعة من الامهات بالتنظيف والفلورايد والحشوات ولقنتهن الطريقة السليمة لغسل الاسنان. وأهم من كل ذلك أنها أعطتهن تعليمات غذائية. وبعدئذ قابلت بين هؤلاء النسوة ومجموعة اختبار لم تطبق عليها اي معالجة خاصة بالاسنان.
وبعد سنتين ونصف سنة وجدت كولر أن هذه التدابير أنقصت عدوى الجراثيم العقدية بنسبة عشرة أضعاف في المجموعة الاولى من الامهات، وأن نسبة الاصابة بالجراثيم كانت أقل بـ٤٠ في المئة بين أولاد هذه المجموعة. كما انخفض عدد الاطفال الذين نخرت أسنانهم، فبلغت نسبتهم ١٦ في المئة بين أولاد المجموعة التي تلقت المعالجة في مقابل ٤٣ في المئة بين أولاد المجموعة الثانية.
والعبرة واضحة: اذا عنيت الام بسلامة فمها أفاد اطفالها.

مجلة "أميريكان هيلث"

(★) Streptococcus mutans

انقاذ شبكية العين

يرى الدكتوران روبرت ماشمر ويوجين دي هوان من مركز العيون في جامعة ديوك في دورهام بولاية كارولينا الشمالية، ان "مسامير" شبكيات العين توفر وسيلة لمساعدة المرضى الذين كانت حالاتهم ميؤوساً منها قبلاً. واستخدم هذان الطبيبان المسامير المصنوعة من الفولاذ الذي لا يصدأ

وساعدا في اعادة البصر الى ٤٦ مريضاً يعانون من شبكيات ممزقة أو منطوية. وهذا الشكل من انفصال الشبكية يشبه سدل ستار أسود على البصر، فيحجب رؤية اللون والحركة.
في الاسلوب الجديد يمرر الجهاز الذي يفرز المسامير من خلال شق في العين قطره مليمتر واحد. وبعد بسط الشبكية المنفصلة على الجدار الخلفي للعين يفرز نحو ١١ مسماراً، طول كل منها ٣،٧ مليمتر لتثبيت الشبكية في مكانها. ثم يحقن في العين زيت السيليكون ليعطي المسامير دعماً اضافياً، وهذه تسحب من مكانها بعد التصاق الشبكية وشفائها.

صحيفة "أومني"

سرطان الخصيتين

المرأة تعرف كيف تفحص ثدييها لكشف الاورام فيهما، أما الرجل فهو أقل معرفة بأهمية التحرّي عن سرطان الخصيتين. وقد تبين أن ٨٧ في المئة من الرجال الذين سئلوا في دراسة أجراها الباحثان الدكتور جون غولدنرنغ واليزابيث بورتل في جامعة ليولا ماريماونت في لوس انجلس بكاليفورنيا، يكادون لا يعون خطر هذا النوع من السرطان. وعرف ٩،٦ في المئة فقط كيف يجرون الفحص الذاتي، في حين أن ٦ في المئة فقط أجروا الفحص في أوقات منتظمة. وعلى رغم ذلك فان الخصيتين تشكلان الموقع الاكثر تعرضاً للاصابة بالسرطان لدى الرجال بين العشرين والتاسعة والثلاثين من العمر، وسرطان الخصيتين يأتي في المرتبة الثالثة بين الاورام الخبيثة التي تسبب الموت لدى الرجال ضمن هذه الفئة، كما ورد في تقرير لجمعية السرطان الامريكية.
وتشير المراجع الصحية الى وجوب اجراء الفحص الذاتي للخصيتين مرة على الاقل كل ستة أشهر، لان هذا النوع من السرطان قابل للشفاء بنسبة مئة في المئة تقريباً اذا عولج في وقت مبكر. فاذا ظهرت أيّ تغيرات في حجم الخصيتين البيضيّتي الشكل وفي نعومة نسيجهما - كظهور نتوءات أو أورام، خصوصاً الصلبة منها - تجب مراجعة الطبيب للحال.

مجلة "هيلثلاين"

الحضور الابوي

تقول مارغو ماين المديرة المساعدة لقسم الاختلالات الغذائية في مستشفى نيونغتون للاطفال بولاية كونتيكت، ان غياب الاب عاطفياً أو جسدياً عن العائلة يمكن أن يكون عاملا رئيسياً في تطور علتي فقدان الشهية والشراهة المفرطة في البنات المراهقات.
وفي استقصاء شمل ٣٩ فتاة قالت ٣٦ منهن ان آباءهن بعيدون عنهن عاطفياً. وكانت الصفات البارزة في أولئك الفتيات تدني الاعتبار الذاتي والارتباك والوحشة والمخاوف والاوهام والكمد والعجز عن اتقان المهمات التي تتطلب ادراكاً تطويرياً. وتضيف ماين: "ان غياب الاب يحرم الابنة التأثير الايجابي المسترجع (★) المتعلق باعتبارها الذاتي. وهذا يجعلها عرضة للتأثيرات السلبية مثل التشديد على خفض الوزن وضبط الشهية واعتبار الهزال مظهراً جميلا."

(★) Positive feedback

مجلة "طبيب العائلة الامريكية"

ثلاثُ عِبَر

لكل قرية أو مدينة عبرها الخاصّة في الشجاعة والمعروف وآداب السلوك

••• رجل الاخطار •••

يسير فريد اينمان متكئاً على عصا بسبب رصاصة اخترقت ساقه اليسرى حين حاول رجلان سرقته قبل بضع سنوات. وقد مزقت الرصاصة عضلا في ساقه فباتت قدمه تنحرف جانبياً عند المشي. ولم تكن تلك المرة الاولى يواجه فريد مشاكل. فذات مرة سارع الى مساعدة فتاة كانت تقاوم رجلين حاولا الاعتداء عليها في ملعب بمدينة واشنطن. فصاح فيه أحد المهاجمين: "اذهب من هنا أيها العجوز، فالامر لا يعنيك."

لكن فريد أصرّ على أن الامر يعنيه. فأمسك أحد الرجلين وحرّر الفتاة. وما لبث أن وجد نفسه يحدّق الى ماسورة بندقية. واذ مد يده لامساك البندقية أطلق المهاجم النار.

قال فريد لاحقاً وهو يدلّك مكاناً أصلع في أعلى رأسه حيث استقرت بضع خردقات: "لست أخشى أي بندقية. فليطلقوا النار ما شاؤوا. قد أنهار انما لن أستسلم أبداً."

ويحاول فريد أن يكب على مهنته، وهو ميكانيكي يعمل في فناء بيته. لكنه عندما يسمع نداء استغاثة يتحول مقاتلا شرساً.

ولد فريد في الخامس عشر من شهر يونيو (حزيران) عام ١٩٢٢. وعلى رغم بلوغه الرابعة والستين من عمره فانه لا يزال الشخص الذي يجسّد برنامج "السهر ضد الاجرام في الجوار" الذي تبنته المنطقة. وهو يحمل ندوب سبعة جروح تركتها رصاصات تثبت أن الرجل لا يكتفي بالمراقبة عند وقوع حادث. وهناك خط عمودي من القطب الجراحية يبلغ طوله ٣٦ سنتيمتراً ويمتد من صدره الى خصرِه، وهو بقي بعدما انتزع الاطبّاء رصاصتين من أربع أُطلقت على معدته خلال محاولة لسرقة دكان بقالة. واستقرت الرصاصتان الباقيتان قريباً جداً من عموده الفقري مما لا يسمح بانتزاعهما.

أما السبب الذي يدفع رجلا الى المخاطرة بحياته من أجل الجيران والغرباء على حد سواء، فيسهل على فريد

شرحه: "ثمة صوت وحركة داخليان يحضانني لكي أفعل شيئاً، فأستجيب."

ويضيف: "على كل انسان أن يتورط، أن يفعل ما في وسعه، أن يقف ويكون شاهداً، والا فالخطر سيعم الجميع."

كورتلاند ميلوي

في "واشنطن بوست"

... صانعا خير ...

جون وفيليس زونيغا زوجان يقطنان في مدينة كانساس. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٤ استجابا لاعلان أدرج في احدى الصحف يعرض كلباً للبيع. لكن الاعلان لم يحدّد أن مالكي الكلب، وهم عائلة مؤلفة من ١١ فرداً، أرادوا بيع الكلب لشراء طعام.

وتتذكّر فيليس: "عندما قصدنا منزلهم أصبنا بصدمة. كانوا يعيشون من دون ماء ساخن ومن دون غاز للتدفئة منذ أكثر من ثمانية أشهر، ويحاولون اعالة أنفسهم ممّا يؤديه الوالد من أعمال مختلفة حينيّة وقصيرة الامد. الا أن الحظ سحقهم، وفي النهاية شب حريق في منزلهم.

وتأثرت فيليس التي تعمل في تجارة العقارات الصغيرة، وتأثر جون الذي يعمل ميكانيكي طائرات، بالوضع المأسوي للعائلة. واثر عودتهما الى منزلهما مع الكلب قرّرا مساعدة العائلة.

راحت فيليس تطلب من الجيران والاصدقاء تقديم تبرعات من لوازم منزلية وثياب مستعملة. وأتاح بعض المال الذي ادخرته وزوجها اجراء اصلاحات اساسيّة في منزل العائلة المعوزة ودفع بعض الديون المستحقّة وملء حجرة المؤن.

وبعد فترة سمعت فيليس بعائلة أخرى تعاني عوزاً شديداً، فسارعت وزوجها الى نجدتها. وسرعان ما انتشر هذا النشاط الخيري واتسع نطاقه. وتقول فيليس: "لقد أصبح عمل الخير حديث الناس. وأصبحنا اليوم نسمع بآلاف العائلات المعوزة شهرياً."

وأدرك آل زونيغا أن الوكالات الحكومية الامريكية ومنظمات الخدمة الاجتماعية تعجز عن تأمين كل العون المطلوب وتخيب مساعي عائلات معوزة كثيرة في نيل الموافقة للحصول على المساعدة. أما تلك التي تنال الموافقة فتضطر الى الانتظار أكثر من ستة أسابيع قبل تلقّي المعونة. وهذه الفترة طويلة جداً في وقت الازمات. وتأبى عائلات أخرى، لعزة نفسها، طلب المساعدة من مصلحة الانعاش أو المؤسسات الخيرية، لكنها تقبل ما يقدّم اليها سراً. وتقول فيليس: "عملنا منذ البداية على أساس عدم طرح



Hank Young / Black Star / Woman's Day

فيليس زونيغا واحدى عائلاتها.

أسئلة. فلم نشترط أي ارتباطات أو عراقيل ادارية أو ترتيبات شكلية أو وعود معينة."

وتكرّس فيليس حالياً كامل وقتها لبذل المساعي الطوعية للعائلات. ويواصل جون البحث عن الحاجات الموهوبة وتسليمها حال عودته من عمله. ويساعد ابنهما ديون (١٦ عاماً) في قيادة سيارة العائلة وفي الرد على الاتصالات الهاتفية وتصنيفها وفي فرز الثياب الموهوبة المخزّنة في الطبقة السفلى من المنزل.

وعلى رغم الاستنزاف في الوقت والموارد المالية تأمل عائلة زونيغا رؤية برنامجها ينمو اكثر. وتقول فيليس: "من واجبنا الاهتمام باخواننا في هذا العالم. ويظن بعض الناس أننا موضع استغلال أو غش، الا أننا لم نصادف حتى اليوم الا أشخاصاً أرادوا مكافأتنا بطريقة أو بأخرى. وقد أصبحنا أصدقاء لعدد كبير من الناس الذين احتاجوا ذات يوم الى المساعدة، فبتنا أغنى كثيراً من ذي قبل."

أندريا وارن
في "يوم المرأة"

••• إستحقّ الجندية •••

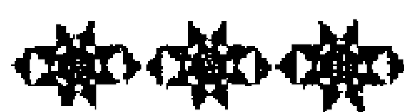
طوال معظم سنيّه الثماني عشرة كان آلن بيبكي من نيوهافن بولاية ميشيغان يحلم أن يقود طائرة عسكريّة. ولما كان لا يحمل الشهادة الجامعية التي تخوّله أن يصبح طيّاراً في سلاح الجو، اختار الانخراط في الجيش الامريكي. ومعروف أن على الجنود اجتياز مسافات طويلة مشياً على الاقدام. الا أن أطباء الجيش لم يعجبوا بقدمي آلن الذي كان يعاني مشكلة جلدية في باطن القدمين، ورفضوا طلبه بحجّة أنه عاجز عن اجتياز ثلاثين كيلومتراً في حذاء القتال.

الا أن آلن بدأ رحلة في الثالث عشر من شهر أكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٨٥، ليبرهن لاطباء الجيش أنهم على خطأ. فاجتاز مشياً المسافة الممتدة من منزله في ميشيغان الى مدينة واشنطن، أي ما يقارب ٨٦١ كيلومتراً، حاملا رزمة تزن ١٤ كيلوغراماً. واستغرقت مسيرته ١٣ يوماً. وكانت والدته تتقدم في السيارة مستكشفة الطريق لتحديد مواقع التخييم الليلي وتأمين الدعم له. وأقرّ آلن: "لقد آلمتني قدماي، شأن كل انسان يقطع هذه المسافة، لكن أمراً لم يكن ليثبط عزيمتي."

وعندما أصبح آلن على مسافة ١٤٠ كيلومتراً غرب مقصده تلقى الخبر السّار. فبعد اعادة النظر في تقارير طبية مختلفة وضعها عدد من الاختصاصيين، قررت قيادة الجيش تبديل موقفها حياله.

والتحق آلن بمركز للتدريب في فورت نوكس بولاية كنتاكي في التاسع من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦.

صحيفة "الشعب"



اذا أُعطيت أن تعرف شيئاً حقاً، فعلّمه لغيرك.
ترايون ادواردز

مارتن شميت
شق دروباً بين المجرات

حملت اكتشافات هذا الفلكي الهولندي المعرفة البشرية الى حدود الزمن وجعلت من علم الكون مادة تلهم الفنانين والشعراء



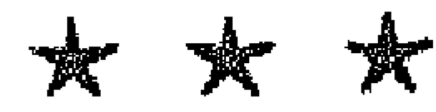
فوق جبل بالومار في كاليفورنيا وفي الليالي الصافية التي يخيم عليها السكون، يحشر الدكتور مارتن شميت (٥٥ عاماً) جسده الناحل الممشوق في قفص صغير ويوجه منظار هيل الضخم صوب نقطة صغيرة في عمق الفضاء. وهذا المنظار الذي يتجمع فيه الضوء مليون مرة أكثر مما يتجمع في العين البشرية، يلتقط النجمات الخابية والمجرات البعيدة التي لم يسبق أن شاهدها انسان.

Illustration: George Angelini

وفي تلك الليلة التي غاب قمرها كان شميت، الذي يشغل منصب أستاذ علم الفلك في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، يبحث عن الكوازارات وهي الابعد مسافة بين الاجرام السماوية والاكثر غموضاً والأشد تعقيداً.

والمسافات في علم الفلك تقاس بالزمن. ويعتقد المنظرون ان "الدوي الهائل" او الانفجار الضخم الذي ولّد الكون وقذف المادة في كل الاتجاهات، حدث قبل ١٥ الى ٢٠ مليار سنة. وأبعد كوازار تمّ اكتشافه الى الآن يبعد ما بين ١١ و١٢ مليار سنة ضوئية (١). ويوضح شميت "ان ذلك يعني ان الضوء الذي نراه اليوم غادر الكوازار قبل ١١ أو ١٢ مليار سنة، أي بكلام آخر اننا نتطلع الى الخلف بين ١١ و١٢ مليار سنة."

ومثل تلك المسافات التي يتعذر سبر غورها توحي أن الكوازارات التي قيل في وصفها إنها "كالمشاعل على شاطىء المحيط المظلم،" تشكلّ الحدود القصوى لما يمكن ان يُرى في الكون المرئي، اي آخر مادة يمكن التقاطها. على انه، استناداً الى شروح قدّمها شميت، يمكن اكتشاف كوازارات اخرى.



مثل النجوم البعيدة – الكوازارات تشبه النجوم البعيدة الى حدّ كبير. والبحث عنها عملية بطيئة ودقيقة في آن. ويتطلع شميت الى يوم يبنى مرصد جديد على منحدرات بركان موناكي في هاواي. وسيضم منظاراً يدعى "كيك" ويكون اكبر منظار بصري في العالم وذا فاعلية تمكنه من رصد نور شمعة وحيدة تبعد عنّا مقدار ما يبعد القمر. وهو "سيمكّننا من مشاهدة نجوم خافتة عدة اخرى ومجرات كذلك وربما كوازارات أبعد مسافة وابهت نوراً" على حافة الكون لا بل حافة الزمن.

في تلك اللحظة يشعر مارتن شميت بسعادة عارمة. وآخر هذا الشهر تنتهي ولايته كرئيس للجمعية الفلكية الامريكية التي تضمّ ٤٠٠٠ عضو. والنظريات التي وضعها شميت والنتائج التي توصّل اليها اصبحت، بعد مرور اثنتين وعشرين سنة على اكتشافه أول دليل الى المسافة التي تفصل الكوازارات عن الارض وتقديمه الاطار العلمي لفهمها، الاساس الذي يرتكز عليه علم الفلك. ويقول اندرو فراكنوي المدير التنفيـذي للجمعية الفلكية لمنطقة المحيط الهادىء: "ان مجموعة كاملة من النظريات التي انبثقت من دراسات شميت، احتلت اليوم مكانها الصحيح."

في غرفة مكتبه الواسعة والمريحة في منزله في كاليفورنيا يبدو شميت سعيداً وهو يروي كيف صنع عندما كان في الثانية عشرة من عمره وهولندا محتلة، اول منظار فلكي.

وُلد شميت في غروننغن، وكان والده محاسباً في احدى الدوائر الرسمية. ولا تزال والدته انتجي حية تعيش في لاهاي. ويروي ان عمه ديك "كان صيدلياً ويهوى

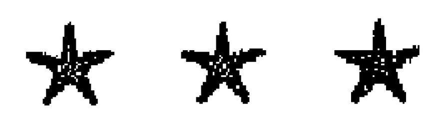
---

(١) تقدر سرعة الضوء بحوالى ٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية اي ٩،٦ ترليون كيلومتر في ٣٦٥ يوماً. والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة شمسية واحدة.

علم الفلك - ولا يزال - على نحو بارع. وصيف ١٩٤٣ امضينا معاً اسبوعاً في بيته في بوسوم. وقد اطلعني على منظاره وشرح لي كيف أصنع واحداً لنفسي."

وفي اثناء زيارة قام بها شميت لمنزل جدّيه في بيرشوت، عثر على عدسة كبيرة فحملها الى البيت حيث ثبّتها مع عينية صغيرة على احدى لفائف ورق الحمام "وكانت هذه الانبوب البؤري الوحيد المتيسّر. وبدت العدسة ناتئة عن جانبي الانبوب ولكن ما همّ، كانت تعمل!"

بعد ذلك كتب مارتن الصغير الى عمّه يسأله عمّا يفعله باختراعه. فاجابه ديك ناصحاً بالبحث عن نجمة مزدوجة في كوكبة معينة. لم يزد على ذلك ولم يقل له - وان تلميحاً - اين هي. "فاضطررت عندئذ الى مراجعة مكتبة البلدية والبحث عن تلك النجمة في الكتب المتوافرة. ورحت انسخ المعلومات التي وجدتها. وما زلت احتفظ، الى الآن، بالكثير من الملاحظات التي دونتها آنذاك."



الجاذبية وحركة المجرة - في العام ١٩٤٤، وبعدما اغلقت قوات الاحتلال الالمانية المدارس في غرونغن، توافر لشميت ولصبي آخر يدعى جان بورغمان(٢)، وكان مثله يهوى علم الفلك، متسع من الوقت اتاح لهما التفرّغ لهوايتهما تلك.

ويتحدث شميت عن تلك الفترة فيقول: "لم يكن الحصول على اللحوم والسكر والخضر والوقود بالامر اليسير، ولكن من غريب المصادفات ان المعادن كانت متوافرة. وهكذا وفيما افتقرنا الى ضروريات العيش، استطعنا انا ورفيقي انجاز أمور تقنية عدة في مجال علم الفلك."

وفي العام ١٩٤٩ وبعد تخرّجه في جامعة غرونغن، عُيّن شميت مساعداً للبروفسور جان اورت في معهد علم الفلك التابع لجامعة ليدن. وذات يوم سأله اورت إذا كان يرغب في تمضية سنة في كينيا حيث سيتسنى له ان يراقب النجوم ويرسم مسارها من مكان قريب من خط الاستواء. فرد شميت بالايجاب وتوجه الى شرق افريقيا وبقي هناك مع مدير المشروع غيجسبرت فان هيرك حتى انتهاء العمل فيه في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥١.

بعد عودته الى هولندا تابع شميت دراسته الجامعية في ليدن حيث اجرى احدى اولى الدراسات حول الهيكل اللولبي للهيدروجين في مجرتنا. وفي اطروحته لشهادة الدكتوراه قدّم أول نموذج رياضي يصف كيف ان دوران المجرة حول نفسها تحدّده الجاذبية. واعتبر عمله مذهلا خصوصاً بالنسبة الى طالب جامعي وذا فائدة عمليّة لعلم الفلك امتدت حتى منتصف الستينات حين تم التوصل الى نتائج جديدة.

والآن أصبحت موهبة شميت أمراً مسلماً به. فهو كان يسير في الواقع على خطى من سبقه من الهولنديين المجلين في علم الفلك. وبعد الحرب العالمية الثانية كان فلكيون من اصل هولندي

(٢) يشغل جان بورغمان اليوم منصب رئيس جامعة غرونغن في هولندا.

يشرفون على قرابة نصف دزينة من المراصد في الولايات المتحدة. ويعرب شميت عن اعتقاده "ان عدداً كبيراً من الفلكيين الهولنديين تابعوا خطى جاكوبوس كابتين الذي توفي سنة ١٩٤٢. وهو الذي بنى نموذجاً لنظام الطريق اللبني الذي عرف في ما بعد باسم: عالم كابتين."

ومن أجل اكمال دراساته لمرحلة ما بعد الدكتوراه، حصل شميت على منحة كارنيغي ومدتها سنتان. وكان عليه ان يتابع ابحاثه في مرصد "مونت ولسون" في باسيدينا بكاليفورنيا. فانتقل اليها في العام ١٩٥٦ مع زوجته الجديدة كورنيليا جوهانا. وفي العام ١٩٥٨، اي بعد انقضاء السنتين، عادا معاً الى هولندا حيث لم يلبث ان تلقى عرضاً مغرياً من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا وبعد سنة قبل وظيفة تدريسية فيه.

★ ★ ★

الاجسام الغريبة - في اواخر الخمسينات كان علماء الفلك بدأوا مراقبة الفضاء بواسطة المنظار اللاسلكي. وقد رصدت تفجّرات هائلة من الطاقة الشعاعية يرجع معظمها الى مجرات نائية. على ان اشارات اخرى مختلفة جداً كانت تنبعث من اجسام غريبة يميل لونها الى الزرقة عرفت في ما بعد باسم كوازارات اي مصادر شعاعية تشبه في ظاهرها النجوم.

في طيف الضوء الطبيعي المنبعث من النجوم ينتشر النور في الوان واطوال موجية كتلك الموجودة في قوس القزح. ويمكن تحديد العناصر الموجودة في نجمة ما بواسطة حزم ضوء وباطوال موجية معينة. وحزم الضوء هذه تكون اما متوهجة واما قاتمة وهي بمثابة بصمات الاصابع. وتبيّن أن اطياف الضوء المنبعث من الكوازارات احتوت خطوطاً ذات اطوال موجيّة غريبة لم يجد الفلكيون لها تفسيراً استناداً الى ما كان معروفاً عن النجوم والمجرات.

وفي اوائل العام ١٩٦٣ وجد شميت نفسه امام طيف ضوء قوي منبعث من كوازار عُرف برمز "٣ ث ٢٧٣"(٣) حددت مصدره أجهزة لاسلكية تعود الى فلكيين من اوستراليا. وقال شميت ان هذا الطيف احتوى على ستة أحزمة متوهجة "لم يكن لاثنين منها أي معنى. وعندما أهملتها تبين ان للاربعة الاخرى سياقاً منتظماً وان بينها مسافات منتظمة كذلك. عندئذ قررت ان ارسم شكلا بيانياً يظهر مستوى الطاقة." وبدت الخطوط مألوفة وتوزعت في نمط مطابق للنمط الذي يتبعه الهيدروجين العادي وهو العنصر الاكثر غزارة في الكون.

كان معروفاً لدى الفلكيين ان موجات الضوء المنبعث من المجرات النائية تزداد طولا او يتحول لونها الى الاحمرار كلما ابتعد بها الكون المتمدّد باستمرار عن الطريق اللبني. تلك كانت القاعدة: كلما ابتعدت المجرات او الكوازارات، ازداد احمرارها. وقد استعان شميت بمسطرة حاسبة فاكتشف أن احدى الحزمات الاكثر توهجاً في طيف الضوء

(٣) 3C 273

المنبعث من الكوازار قد ازداد احمرارها بنسبة ١٦ في المئة. وتحدث عن هذه الظاهرة فقال: "في البدء هززت كتفي غير آبه لهذا الاكتشاف الاول، ولكن عندما وجدت الامر نفسه يتكرر في الحزمة الثانية، بدأ هذا الشأن يثير اهتمامي." وعندما تكرر ذلك في الحزمتين الثالثة والرابعة ايقن شميت انه امام جديد، فاستدعى زميله جيس غرينشتين الذي كان وجد اثناء درسه للكوازار "٣ ث ٤٨"(٤) احمراراً في طيف الضوء المنبعث منه قدر نسبته بـ٣٧ في المئة، الا ان ذلك لم يستوقفه لاعتقاده ان الكوازار اقرب الى الارض من تلك المسافة التي يشير اليها هذا الاحمرار، لكنه سرعان ما ادرك خطأه بعدما استمع الى شميت الذي صرّح في ما بعد: "هذان الرقمان اوضحا الامر كله." وفي الحال ادرك العالمان حقيقة المسافة التي تفصل الكوازارات عن الارض. وحددت المسافة بين كوازار "٣ ث ٢٧٣" والارض بملياري سنة ضوئية وتلك التي بين الارض وكوازار "٣ ث ٤٨" بما يزيد على اربعة مليارات سنة ضوئية.



الاكتشاف الكبير - هزّ هذا الاكتشاف الفلكيين في العالم وظهرت على اثره صورة شميت على غلاف مجلّة "تايم". على ان انجاز هذا العالم الهولندي البالغ من العمر ٣٣ سنة آنذاك، كان في مستهلّه. وبقي عليه ان يدعم النظريات التي صاغها ويعثر على كوازارات ابعد.

وفي العام ١٩٦٤ اكتشف شميت كوازاراً أبعد من كوازار "٣ ث ٤٨" وتبلغ نسبة احمراره ٥٥ في المئة. وبعد سنة عثر على كوازارات وصل احمرارها الى ١٠٠ في المئة و٢٠٠ في المئة. وفي ١٩٧٣ اكتشف كوازاراً بلغت نسبة الاحمرار فيه ٣٥٣ في المئة وسرعة ابتعاده عن مجرتنا ٩١ في المئة من سرعة الضوء.

اما قمة الاكتشافات فكانت الكوازار "بي. كي. اس. ٢٠٠٠ - ٣٣٠"(٥) الذي عثر عليه فلكيان اوستراليان في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٢، وهو يبعد عن الارض مسافة ١٢ مليار سنة ضوئية وتبلغ درجة تحوله الى الاحمرار ٣٨٧ في المئة وهي نسبة مرتفعة جداً. بيد ان تلك الكوازارات النائية تبقى نادرة. ويبدي شميت "استعداداً تاماً لتقبل الفكرة القائلة باننا لن نجد كوازارات تبعد كثيراً عن تلك التي تم اكتشافها الى الآن."

ولقد اتاح اكتشاف تلك الكوازارات الفرصة لعلماء الفيزياء الفلكية لجمع معلومات جديدة عن الثقوب السود التي ربما كانت بقايا مجرات تلاشت او اجزاء من مجرات، حيث قوة الجاذبية تمنع الضوء من الانفلات. ويعتقد العلماء ان في قلب الكوازارات ثقوباً سوداً وان الطاقة الهائلة التي تختزنها هي التي تزوّد الكوازارات المتألقة "الوقود" ومن خلال عملية لم يدرك كنهها بعد. وبغياب الدليل القاطع تبقى الثقوب السود تلك التفسير الوحيد للطاقة الهائلة التي تختزنها الكوازارات.

ان البحث عن كوازارات أبعد مسافة

(٤) 3C 48
(٥) PKS 2000 — 330

وربما ابهت نوراً لن يتوقف. وسوف يستمر البحث عنها بواسطة المنظار "كيك" الموجود في موناكي يساعده منظار بصري جديد كان متوقعاً ان يطلق من مكوك فضائي امريكي هذه السنة وبواسطة منظار آخر يعمل على الاشعة ما دون الحمراء ويوضع في مدار فضائي سنة ١٩٩٣. ويعلق شميت آمالا كبيرة على المجال البصري الجديد ويقول: "سوف يتيح لنا هذا المجال التقاط تفاصيل اكثر دقة، ولانه يتخطى الغلاف الجوي فسيتسنى لنا التقاط صور اكثر وضوحاً من تلك التي تلتقط بواسطة المناظير الفلكية الارضية."



الفلكيون مثل الشعراء – ما هو شعور مارتن شميت وهو "يغوص" ببصره في الفضاء السحيق و"يستشرف" حافة الزمن؟

يجيب: "لا يسع المرء الا ان يشعر بالرهبة. فالعلماء قادرون على تفسير ظواهر الكون اكثر واكثر غير انهم لن يستطيعوا كشف علة الكون ووجود البشر." ويقول ان الاكتشافات الفلكية "تثير في النفوس المشاعر والاحاسيس نفسها التي تثيرها الاعمال الفنية العظيمة كالشعر والموسيقى الرائعة. انها تسمو بالروح وترتفع بها الى عل."

وشميت مقتنع بان علم الفلك هو امتداد طبيعي لحاجة الانسان الى ان يعرف المزيد عن نفسه وهو يقول: "ان المادة هي في جوهرها واحدة، اينما وجدت في الكون. فالهيدروجين والهيليوم الموجودان في الكوازارات والمجرات والنجوم والكواكب أحدثهما الانفجار الكبير الذي ملأ الكون. وعلى اثره تكونت النجوم والكواكب وبدأت الحياة على الارض. والذرات الاثقل في ملعقة او طاولة ما او في جسدي أو جسدك، كلها مصدرها واحد: النار النووية الموجودة داخل النجوم. اننا جميعنا من غبار النجوم." واذا ما نظرنا الى علم الفلك هكذا، سهل علينا ان نفهم كيف انه مادة للفن والشعر ومصدر وحي مارتن شميت.

جاي ستولر ■



لعبة "التفاهات"

حين انتهى الاستاذ من إلقاء محاضرته الأخيرة في العلوم الاجتماعية اندفعت اليه طالبة في السنة الاولى قائلة: "يا أستاذ، أريدك أن تعرف أني تعلمت الكثير الكثير من درسك". ولم يكد صاحبنا يسرّ ويهمّ بالرد بالعبارة الملائمة حتى أضافت الفتاة: "والسبب أني فزت في لعبة "التفاهات" (Trivial Pursuit) مساء السبت الماضي بفضل ما علمتني إياه."

ل.س.

ألوف السائقين وركاب السيارات يموتون سنوياً على الطرق الثلجية. هنا تدابير وقائية لتخفيف الخطر

سُبُل السَّلامة في القيادة الشتائية

على رغم التحذيرات التكنولوجية الدقيقة التي تنبىء بالاحوال الجوّية، فلا يزال سائقو السيارات كل شتاء يتعرّضون للضياع والانقطاع على الطرق التي تسدّها الثلوج. وكثيراً ما تنتهي معاناتهم بفاجعة. فاذا كنت غير قادر على التكهن بكل طارىء ففي امكانك أن تحسن فُرصك في البقاء حيّاً باتباع التدابير الوقائية اللازمة. واليك في هذا الصدد القواعد التي ينصح بها خبراء القيادة ورجال الشرطة ونوادي السيارات.

■ **احتفظ في سيارتك بعدّة تسعفك في البقاء حياً** (راجع ملحق "عدة النجاة في القيادة الشتوية").

كين كينيدي تاجر من مدينة وينيبغ كان خارج قرية موريس في ولاية مانيتوبا عندما سقطت سيارته في حفرة أثناء عاصفة ثلجيّة في يناير (كانون الثاني). ولكونه سائقاً مجرّباً فقد كان خزان سيارته مليئاً بالوقود ولديه العدّة الضرورية، انّما فاته أن يحضر الحرام الذي يحمله دوماً في سيارته. كان لديه عدد وافر من الشموع وعيدان الثقاب الجافة، وبهذه استطاع البقاء دافئاً. وعندما نفدت الشموع أخذ يشعل صفحات من كتاب دليل المبيعات الذي يحتفظ به على المقعد الخلفي. وأخيراً أنقذه من الحفرة مزارع بجرافته الثلجيّة بعدما أمضى ٤١ ساعة داخل سيارته.

■ **اضبط محرّك سيارتك كي يعمل بدقة وانتظام في فصل الشتاء.** تأكد من أن الاطارات (الكفرات) الشتوية في

حال جيدة، وأن لديك المقدار الكافي من السائل المنظّف للزجاج الأمامي، ممزوجاً بمادة مقاومة للتجمّد(★).

■ **قُدْ سيارتك وفي خزان الوقود دائماً أكثر من نصفه**، فاذا انقطعت في الطريق كان لديك مزيد من الوقت لادارة المحرّك في فترات متقطعة لكي تدفأ. وعندما يكون خزان الوقود ممتلئاً الى أعلى من الوسط، فانه يمنع تكثف البخار وتكوّن الجليد في أنابيب جهاز الوقود.

■ **أبقِ دائماً في سيارتك ملابس للتدفئة**، ولا تنس القبعة والقفّازات وان كنت تقود السيارة داخل المدينة، لان الرحلة وان بدت قصيرة فربما طالت من دون أن تتوقع.

في ٤ مارس (آذار) ١٩٨٥ غادر جان مارك تيريو منزله بالقرب من أوشاوا في أونتاريو متوجهاً في سيارته الى مركز عمله في قلب تورنتو. وقدّر أن تدوم رحلته ٥٠ دقيقة كالعادة، لكنها استغرقت ١٤ ساعة، لأنه تسمّر في الطريق وسط زحمة سيارات نجمت عن غزارة الثلج والمطر المتجمّد. وهو لبث محبوساً في سيارته لمدة ثماني ساعات على رغم جهود ١٢٠ جرافة ثلج و٦٢ فارشة ملح لفتح الطريق. ومن عادة تيريو أن يُبقي خزان الوقود مليئاً في الشتاء، لذلك أمكنه أن يدير محرك السيارة مدة عشر دقائق كل ساعة، وكانت هذه الفترة كافية لتدفئة داخل السيارة ومكنته من الاستماع الى الاذاعات. وكانت لديه سترة مبطّنة بالفرو ومجلة للقراءة وكعك محلى.

مع كل ذلك نسي شيئاً ضرورياً.

لدى معاودة السير بدأت الرحلة البطيئة رجوعاً الى البيت. لكن تيريو كان يتوقّف في الطريق للمساعدة في دفع السيارات المتوقّفة. وكانت سيارته أيضاً تتوقف أحياناً. وأخذ يردّد: "كان يجب أن أبقي معي رفشاً لجرف الثلج."

احتياطات لازمة – قد تبدأ المتاعب في أي لحظة أثناء الشتاء. فاذا كان الطقس يزداد سوءاً، توجّه الى أقرب مكان فيه هاتف، فاذا وجدت نفسك في ورطة، فكّر بتأنّ في ما هو الأفضل أن تعمله: أتبقى داخل السيارة وتنتظر وصول النجدة، أم تحاول أن تحفر تحت عجلاتها وتحررها من دون أن ترهق نفسك، أم تتجه الى أقرب مركز للاسعاف؟

ان لم تكن على ثقة تامة، بأنك قريب من مكان تلجأ اليه، فالأفضل أن تبقى داخل السيارة وتنتظر الى أن يأتي من يخلصك. فعدم وضوح الرؤية في العاصفة يسبّب خداعاً للنظر فيتعذر على المرء أن يتبيّن المسافات الصحيحة.

في ليلة برد قارس من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ كان جون بايلي (٨٥

(★) Antifreeze

عاماً) ومعه زوجته آني (٨١ عاماً) يقود سيارته متجهاً الى بيته في رسل بمانيتوبا. وضغط الكابح امتثالا لاشارة الوقوف، فانحرفت السيارة عن الطريق. وأدار الزوجان المحرك بقصد التدفئة، ولكن سرعان ما نفد الوقود. عندئذ أقنع جون زوجته بالبقاء داخل السيارة فيما حاول هو قطع مسافة ثلاثة كيلومترات الى احدى المزارع طلباً للنجدة. وكانت الحرارة ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، لذلك لم يتمكن جون من تحقيق غايته. ووجدت جثته صباح اليوم التالي بجانب الطريق. أما زوجته فوجدت حيّة داخل السيّارة وقد تلفعت بمريول مطبخ تدفأت به.

في حال بقائك داخل سيارتك عليك أن تأخذ الاحتياطات اللازمة. أضيء شعلة كي يسهل الاهتداء اليك. افتح النافذة غير المعرضة للريح حوالى نصف سنتيمتر لتؤمن تهوئة جيدة. افتح بقية النوافذ والأبواب بين وقت وآخر كي لا تتجمّد بفعل الجليد فيصعب فتحها. واذا كانت لديك سيارة ستايشن (أو أخرى يمتد سقفها الى الوراء) فاترك النوافذ الخلفية مقفلة لئلا يدخل منها دخان خانق من العادم. وقبل أن تدير المحرك تأكد من أن أنبوب العادم غير مسدود. واذا لم يكن لديك رفش فاستعمل أحد أغطية العجلات (الطاسات) لازالة الثلج من حول العادم.

الهدوء هو الاهم — فكّر بهدوء واستنبط طرقاً بما هو متيسر لديك من عدة وامكانات. فان لم تكن لديك شعلة تضيئها أو اذا أطفأها الثلج والريح، فاربط بالهوائي وشاحاً أو قطعة قماش ملوّنة. واذا لزم الامر فانزع أغطية المقاعد لتتدفأ بها.

أدِر المحرك مدة تراوح بين ١٠ دقائق و١٥ دقيقة كل ساعة، أو ما يكفي من الوقت لتبقى الحرارة في المستوى المطلوب. واذا شعرت بالنعاس أوقف المحرك للحال. أخرج من السيّارة لتهوئتها، فالحركة والهواء النقي يبعثان فيك النشاط.

احفظ غطاءي المحرك والصندوق مقفلين لئلا يتسرب غاز العادم الى الصندوق ولئلا يدخل الثلج المحرك فتصعب اعادة ادارته.

وأهم من كل ذلك أن يكون هناك من يعلم بالجهة التي تقصدها والطريق التي تسلكها والوقت الذي يستغرقه وصولك. فاذا حدث أن افتُقدت ففي امكان مفرزة الطرق العامة أن تحدد تقريباً المكان الذي يحتمل أن يعثر فيه عليك.

في رأس السنة من العام ١٩٨١ ذهب أربعة شبان في رحلة من نيوكاسل في نيو برنزويك لزيارة أصدقاء لهم في بلفوند التي تبعد ٣٠ كيلومتراً، من دون أن يعلموا أحداً بوجهتهم. وفيما هم في منتصف الطريق نفد مخزون الوقود لديهم ووجدوا أنفسهم منقطعين في قلب غابة

تغمرها الثلوج. لم يكن أي منهم يرتدي قبعة أو قفازات ولم تكن لديهم عيدان ثقاب جافّة أو بطانيات أو غيرها من الأدوات التي تمكّنهم من البقاء. ولانهم لم يطلعوا أحداً على مقصدهم فقد أيقنوا أن فرص نجاتهم باتت ضعيفة، خصوصاً لأن الثلج بدأ يسقط.

بعد منتصف الليل قرر اثنان منهم أن يتركا السيارة الى نيو كاسل طلباً للنجدة. ولكن بعد ثلاثة أيام عثر أحد الحطّابين على جثة أحدهما متجمّدة وأعلم فرسان الشرطة الكندية بالامر. وأبلغ الخبر الى فريق النجدة الذي كان يبحث في الغابات على بعد ٨٠ كيلومتراً من المكان. فتوجّه المنقذون الى هناك ووجدوا جثة الشاب الآخر في مكان مجاور. وبعد ساعة وُجد الشابان الآخران على قيد الحياة بعدما أمضيا ثلاث ليال داخل السيارة. ولدى العثور عليهما كانا خارجها يحاولان تدفئة جسديهما وهما منهكان وعلى الرمق الاخير.

مهما حدث فعليك أن تظلّ هادئاً.

يقول أندرو ماكسيمشوك المدير المفوّض في أكاديمية الشرطة الاقليمية في اونتاريو والخبير في أساليب البقاء في البرّية: "ان الوضع نادراً ما يكون سيئاً في الحقيقة كما يبدو للوهلة الاولى. فالبقاء على قيد الحياة يتوقف فعلا على هدوء المرء وحسن تفكيره وتصرفه قبل الحادث الطارىء وخلاله."

ايلين بتيغرو ■

عدة النجاة في القيادة الشتائية

- رفش
- ملح أو رمل
- لبادة فولاذية أو قطعة سجاد عتيقة لسحب السيارة عليها
- أسلاك لحقن الكهرباء (للتذكير)
- حبل أو سلسلة للقطر
- عدة الاسعافات الاولية
- اشارات ضوئية أو نارية
- مشعل كهربائي
- بطانيات أو أكياس نوم
- شموع وعيدان ثقاب مانعة للماء وقدر أو "ركوة" قهوة لتذويب الثلج بقصد الشرب
- طعام غير قابل للتلف يحتوي على طاقة حرارية عالية، كالسكر وألواح الشوكولاتة
- راديو ترانزيستور

لا تضيع وقتك متسائلا: "لماذا لا يكون العالم أفضل مما هو؟" فالاجدى ان تسأل نفسك: "كيف يمكنني أن أجعله أفضل؟" عندئذ ستلقى جوابا عن سؤالك.

ل.ف.

يطيرون مثل العصافير

لخّص ١٨ سنة من حياتنا معاً بكلمة واحدة: "وداعاً"

صافحه أبوه بوقار ثم قبّلته أنا على خده. لكن كريغ لخص السنوات الثماني عشرة من حياتنا معاً بكلمة واحدة: "وداعاً." ثم استدار ومشى مسرعاً الى مبنى جامعي ناء. كان شاباً على عتبة البلوغ توّاقاً إلى تذوّق المغامرة.

وعدت إلى البيت أبكي. فكريغ هو أصغر ولدينا، ولم تكن هذه المرحلة الجديدة من حياتنا لتثيرني بمقدار ما كانت تثيره، وسبب ذلك أن الأمور ستتبدّل من الآن فصاعداً. ان أخاه الأكبر مارك يعود الينا من الجامعة في أيام كثيرة. كذلك سيعود كريغ إلى البيت في العطل والصيف. فهو إلى حدّ ما لا يزال معنا وسيبقى معنا دائماً، لكن غرفته خالية والجامعة تشكّل مرحلة انعطاف حاسمة.

وعشنا أنا وزوجي راندال هذه المرحلة، بل نجحنا في اختبارها. فأنمينا علاقات

Illustration: Nicole Dunay

جديدة وبتنا نفخر باستقلالية ولدينا. لكن كل أمر تبدّل كما توقعت. فحتى لما عاد مارك إلى البيت في وقت لاحق إثر حصوله على وظيفة فانه رجع إلينا راشداً. واليوم لا أزال أشعر بغصّة كلما رأيت أولاد جيراني يغادرون الى الجامعة، لأنني أسترجع ذكرى فراق ابني الاصغر اذ ولج ذلك الباب الكبير.

وأدركت أن الدموع التي ذرفتها كانت دموع نجاح لا دموع خيبة. فنحن ننشأ معتادين الحزن الناتج من عدم تحقيق أحلامنا. لكنني لم أدرِ إطلاقاً أن بلوغ أهدافنا سيؤلم أيضاً.

فكلا ولدينا ـ وسيم ومعافى ولامع ويسهل عليه نيل الجوائز والشهادات ودخول الجامعات. لكننا لم نكن مهيأين لثمرة هذا النجاح، ألا وهي ألم الفراق. فعندما نقول نحن الأهل لولدنا: "سوف تكبر في يوم من الأيام،" فاننا نعني أنه سيكبر في يوم من أيام المستقبل البعيد جداً ولا نعني اليوم. والحقيقة الحلوة المرّة هي أن هذا اليوم يأتي أبكر ممّا نتوقّع.

الأبوة تقلب تسلسل المسؤوليات الأخرى. فيبدأ الوالدان بمسؤوليات ضخمة وبخبرة قليلة أو معدومة، ويكتسبان خبرة كلّما كبر الطفل. ولكن سرعان ما تنتفي الحاجة إليهما كمربيين عندما يجتمع لديهما المقدار الكافي من الخبرة، إلى أن يأتي يوم تصبح كل خبرة الوالدين عديمة الفائدة.

اليوم حين ارى الأمهات في المتاجر يتصرفن وكأن التبضّع مع أولادهن عمل رتيب سيستمر إلى الأبد، أرغب في أن أبوح لهن بهذا السر. وذات يوم بُعيد رحيل كريغ شاهدت طفلين يتشاجران في متجر ووالدتهما تصرخ فيهما: "كفّا عن هذا الشجار." وكنت أدرك مدى سطحية الشجار بين الاخوة، لكنني لو اندفعت إلى تلك المرأة الغريبة وقلت لها: "تمتعي بهذه المرحلة من حياتك فهي لن تدوم،" لاعتقدت أنني مجنونة.

وازداد شعوري بالوحشة لدى مروري بالقرب من ملعب مدرسة في أوائل الخريف. وزيّن لي خيالي أن ينفصل طفلان عن الحشد ويندفعا نحو سيارتي هاتفين: "مرحباً يا أماه. ما رأيك في تناول شطيرة معنا؟"

أما المنزل فبدا مهجوراً بلا أولاد. فالالعاب مخبوءة في القبو وصور التخرّج مصفوفة على البيانو والسكون يلف الغرف حيث غابت الحيويّة الصبيانيّة التي ملأتها في ما مضى. في الأيام المفعمة بالحياة كان المنزل يرجّع صدى خطوات الطفلين اللذين قلّما كانا يسيران، بل كانا يركضان أو ينزلقان أو يقفزان. وعندما كنّا نذهب في رحلات لنري ولدينا العالم، كانا هما يعرضان علينا العالم من خلال عيون الطفولة بعد ان ينهكنا التعب. فقد علمني مارك ألّا أكره الطرخشقون، فهي زهرة جميلة. وبات مذاق الطعام أشهى بوجود طفلين يشاركاننا فيه. حتى المعكرونة أصبحت من أطباق الذواقة.

وأخذنا ولدينا في رحلات قصيرة لا تحصى. ودوماً كانا هما المفسرين. وبعد رحيلهما حضرنا حفلات وعروض سيرك كثيرة، لكننا شعرنا على الدوام كأننا نزور بلداً أجنبياً من دون مرشد.

أنا انتقلتُ إلى عالم الأمومة بعدما مارست مهنة الصحافة. وكنت أنوي العودة إليها حالما أجد أحداً يشغل مكاني في المنزل. لكنني اكتشفت أنه ليس في امكان أحد أن يشغل مكاني فعلا. وسرعان ما أصبحت الكتابة الوحيدة التي يتيح لي وقتي انجازها هي لائحة عجلى بالبقالة التي أحتاج اليها. واليوم أرى أن البقاء في المنزل مع الأولاد أجزل مكافأة وإثارة للتحدي من أيّ عمل في المكتب. فالوظيفة ليست سوى وظيفة، في حين مرت فترة كنت فيها وولديّ نعني كل شيء أحدنا للآخر. أأطلب الشهرة؟ كنت أشتهر بمجرد نجاحي في خبز كعكة لذيذة. أأطلب الثروة؟ كنت أشعر بالثراء كلما اصطحبت ولديّ إلى حانوت لشراء أكواب الجيلاتي (آيس كريم). أأود التقدير؟ لقد مرّت فترة منحتني فيها عبارة "تقول أمي" السلطة في جميع الميادين.

الآن فقط أدرك أهمية تلك المهمة. فما فعلته أو لم أفعله سيؤثّر فيهما طوال حياتهما. وليس في طاقتي أن أرجع إلى الوراء وأؤدي أي عمل من جديد. كل ما يمكنني أن أرجوه هو أن تعادل الأخطاء التي ارتكبتها حين كنت منشغلة أو سريعة الغضب، الأوقات التي طرحت فيها كل شيء جانباً لأمنحهما العناية التي احتاجا إليها.

نادراً ما نبدي أنا ووالدهما اليوم نصيحة غير ملتمسة. فنحن نعلم أنه يتعين على كل جيل أن يرتكب أخطاءه، ونحاول ألّا ننتقد ولدينا لأننا نعلم أن العالم سيكون انتقادياً بما فيه الكفاية. فلا خيار لنا إلّا أن نؤدي الدور الاخير للأبوّة الصالحة، ألا وهو أن نتركهما يرحلان. لكن هذين الشابين الطويلي القامة ليسا هما اللذين أفتقدهما، بل اني أفتقد الصبيين الصغيرين العزيزين المقيمين فقط في كتاب الصور وفي الذاكرة.

الآن اتّسع وقتي لمهنتي من جديد. لكن ما يعكر هذه الحرّية هو الشعور بأننا خسرنا أفضل أدوار حياتنا. فالابوة رفقة يصحبها توافق فريد بين الامتياز والمسؤولية. وهي تمنح المرء وضعاً يسمو فوق المركز الاجتماعي والسلطة والثراء.

وتزداد الابوة رهبة إذ ندرك استحالة الرجوع عنها. فأولادنا لا يحملون مقوماتنا الوراثية فحسب، بل مثُلنا أيضاً. فلا يسعنا أبداً الرجوع إلى البداية.

بعد رحيل كريغ إلى الجامعة راقبت هره البالغ من العمر أربعة عشر عاماً وهو يرقد في زاوية مشمسة فبدا لي كالأسد المتقاعد وبدوت أنا كالملكة المخلوعة عن العرش. كانت لنا أيام عز.

في قلبينا وفي بيتنا اليوم غرف خالية. لكن فلذتينا يحملان دمغة لا تمحى عن حياتنا البيتية المشتركة. وهذه الدمغة ثابتة الى حد أن جانباً منها سينتقل إلى أولادهما وإلى أولاد أولادهما.

ماري جين تشامبرز ■



تمتع بالأمور الصغيرة، اذ ربما فكرت يوماً في الماضي وأدركت ان تلك كانت الأمور الكبيرة.

روبرت برولت



من يتسلق سلم النجاح ينظر دائماً الى الامام

تحمل كلمة "إخفاق" فكرة النهاية لدى كثير من الناس. اما القائد الناجح فينظر الى الاخفاق على أنه بداية ونقطة انطلاق الى جهود متجددة. فالقادة الحقيقيون لا يولون الاخفاق أكثر مما يستحقه من اهتمام. وقد توضح لنا ذلك بعدما قابلنا ٩٠ شخصاً ناجحاً ودرسنا مواقفهم عن كثب، وجلّهم من المديرين والنواب والمدربين الرياضيين.

الغريب في الأمر أن كلمة "اخفاق" لا تردُ البتة في أحاديث القادة، بل هم يستخدمون كلمات مرادفة مثل "خطأ" أو "بداية مشجعة" أو "نكسة".

وأخبرنا أحد الذين قابلناهم: "ان أفضل الاساليب القيادية في رأيي هو أن أرتكب أكبر مقدار من الأخطاء في أقصر وقت ممكن لكي أتعلم من أخطائي." وتذكّر آخر القول المأثور للرئيس الامريكي الراحل هاري ترومان: "كلما اتخذت قراراً رديئاً أعود وأتخذ قراراً آخر."

سُئِل فلتشر بايروم الرئيس المتقاعد لشركة "كوبرز" للتعهدات عن أصعب قرار اتخذه في حياته، فأجاب: "أنا لا أعرف معنى القرار الصعب. كل ما يمكنني أن أفعل هو أن أعطي أفضل ما عندي.

Condensed from «Leaders: The Strategies of Taking Charge,» copyright © 1985 by Warren Bennis and Burt Nanus, published by Harper & Row, Publishers, Inc., New York, N.Y. Illustration: Pierre Le -Tan

فالقلق لا يساعد في شيء، بل يضع العراقيل في طريق التفكير السليم."

تحمّل وليم سميثبورغ رئيس شركة "كوايكر أوتس" مسؤولية "غلطتين" ارتكبهما، وهما شراء شركة لصنع العاب الفيديو اضطر الى اغلاقها بعد وقت قصير، وشراء شركة أخرى أعلن افلاسها سريعاً. وتحدث لاحقاً الى موظفيه: "أريدكم أن تكونوا جريئين وتقدموا على المجازفات في العمل. فكل الموظفين الكبار في هذه الشركة تورطوا على نحو أو آخر بأحد المنتجات الخاسرة. وهذا يشملني أنا أيضاً. والأمر كمن يتعلم التزلج: اذا لم تقع فلا يمكنك أن تتعلم."

وعلى رغم أن القادة الذين قابلناهم لا يفاخرون باخفاقاتهم، إلا انهم مقتنعون بأنهم وموظفيهم قادرون على استخراج العبر والدروس من أخطائهم. فقبل سنوات تسبّب مدير شاب في شركة «IBM» في خسارة الشركة بضعة ملايين من الدولارات في صفقة تجارية خاسرة. فاستدعاه مؤسس الشركة توماس واتسون، ولدى دخوله مكتبه تمتم الشاب بحياء: "بالطبع تريدني أن أقدم استقالتي؟" لكن واتسون عاجله بالرد: "لا أظنك جاداً في ما تقول. فنحن أنفقنا لتونا ملايين الدولارات لتثقيفك!"

وتطبع مواقف هؤلاء القادة ميزة أخرى هي تقديرهم مغامرة سكب طاقاتهم في إحدى المهمات. كما اكتشفنا انصهاراً بين العمل والمرح في شخصية كل منهم. فهم يستمتعون بما يفعلون الى حد أنهم يغفلون عن التفكير في الاخفاق.

وارن بنيس وبرت نانوس ■

نَاعُومي يُومُورا
عَاشِق القِمَم



ناعومي يومورا وكاتب هذا المقال في لقائهما الاول عام ١٩٧٧.

الحياة في عينيه مغامرة
في أعلى القمم وأطول الانهار وأبرد المناخات.
وسر العيش أن نرى الحياة
بعيني طفل مدهوش

بين المغامرين الذي عرفتهم، أحقّهم باعجابي هو ناعومي يومورا الذي كان أول من بلغ أعلى القِمم في خمس قارات. كلّها، ما عدا قمة افرست، بلغها منفرداً. وقطع مسافة ٦١٠٠ كيلومترٍ من نهر الامازون في قارب من صنع محلي. واجتاز ١٢ ألف كيلومتر من الجليد في زلّاجة تجرّها الكلاب في رحلة ملحمية منفردة. من غرينلند عَبَر كندا الشمالية الى ألاسكا مسافة يجاوز طولها رحلة من طوكيو الى مدينة نيويورك. وحين لقيته للمرة الاولى في أواخر ١٩٧٧ كان على وشك أن يصبح أول رجل يسوق منفرداً فرقة كلاب الى القطب الشمالي.

Photo: Dee Molenaar

كان يقصد مدينة سياتل في ولاية واشنطن ليتبضّع للرحلة. وعرّفني به صديق مشترك يدعى غريفيث واي وهو رجل قانون محلّي وزميل لي في تسلق الجبال. وحيّاني يومورا ببسمة عريضة أضاءت الغرفة مثل شعاع نور ترسله شمس شتوية. ورأيت أمامي شخصاً صغير القد، وبصراحة أقول غير جاذب للنظر، يلبس سترة عالية الطوق فوق قميص وسروال رياضيين. كان عمره يقارب عمري، ٣٦ عاماً. أما هيئته فتدل على انفتاح وحيوية وتتخللها انفجارات من الضحك المرح، فيبدو للناظر أنه لم يجاوز السن التي كان فيها طالب زراعة في جامعة ميجي باليابان، سوى أن عينيه القاتمتين تعبّران عن تجربة ذاتية عميقة قلَّ أن يملكها سواه.

"ليس في انطباعاتي عنه ما يدل على انسان خارق القوة،" هذا ما دوَّنته بعد ذاك في يومياتي، "لكن كل من يراه يشعر بأنه رجل عركه الدهر."

طريدة القمر - كنتُ واحداً من أفراد الحملة الامريكية المستعدة لتسلق جبل "ك ٢" ثاني أعلى جبال العالم. وبهذه الصفة وجدتُ مادَّة خصبة لمحاورته. عبارته الانكليزية بسيطة لكنها تفي بالغرض، نظير قطعة مستعملة في عدة التسلّق، بسيطة الصنع لكنها صالحة لأداء ما يُراد منها. لم يكن يومذاك واثقاً من كفايته. وعن مغامراته الاخيرة في هذا الميدان قال مازحاً: "لم تكن الا سيراً على أرض مسطّحة." وتحدّثنا عن أساليب قديمة وحديثة للعيش في العراء، وجرى بيننا نقاش حاد حول أي الطريقتين أفضل: أن ننام متلفّعين بجلود الحيوانات أم بملابس من ريش الأوَز وأغطية واقية من المطر. ولأنه عاش مدة سنة مع الاسكيمو كان يفضّل أساليبهم التقليدية: "الطريقة الطبيعية أفضل في رأيي. يجب أن نعمل مع الطبيعة لا ضدّها."

لكنه كان مقتنعاً بضرورة استخدام النوعين من الأغطية، باعتبار أنه يبقي دائماً بعضُ مجال للخطأ، وأن قرى الاسكيمو نادرة في الطريق التي اقتحم فيها ٧٦٦ كيلومتراً من الجليد والتي امتدت من رأس كولومبيا في جزيرة ألزمير الى القطب. وقد طربنا لحكاية لذيذة عن دُب قطبي دفعه إعجابه بقدرة بندقية يومورا على اقتناص الطعام الى ملاحقة زلّاجته كأنها متجر نقّال.

في اليابان شعر أنه سجينُ الشهرة. وكان من دواعي سروره أن يتحوّل سائحاً عادياً يحمل آلة تصوير في أنحاء الولايات المتحدة حيث كاد لا يعرفه أحد. وذهبتُ واياه الى محلّ لبيع معدات تسلّق الجبال، حيث طلب كيس نوم مزدوجاً نصحته به، وبسرور ظاهر قَبِل كنزة من ريش أهديتها اليه. واذ راقبنا اهتمامه وهو يلاحظ خياطة الكنزة جزءاً جزءاً تبيَّن لنا أنه مثل سائر الناس، يجمع المتناقضات. فهو على رغم اعتناقه أساليب الاسكيمو التقليدية في رحلة خطرة عبر الجليد، لم يخشَ أن يحمل معه جهاز إرسال يعرّضه لمطاردة قمر اصطناعي.

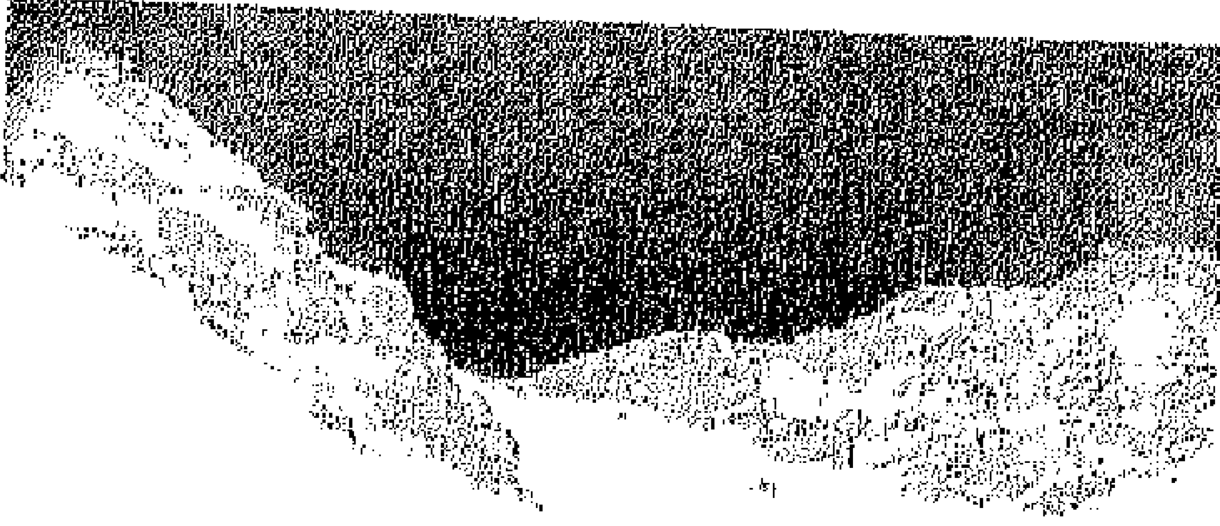
انكار الذات - واصل يومورا رحلته الى القطب الشمالي وتوجهتُ أنا الى جبال

حملايا. وبعد مرور سنة كتبتُ اليه مُهنّئاً بنجاحه القطبي، راوياً قصة تسلّقنا جبل "ك ٢". فردَّ برسالة تهنئة يشكرني فيها لالحاحي عليه بأخذ كيس النوم المزدوج الى القطب الشمالي. وجاء في الرسالة: "حين هاجمني دب قطبي نجوت بفضل الكيس المزدوج الذي اختبأت فيه. وأحسّ الدب بوجودي، لكن كثافة الكيس منعته من الوصول الي."

في ربيع ١٩٧٩ رجع يومورا الى سياتل والتقى متسلّق جبال آخر هو الناشر جون بولوك، الذي كان يقود جماعة من المتسلّقين الناشئين الى قمة جبل القديسة هيلانة في ولاية واشنطن. فقرر يومورا مرافقتهم. واتفق الرجلان، حبّاً بالتفكهة، على اخفاء هوية يومورا حتى الجلسة الاخيرة التي يعقدها المتسلقون بعد الرحلة، فيجري تعريفه حينذاك باسم "المتكلم السرّي".

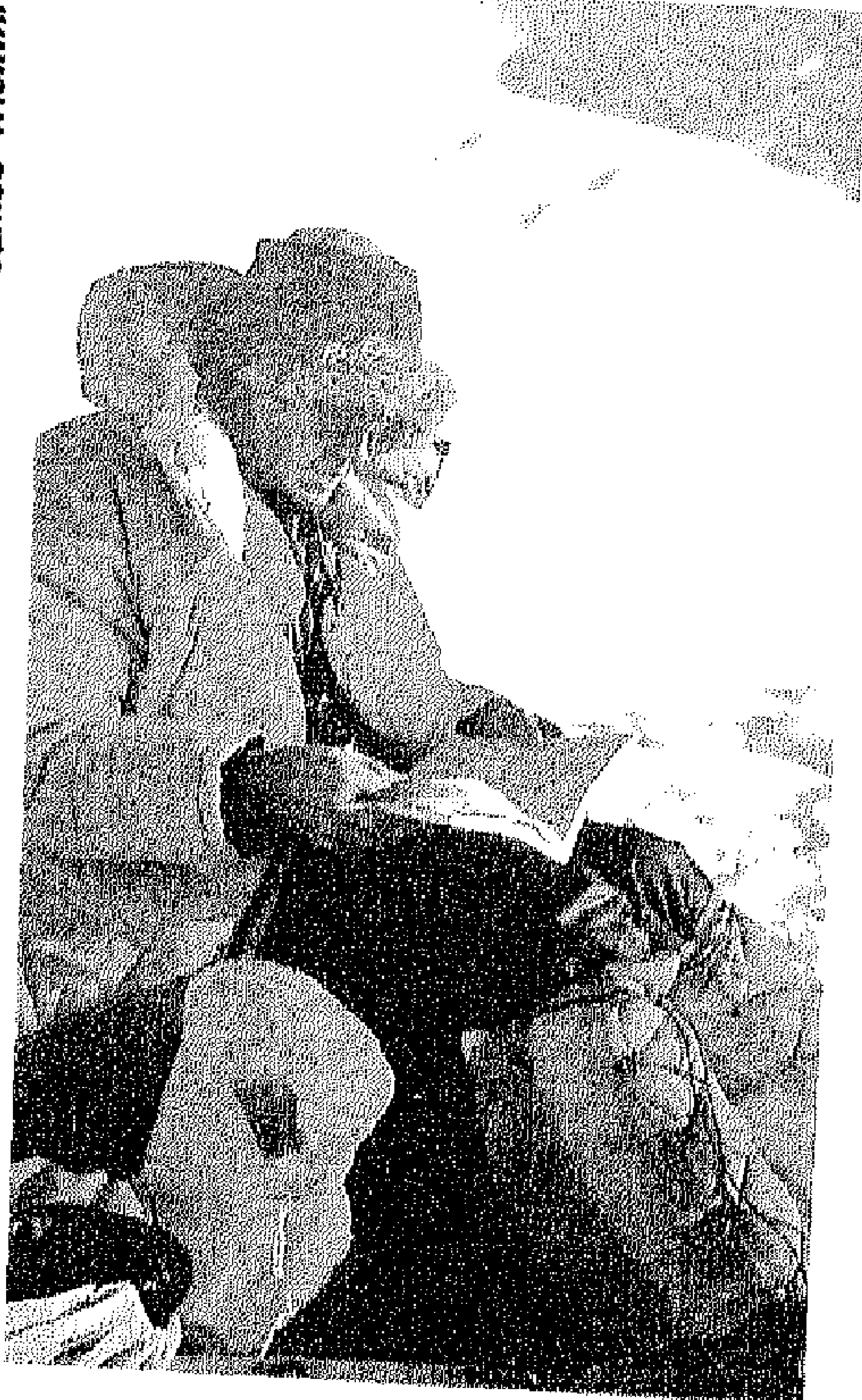
وحين وصل أفراد المجموعة الى نهر الجليد انقسموا فريقين، وصرفوا بقية يومهم في سحب رفقائهم من الاخاديد والحُفَر. فانضمَّ اليهم يومورا وترك في ذهن كل منهم انطباعاً لا يزول. "هذا الياباني الشاب، كان عمله مساوياً لعمل رجلين، كذلك المساعدة التي قدَّمها." هذا ما سمعه جون من أحد أفراد الفرقة بلهجة لا يخامرها شك.

وقال بولوك متعجّباً: "رأيته يصعد الى القمة مشدوداً الى اثنين من المتسلقين



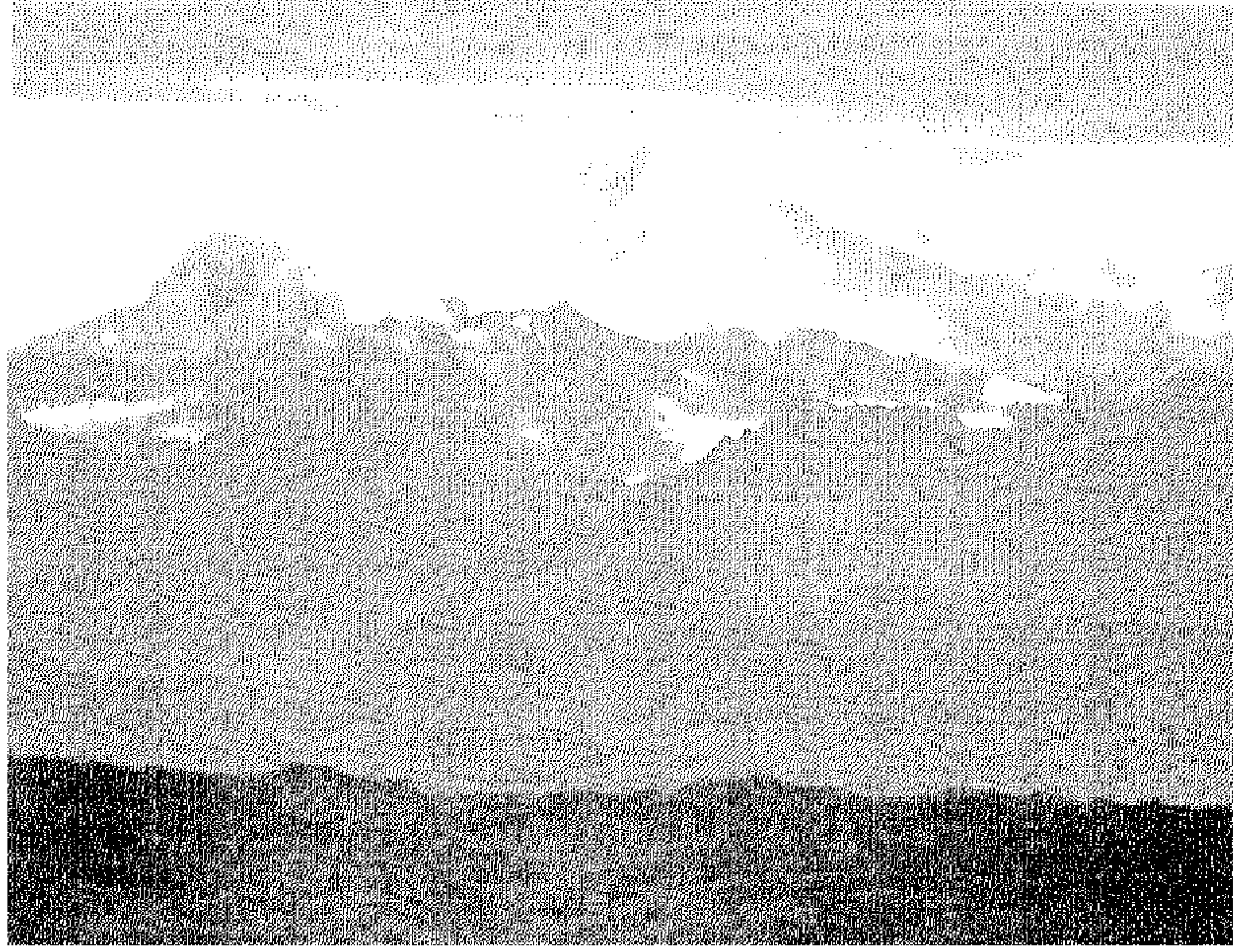
James Wickwire





James Wickwire

فوق: الكهف الثلجي الذي لجأ اليه يومورا على ارتفاع ٤٣٦٠ متراً، وقرب مدخله قضيب التزلج.
تحت: آيهو أوتاني يقرأ يوميات يومورا عله يقع على دليل الى مكان وجوده.



جبل ماكنلي.

جاوزا سن الشباب وكلاهما محدود الطاقة والخبرة. وهو الى ذلك تكلّف حمل كيس ثياب تركته في السيارة لظنّه اني نسيته وربما احتجت اليه. ولا أذكر اني التقيت في حياتي انساناً يماثله في انكار الذات. وحين بلغنا القمة أخذ يومورا يركض من جهة الى أخرى متفقداً أحوال الرفقاء، متحمساً مثل طفل، لعوباً مثل كلب صغير، في حين كاد الباقون ينهارون تعباً."

لم يدهشني كلام بولوك لاني عرفت ذلك الرجل على حقيقته. وأذكر أنه حين أعوزته النجدة من المتمرّسين في التسلق من رجال التيبت، تولى بنفسه نقل الحاجات والامتعة الى اثنين من البريطانيين كانا يقودان رحلة دولية مشؤومة الى جبل افرست عام ١٩٧١، بينما مضى أعضاء الرحلة من فرنسيين وايطاليين وسويسريين يتشاجرون حول من منهم يتطوع لهذا العمل.

مطامح كثيرة - بداية ١٩٨١ حملت الينا خبراً. بطاقة من يومورا تتحدث عن رحلة شتوية خائبة الى افرست وتصف عنف التيارات الهوائية التي تضرب الجبل.

وفي أواخر ١٩٨٣ عاد يومورا الى سياتل لحضور الاجتماع السنوي لنادي الألب الامريكي. وأخبرنا أنه في فبراير (شباط) سيتسلق منفرداً جبل ماكنلي في ألاسكا. وأثار الموضوع قلقي، وشاركني في القلق صديقنا غريفيث واي. فقد عرفت ان آخر رحلة تسلّق منفرد له كانت عام ١٩٧٠. أما جبل ماكنلي فهو أبرد جبال أمريكا الشمالية، ويبلغ ارتفاعه ٦١٩٤ متراً في جو قطبي رقيق هو أقسى من جو حملايا. واذا سقط متسلق على سطحه المتجمّد كسرت ساقه ولبث مطروحاً كالشِلو في برد قارس يجمّد اللحم العاري في أقل من دقيقة. وهناك الاخاديد التي يبلغ عمقها عشرات الامتار

شـارب بالتأكيد



أنت موسيقي، هل تستطيع أن تلاحظ الفرق بين الشريط الأصلي والمنسوخ؟



كلا، لا استطيع ذلك، انه لنسخ ممتاز.

آلية الكاسيت المزدوج تقوم على وضع الشريطين ظهراً الى ظهر بشكل متواز لنسخ متفوّق، بالاضافة الى قوة خرج ضخمة ١٨٠ واط (PMPO) .

آلية مزدوجة مبتكرة تقوم على وضع الشريطين ظهراً الى ظهر لنسخ اكثر دقة. ان آلية شارب المزدوجة المميزة لا تلغي فوارق النسخ من اجل نوعية صوتية افضل فحسب، بل تصغر حجم الجهاز ككل ليسهل حمله.

قوة خرج ١٨٠ واط (PMPO) لصوت سوف يحرر موسيقاكم. قوة خرج ١٨٠ واط (PMPO) تؤمن صوتاً واضحاً وغنياً وخالياً من تشويه الحجم الصوتي المرتفع للأجهزة النقالة الأقل قوة.

عالم من خيارات الاستماع يؤمنها راديو ذو ٨ موجات. جهاز رائع ذو ٨ موجات اف ام FM / موجة قصيرة - ١/ موجة قصيرة - ٢/ موجة قصيرة - ٣/ موجة قصيرة - ٤/ موجة قصيرة - ٥/ موجة متوسطة AM / موجة طويلة LW . انه يوفر لكم مجموعة متنوعة من الخيارات الموسيقية والاخبارية.



WF-T737 (نظام هاي - فاي تعدد الأجزاء) نقال مزدوج الكاسيت.

□ نظام من أربعة مكبرات صوت قابل للفصل ذو اتجاهين. □ معادل تخطيطي ذو خمس موجات. □ نظام نسخ فائق السرعة. □ نظام للبحث عن البرامج اوتوماتيكيا للشريط الثاني (APSS) . □ مجهاران للنغمات الخفيفة التردد ١٦ سم، ومجهاران للنغمات العالية التردد. □ مدخل خط للاسطوانة الصغيرة.

شـارب

SHARP

شركة شارب، اليابان

ويزيد اتساع الواحد منها على حجم انسان، تكمن للمتسلقين تحت أغطية رقيقة "بريئة" من الثلج الناعم.

حين نبَّهتُ يومورا الى الاخطار التي تنتظره أصغى إليّ، لكنه لم يتزحزح عن عزمه. كان مصمماً على مواجهة طقس ماكنلي الرديء بوسائل تعلّمها في رحلاته القطبية. أما الاخاديد فقد استعدَّ لها بقضيبين من خيزران مختلفَي الطول يشبهان سيوف الساموراي(١) يشكّلان حول جسمه زاويتين قائمتين، لاعاقة أي سقوط.

وانتهت جلستنا المسائية بحادث لا يخلو من فكاهة. فلدى خروجي من المطعم ولجت بسيارتي شارعاً ذا وجهة سير واحدة، فسجل شرطي محضر ضبط في حقي لمخالفتي قانون السير، مما أثار طرب يومورا وضحكه المتواصل.

بعد شهر طار يومورا من مينيسوتا الشمالية الى سياتل حيث كان يدرب طلاب الرحلات على استعمال الزلّاجات. كان صدرُه عامراً بالمطامح، منها تأسيس مدرسته الخاصة في اليابان للتدريب على حياة العراء، وذلك بالطبع بعد تسلّق ماكنلي والذهاب في رحلة الى القطب الجنوبي ثم في رحلة أخرى يجتاز فيها سطح العالم ويحطّم أرقاماً قياسية في الوصول الى الاتحاد السوفييتي.

البرج الرهيب - قبيل رحلته طلب يومورا من صديقنا جون بولوك أن يَهديه الى مطعم يقيم فيه لزوجته حفلة عشاء مفاجئة بعد عودته من ماكنلي. الى هذه الحفلة أراد أن يدعو جميع أصدقائه الامريكيين، أما عددهم فيقرّره بعد أن يبحث هو وبولوك في مشروع هذا لنشر كتابات يومورا في الانكليزية. ولم يكن همُّ يومورا المال الذي يحصّله من النشر، بل ارسال نسَخ مجّانية من الكتاب الى أصدقائه الامريكيين الذين بلغ عددهم خمسمئة.

بعد دقائق عاد من المرأب حيث كان يحزم أمتعته وقال: "أريد سبعمئة." فأحنى بولوك رأسه موافقاً. لكن يومورا عاد بعد لحظات ليقول بحزم: "ثمانمئة نسخة! أنا أدفع الفرق." ثم تكوَّم في مؤخر سيارة أجرة توجهت به الى المطار مع فرقة تلفزيونية يابانية أراد أعضاؤها مرافقته الى المخيَّم الذي ينطلق منه. وفي السادس والعشرين من يناير (كانون الثاني) كان يومورا مُستقرّاً على حافة نهر كاهلتنا الجليدي في الاسكا.

اليوم أصبح العالم مطلعا على القصة المفجعة التي كنت لسوء الحظ واحداً من أبطالها. كثيرون يعرفون ما أعلنه المذياع عن بلوغ يومورا الظافر قِمة الجبل في عيد ميلاده الثالث والاربعين، وعجزه عن الوصول الى مخيَّم القاعدة بعد ذلك بيومين، وتقرير قائد فرقة التنقيب عن الاشارات التي أرسلها من كهف ثلجي يرتفع ٤٩٤٠ متراً حين حالت رياح عنيفة وغيوم متراكمة وانهيالات ثلجية دون وصول الطوافة التي أرسلت للنجدة.

بعد تنقيب طويل لم يجد المنقذون من آثاره الا حذاء تزلّج وقضيب خيزران وقضيب تزلّج على ارتفاع ٤٣٦٠ متراً، ثم قضيب خيزران آخر على ارتفاع ٢٦٢٠

(١) الساموراي فرسان اليابان الشهيرون ببطولاتهم.

متراً، في حين كان ذلك البرج الرهيب ببياضه العجّاج يخلو من أي أثر للحياة.

فوات الاوان – حجزت مقعداً للطيران الى ألاسكا، زاعماً أني أريد التسليم على يومورا لدى نزوله من ماكنلي. لكن معدّات التسلق التي حملتها روت خبراً آخر: انه في ضيق، ولا بدّ لي من اسعافه.

حين هدأت العاصفة ذهبت في طوافة برفقة أيهو أوتاني، وهو ياباني يمارس التسلّق والتصوير السينمائي، الى حيث عثر على حذاء التزلّج في سفح ماكنلي الذي اجتاحته العاصفة. وكان مفترضاً أن يومورا قضى في مكان ما بين ذاك الحذاء والموقع الذي حدده منظار الطيار على ارتفاع ٥٨٠ متراً من هناك. ولم نعبأ بالصداع الخفيف الذي سبّبه لنا علو المكان حين وُفّقنا الى اكتشاف كهف ثلجي وجدنا داخله مذكرات يومورا التي كان آخر سطورها صلاة شجاعة ورهبة: خُفّاه المسماريان(٢) يفلتان باستمرار، الريح تدفعه بلا رحمة، لحن الموت يقرع أذنيه، التعب يكاد يقضي عليه. لكن آخر كلماته رنّت مثل نشيد: "بإرادة عنيدة أتسلّق ماكنلي."

واصلنا الصعود طوال أسبوع كامل في الطقس الجيّد والرديء. ولم نجد الا كهفاً ثلجياً على ارتفاع ٤٩٤٠ متراً كان يومورا لجأ اليه. عثرنا فيه على صفيحة وقود وبضعة أكياس طعام وعظمة كاريبو(٣).

"لم أذوب الثلج الا للحصول على الماء." هذا ما جاء في مذكراته التي شرح فيها سبب امتناعه عن الطبخ وهو توفير الوقود. "أكلت لحم الكاريبو نيئاً، على طريقة الاسكيمو. مضغ الطعام يُدفّئ."

وعرفتُ أنا وأوتاني أنه اذا كان حيّاً وقادراً على الحركة فلا بدّ من أن يظهر في يوم جيّد الطقس وأن نراه نحن أو يراه الطيارون. لكن ذلك لم يحدث. لقد فاته الوقت.

فلسفة خاصة – بعد أسبوعين حقق فريق من نادي الألب التابع لجامعة ميجي إكتشافاً جديداً أثار أسئلة بلا جواب. فعلى علو ٣٠٠ متر فوق الكهف الثلجي الذي اكتشفناه عثروا على كهف فيه قطع أخرى من معدّات الرحلة، منها موقد يومورا وكيس نوم داخلي ومجرفة ثلج. أترى قائد الطوافة فاته التدقيق في حساب منظاره في المرتفع الادنى؟ أم ترى يومورا أثناء نزوله ضلّ طريقه الى الملجأ الاعلى في بياض يحجب الافق ويطمس الرؤية؟ والسؤال المحيّر الآخر هو: كيف ترك هذه الاشياء الثمينة في صعدته الاخيرة الى القمة؟ لا أحد يعلم. هناك شيء واحد أكيد: في مكانٍ ما من ذلك القفر المتجمّد يرقد جثمان ناعومي يومورا مكفّناً بالثلج.

أنا لا أعرف شاهدة قبر تحمل كلمات في الانكليزية أفضل من تلك الاخيرة التي ألقاها يومورا على بعض أصدقائه في مدرسة "جوّابي الآفاق" في إيلي بولاية مينيسوتا. فعشيّة رحيله كان اثنان منهم يتناولان معه العَشاء، بعد إشرافهم على سباق كلاب بذلوا فيه جهوداً مُضنية

(٢) من أيائل أمريكا الشمالية.
(٣) الخف المسماري خف ذو مسامير يلبس فوق الحذاء لتسهيل التسلق.

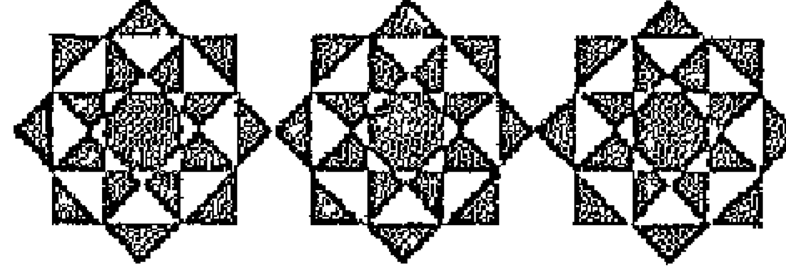
ووجدوا في تفاؤل يومورا أكبر مُشجّع لهم. في تلك العشية رآه الرفيقان يقف فجأة بعينين قاتمتين تقدحان شرراً ويقول:

"أريد أن أعلن لكم فلسفتي. لما كنا أطفالا كنا نرى العالم كله مدهشاً وكل شيء فيه جديداً. كنا نعتقد أن في وسعنا القيام بكل ما نريد. نعم، أن يصبح الواحد منا طبيباً أو متسلّقاً أو بحّاراً أو أيّ شيء آخر. ثم كبرنا ودبَّ فينا التعب. كثيرون منا تخلّوا عن أحلامهم وركنوا الى الراحة. غاب عن نظرهم جمال الدنيا. أما انا فقد حاولتُ أن أعيش دائماً بقلب طفل، أن أرى الاشياء الرائعة والجميلة في الدنيا. تذكّروا. في وسعكم أن تفعلوا كل ما تريدون."

وهذا ما فعله ناعومي.

جايمس ويكواير ■

الكاتب محامٍ من سياتل مارس تسلّق الجبال منذ ١٩٦٠. اشترك في ١٣ رحلة كبرى الى ألاسكا وأمريكا الجنوبية وجبال حملايا، وتسلق جبل افرست مرّتين. في ١٩٧٨ كان الأول في فريق مؤلف من أربعة أمريكيين تسلقوا جبل "ك ٢"، ثاني أعلى جبال العالم. في تلك الرحلة عاش ليلة تخييم منفرد وسط رياح عاصفة ودرجات برد تحت الصفر، في سفح قِمة يبلغ ارتفاعها ٨٦١٠ أمتار. زار اليابان مرّتين ورافق عدداً من أصحابه اليابانيين في رحلات لتسلّق الجبال.



عجوز في مصرف

جوزف كايان بائع أحذية متقاعد ذهب الى المصرف يوماً ليقبض حوالة من الضمان (التأمين) الاجتماعي. وكالمعتاد، طرحت عليه احدى الموظفات سؤالا للتثبت من هويته، وكان السؤال هذه المرة عن تاريخ ولادته. وبعدما أجابها كايان نظرت اليه بدهشة وقالت: "انتظر دقيقة من فضلك،" ثم اختفت داخل المصرف.

وتأكد للرجل أن هناك خطباً في الداخل. ثم أخذ يتذكر: لا يمكنني أن أتصور سبباً لهذا التأخير. هل اتهمت بسرقة حوالة أحدهم؟ هل هناك خطأ يتعلق بحوالتي؟ كيف أدفع الايجار الآن؟

وبعد انتظار خيِّل فيه الى الرجل أن عيون كل الموجودين في المصرف شاخصة اليه، عادت الموظفة ومعها زميلتان. إذاً لقد كان شكه في محله، فهناك أمر غير سار بالتأكيد.

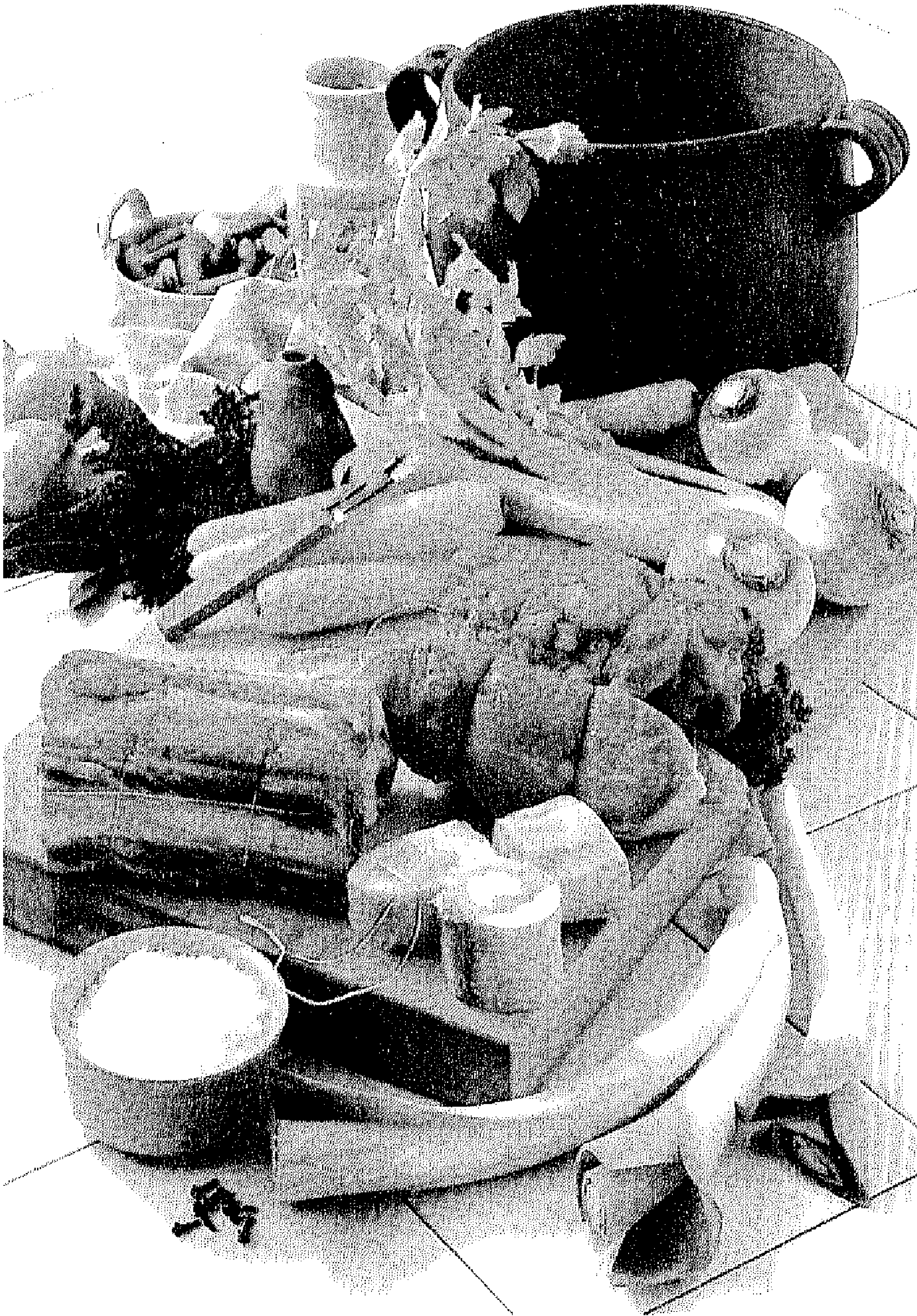
ووقفت الشابات الثلاث أمام العجوز وبدأن الغناء:

سنة حلوة يا جميل،
سنة حلوة يا جميل،
سنة حلوة يا سيد كايان،
سنة حلوة يا جميل.

ج.د.

Pot - Au - Feu

ينحني لهُ الجميْع



تتنوع طرق تحضير هذا الطبق الوطني الفرنسي. لكنها جميعها تضفي حرارة وبهجة على القلب والمعدة

Photo: SRD / J — C. Mayer

لست مولعاً بالطقس البارد، لكنه يمنحني متعة مميزة واحدة هي تناول طبق لذيذ من "البوتوفو" (*) يتصاعد منه البخار والعبير الطيب وتحوطه الخضر المتعدّدة الالوان. وهي لمتعة يشاركني فيها ٥٥ مليون فرنسي من كل اقطار البلاد ومن جميع الطبقات. انه حقاً الطبق الوطني. وقد كتب الذواقة الشهير أوريكوست دي لازاركي: "لكل شعب حساؤه الخاص. لكن فرنسا وحدها تتمتع بطبق البوتوفو."

وكانت ترسخت في ذهني انطباعات شخصيّة عن هذا الطبق التقليدي الذي يقدّم على موائد العشاء في فرنسا. الى أن كان اليوم الذي طهوت هذا الطبق بنفسي. وكان السيد فيشو، وهو الجزار الذي أشتري اللحم من عنده، أول من أماط القناع عن جهلي. فحين طلبت منه قطعة غليظة من لحم البقر وضلعاً قصيراً أجابني بنبرة ساخرة: "لكنك نسيت الظئر يا سيدي."

أما الظئر فقطعة من قصبة الساق، غضروفية جداً بحيث يصعب أكلها، لكنها مفعمة بالنكهة. وأضاف الجزار: "من دون هذه القطعة لا يمكن تحضير طبق البوتوفو الاصيل، اذ لا يكون المرق حرّيفاً بما فيه الكفاية."

وزودني السيد فيشو الاسماء المثيرة لأجزاء الذبيحة التي ينبغي، في رأيه، أن تضاف الى الحساء ليكون ممتازاً، وهي قطعة من الردف وأخرى من الكتف وثالثة من أعلى القائمة الامامية. ولكم اعتقدت ان طبق البوتوفو سهل التحضير!

(*) البوتوفو (pot-au-feu) حساء مركّز من لحم وخضر.

طبق الغراب – لما أدركت أن أمامي الكثير أتعلمه استشرت روجيه لالمان وهو معلّم سابق للطهو ومؤلف عدّة كتب في الطبخ، فسألته: "ما هي الطريقة الصحيحة لتحضير طبق البوتوفو؟"

فشرح لي أن عبارة «pot-au-feu» (القدر على النار) كانت تطلق على طريقة التحضير وليس على الطبق. وكانت تعني غلي الطعام في الماء لتحضير الحساء الذي كان يختلف من منطقة الى أخرى ومن طبقة الى أخرى. وقد تغيّر معنى هذه العبارة تدريجاً حتى أصبحنا حالياً نطلق لفظة "حساء" على المرق وحده ونسمّي ما هو داخل القدر "بوتوفو".

وأخبرني أن "لحم البقر المسلوق والخضر هي أفضل المكوّنات المعروفة للطبق، لكنها ليست الوحيدة على الاطلاق. ففي عصر الملك هنري الرابع كانت تطهى دجاجات في القدر فتشكل طبق بوتوفو. ويعد "الكوترياد" الخاص بمقاطعة بريتاني طبق بوتوفو بالسمك. وهناك أنواع من البوتوفو في فرنسا بعدد المقاطعات الفرنسية. ونجد في الواقع ٨٠ نوعاً من هذا الطبق.

وعرفت عندئذٍ أن عليّ أن أجول في أرجاء فرنسا كالطهاة القدماء ليتسنّى لي اكتشاف دقائق الطبق الوطني وأسراره. ورحلتي الطويلة هذه لم تعد بأي منفعة على محيط خصري، لكنها علمتني أن عالم البوتوفو مليء بالمفاجآت. فأثناء اختباري خمسين نوعاً من هذا الطبق تذوّقت لحم طائر غريب مسلوقاً في الماء ولا يزال يقدّم على الموائد في بضع مزارع

في ضواحي أورليان. ويشتهر أيضاً طبق بوتوفو الغراب الذي يقدّم جاثماً على الخضر في وعاء من الخزف. واذا كان الغراب لا يزال فرخاً ولا تزال أسنانك قوية، فلا بأس فيه أبداً.

غداء بحري - أمضيت ليلة عيد في منطقة مورفان في بورغوندي. وتتألف طبق العيد من أضلع البقرة وعرقوب الفخذ والسجق والكثير من الخضر والمرق اللذيذ. وخلال العشاء ظهرت الطاهية وأولادها فجأة وأخذوا يغمسون عيداناً من شجر البقس في المرق ويرشون كل الغرف وهم يجأرون: "أفعى، أفعى، ابتعدي من هنا، ها هو مرق العيد." ويبدو أن الناس في العصور القديمة كانوا يعتقدون أن رش الجدران بالحساء يبعد الافاعي التي كانت غالباً تسعى داخل المنازل طالبة الحليب، ولا تزال هذه الشعيرة تقليداً يمارس.

ويؤكل البوتوفو عادة في البيت. الا أن تناوله قد يكون مغامرة محفوفة بالخطر. وتعين عليّ الذهاب الى شاطىء البحر لأتذوّق الكوترياد الحقيقي في بريتاني.

وركبت سفينة صيد في كونكارنو. وفي كل مرة رفع الملاحون شباكهم كانوا يضعون جانباً أفضل ما علق فيها من السمك، خصوصاً الانقليس.

وعند الظهر أشعل البحارة مجمرة على ظهر السفينة وطهوا الاسماك في خلقين من الماء الغالي مع الزبدة والاعشاب العطرية والبطاطا.

في هذا الوقت قرر البحر افساد متعتي. فهبّت عاصفة هوجاء وانزلقت المجمرة والخلقين من جانب السفينة الايسر الى جانبها الايمن. الا أن الملاحين واصلوا بمهارة عجيبة تحضير الطعام وكأنهم في مطبخ على الشاطىء. وشعرت بالاضطراب، لكن ربّان السفينة هدّأ روعي بضحكة: "إنسَ هذا الامر! فحين تتناول الكوترياد اللذيذ وتشرب كوزاً من شراب التفاح ستشعر بارتياح كبير."

وهو كان على حق. وكان بوتوفو السمك سائغ المذاق الى حد أنه هدّأ معدتي فسكبت منه مرة ثانية فثالثة.

طبق الاجداد - لحسن الحظ كانت جولتي في فرنسا أهدأ عموماً. وعلمت أن أنصار البوتوفو ينقسمون جماعات متنافسة. وتصرّ الجماعة الاولى على البدء بطهو المحتويات في الماء البارد ليكون المرق عطراً أكثر، في حين تؤكد الجماعة الثانية على ضرورة غمر المحتويات بالماء الغالي لحصر عصارتها داخل المرق. ويتّسع الجدل ليتناول اختيار أجزاء الذبيحة وتصنيف الخضر وطريقة قشط الدهن عن الحساء وتنويع التوابل.

ويستثني الباريسيّون الاصليون البطاطا متذرعين بأنها تزيد كثافة الحساء. لكنهم يضيفون قطعة من ذيل الثور لتكثيفه. أما في شرق فرنسا فلا يستغنى عن البطاطا واللسان وعرقوب الفخذ. وعلى امتداد منطقة البحر الابيض المتوسط يضاف الى الطبق لحم من كتف الحمل لزيادة القيمة الغذائية، ويفعم بالثوم وصلصة البندورة (الطماطم). اما في غاسكوني فيضم الطبق دجاجة وترفق به صلصة الـ"بيارنيز".

وخلال رحلتي تذوقت أنواعاً كثيرة من أطباق البوتوفو حتى بتّ صعب الارضاء. ففي لوكسي (مقاطعة اللاند) يحضّر نويل باري طبقاً رائعاً، فالمرق خفيف واللحم هبر والتوابل غير حادّة. وفي كايين (الكلفادوس) يطهو روبرت شابردييه طبق البوتوفو على طريقة أجداده، فضلوع البقر وأعلى الساق ومعظم الرقبة والاجزاء المحيطة بالعظم الكتفي والضرع تشكّل تآلفاً غنياً. وتضاف الخضر الى الماء، الصنف تلو الآخر، بحيث تطهى حتى النضج التام، ثم تغمر في المرق فطائر صغيرة محشوّة بالبقدونس.

نصيحة خبير – لطالما اعتبرت البوتوفو طبخاً بلدياً بعيداً عن الاناقة، حتى تذوقته على طريقة دودان بوفان في فندق صغير في هودان (الايفلين). ويقال ان هذا الذواقة الاسطوري للمطبخ الفرنسي ابتكر طبق البوتوفو الخاص به تكريماً لأمير آسيوي زائر، وهو عبارة عن شرائح رقيقة من لحم البقر معطرة بالطّرخون ومصفوفة على طبقة من النقانق ولحم العجل والاعشاب، تغطّيها صدور الدجاج المزينة بالكبد الدسم المطهو في شامبرتان. أما الخضر فتسلق في المرق ثم تضاف اليها الزبدة.

ان بوتوفو دودان بوفان متعة تتذوّقها مرة واحدة في حياتك. واني أخصّص مكافأتي على الطريقة الفضلى للتحضير لآل بارتيز في بيلوك (آرييج). ويطهى المزيج ببطء طوال أربع ساعات على نار ساطعة أضرمت في الخشب، فتذوب الخضر واللحم بعدها في الفم ذوباناً.

هكذا أصبحت خبيراً حقيقياً، والدليل على ذلك أنني كثيراً ما أجادل أعز أصدقائي لأفرض ارشاداتي حول طريقة طهو البوتوفو. ويجب البدء بوضع الخضر في الماء البارد، ثم اللحم أو السمك بعد أن يبدأ الماء الغليان، للحصول على مرق ممتاز. وفي ما بعد تضاف المطيبات، من صعتر وورق غار وبقدونس وكرفس وبصلات تحشى فصوصاً كاملة من الثوم، وذلك لاضفاء نكهة لا تضاهى. وفي طبق يرتكز أساساً على اللحم، من الضروري زيادة عظمة نخاعية لجعل المرق دهنياً، كما تجب اضافة قطعة من اللفت الاصفر، وأفضل منه قطعة من الجزر الابيض، الى الخضر التقليدية أي الجزر والكرّاث واللفت، فتزيد الطبق نكهة.

لقد حان وقت الطعام. يقدّم المرق في سلطانيّة يركّز في أعلاها طبق خزفي كبير لتقديم اللحم ويوضع على المائدة الملح الخشن للّحم وملح المائدة لمخ العظام وأنواع من المخللات.

وكم كان الذواقة فرنسيس أموناتغي محقاً عندما كتب: "البوتوفو هو ملك الاطباق، هو الطبق الافضل، لا بل هو الطبق الفرنسي الذي ينحني له الجميع."

نيكولا بولان ■

الجرّاح لمريضه: "نريدك غائباً عن الوعي طوال مدة الجراحة. فهل تفضل البنج أم القاء نظرة خاطفة على فاتورتك؟"

س.ك.

فتى هوليوود

كاتب شهير لروايات الخيال العلمي يتذكر أيام الصبا التي وهبته حلماً

عام ١٩٣٤، في ذاك الربيع شتمني و. ك. فيلدز. وفي ذاك الصيف أصبح جورج بورنز صديقي. وفي ذاك الخريف طفت هوليوود في سيارة لولا بارسونز محررة عمود الأقاويل في الصحف. وكنت يومذاك لم أتجاوز الرابعة عشرة من عمري، ولم أعرف أن كل تلك الامور ستحدث لي في سنة واحدة.

ففي الأول من شهر أبريل (نيسان) من ذاك العام توجهنا في السيارة غرباً نحو هوليوود، أنا وأبي وأمي وأخي سكيب،



بحثا عن عمل. غادرنا واكيغان في ولاية ايلينوي وليس في حوزتنا سوى ٥٠ دولاراً تكفينا لستة أسابيع. ولحق بنا فقر الأزمة الاقتصادية الكبرى إلى أن رحّب شذا البرتقال بوصولنا إلى هوليوود.

واستقررنا على بعد خمسة كيلومترات من المدينة. فأخرجت مزلجتي وسارعت الى أقرب زاوية شارع حيث سألت بائع صحف عجوزاً: "أي درب تؤدي إلى استوديوهات باراماونت؟"

فأشار بيده: "تلك الدرب. سر حوالي خمسة كيلومترات ثم انعطف غرباً وسر كيلومتراً ونصف كيلومتر."

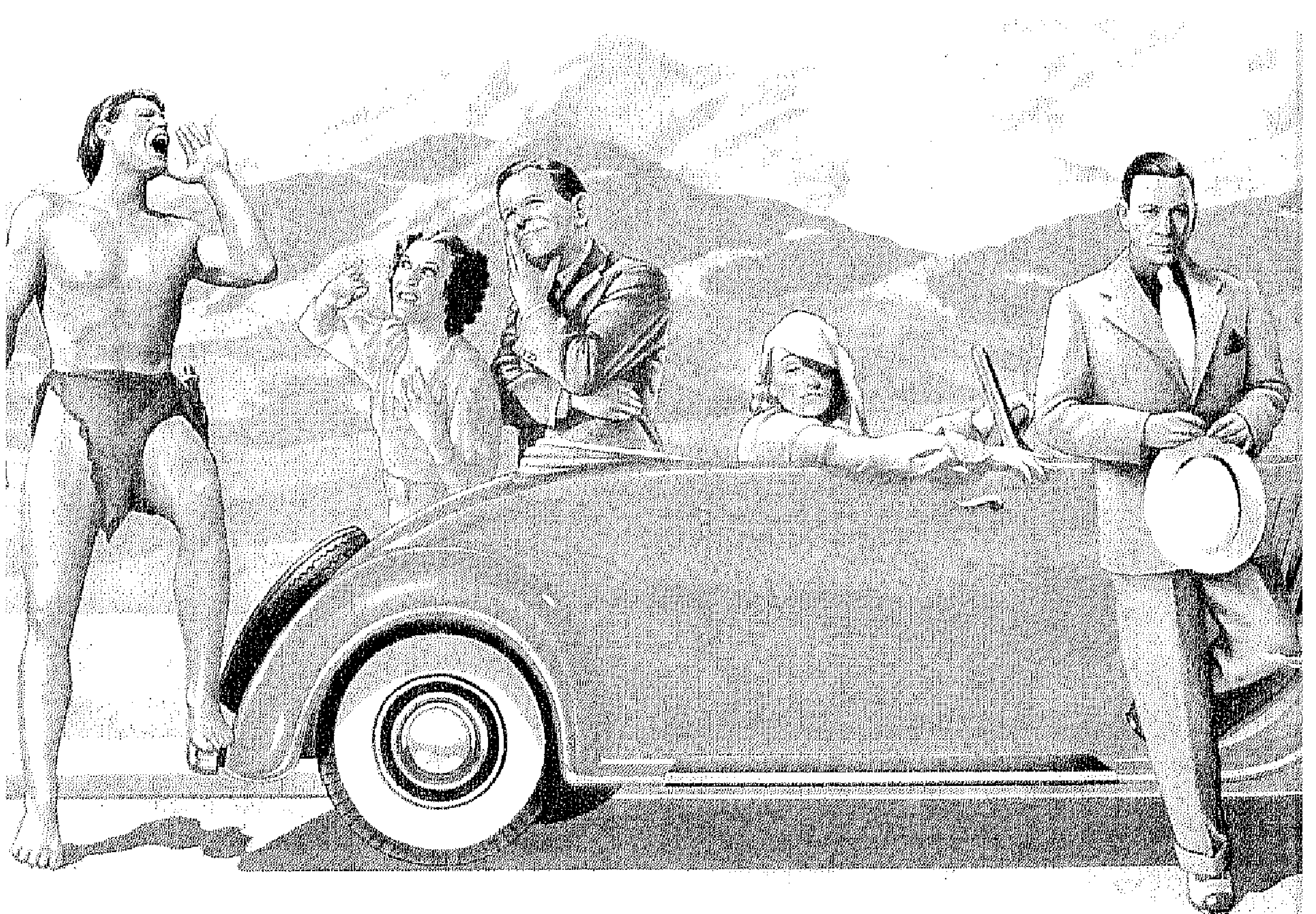
في ذاك النهار الربيعي المشرق وصلت على مزلجتي الى الاستوديو قبيل الظهيرة. وأمام البناء الكبير رأيت و. ك. فيلدز شخصياً!

فما كان مني إلا ان اجتزت الطريق مجازفاً بحياتي في زحمة السير، لأتوقف فاقداً التوازن وأرتمي بين ذراعي السيد فيلدز. وسرعان ما ناولته عقب قلم ممضوغاً وقصاصة ورق وسخة وبادرته: "سيدي! أيمكنني أن أحصل على توقيعك؟"

فنظر فيلدز إلى القلم الممضوغ وأطلق تنهدة ألهبت وجنتي وفاحت منها رائحة شراب، ثم "خربش" اسمه ودفع إليّ ممتلكاتي البغيضة صارخاً بصوته الاجش الايقاعي: "خذ أيها الصعلوك الصغير!"

فاعترت وجنتي حمرة فخر لسماعي

Illustration: Paul Tankersley



لعنته الغالية، وهرولت نحو الشارع متعثراً في الزحمة. فصرخ فيلدز محذّراً: "انتبه يا سيد ماكل!"

فخارت ركبتاي فرحاً. لقد نظر فيلدز إلى عيني الحسيرتين وراء نظارتي الغليظتين واستدعى جملة من فيلمه الأخير.

في ذاك الفيلم عجوز أعمى خرف نزق الطباع يشق طريقه متذمّراً إلى مخزن فيلدز ويروح يضرب بعصاه العلب المكدسة محطّماً عدداً من المصابيح الكهربائية. ويأمر بأن ترسل إلى منزله رزمة لبان (علكة) ثم يستدير ويخرج من الباب ويرتمي وسط زحمة السيارات المسرعة..

ويصرخ له فيلدز: "انتبه يا سيد ماكل! حاذر المحرّكات النارية يا سيد ماكل!"

وها أنا، نصف ضرير، تلاحقني الصرخة نفسها حتى انتهى بي الامر على حافة الطريق.

وسمعت صوتاً يخاطبني: "ماذا دهاك؟" فنظرت ورأيت فتى في مثل سني، أحمر الشعر، يقف أمامي ويضحك بلطافة. ثم تابع: "تعال أعرّفك إلى الزمرة."

خروج النجوم – نظرت خلف صديقي الجديد فرأيت العائلة الغريبة التي لن ألبث أن أصبح أحد أفرادها. كانوا ينعتون بتسميات شتى منها "الغُرب العُجب" و"الغريبو الاطوار" و"المجانين" و"هواة جمع البشر". هؤلاء كانوا صائدي التواقيع.

يا إلهي! سأصبح واحداً منهم! ورحت أحدّق الى وجوههم المريبة. فعرّفني اليهم صديقي الجديد وكان يدعى دونالد هاركنز.

هذا هو موريس، البالغ من العمر ثلاثين عاماً والحائز عشرة آلاف توقيع. كان يرتدي على الدوام بذلة رسمية وربطة عنق حتى في أيام القيظ الشديد، ويتأبط ملفاً جلدياً يحتوي على أفخر أنواع الورق.

وذاك أندريه الذي يسهر الليالي وهو يرسم النجوم.

ثم تأتي شارلوت ووالدتها اللتان لازمتا استوديوهات باراماونت منذ اخترعت الافلام السينمائية الناطقة. كانت شارلوت في الاربعين، أما والدتها ففي الستين وتحمل حقيبة غليظة في قبضتها الواهنة. وبدتا لي كأنهما ستصمدان هناك أكثر من آثار أقدام المشاهير وأيديهم المطبوعة في الاسمنت أمام مسرح غرومان الصيني. وهما صمدتا فعلا أكثر من النجوم الراقدين في المقبرة خلف الشركة. وبدا لي أن شغلهما الشاغل هو البقاء في باراماونت طوال اليوم وكل يوم.

أما بقية أفراد الزمرة فكانوا تشكيلة مختلفة وكأن أهلهم تخلّوا عنهم قبل سنوات في محطة حافلة.

لكنهم كانوا يفتقرون إلى أمر واحد. فما من أحد كان يحمل سلماً خفياً كسلّمي. كانوا يأملون أن يخرج العالم الخيالي إلى ملاقاتهم من بوابات الاستوديو. أما أنا فكنت آمل أن أتسلل إلى الداخل، متسلقاً الجدار، لاكتب ذات يوم وأُخرج وأُنتج وأمثل في الافلام!

ولم يسمح لنا الوقت بمزيد من التعريف. فقد حلّت الظهيرة وخرج

النجوم. وصلت ماي ويست ثم بينغ كروسبي وغلوريا سوانسون، السيدتان في سيارتيهما الليموزين وبينغ في سيارة شفروليه محطمة. ونزلت مارلين ديتريش من سيارتها الفخمة فصعق جمالها الباهر الجميع. ومرّ بنا كاري غرانت متوجها نحو مقهى أوبلاث وهو يرتدي سروالا كاكياً وحذاء لركوب الخيل. لكن الزمرة لم تحرّك ساكناً، كانت تنتظر أمراً ما.

ركاب الليموزين – فجأة ظهرت فتيات ثلاث يقهقهن. لقد وصلت الاخوات فريدريكسون ليبدأن نهارنا. كانت ضحكتهن كطلقة نارية، فوثبت كلاب الصيد الى الشارع لمواجهة سيسل دي ميل الذي سكب الحليب في مغطس كليوباترا (كلوديت كولبير) قبل سنة.

ونظر السيد دي ميل ولوّح بيده، فردت الاخوات فريدريكسون ملوحات وهاتفات. وسنحت لي فرصة التحديق اليهن. فلاحظت أنهن لم يكنّ فرقة مجنونات، بل فرقة مازحات. آن ماري (١٧ عاماً) ودوروثي الشقراء (١٥ عاماً) وجنفياف التي تصغرني سناً وجدن عملا مرحاً يؤدينه خلال فصول الصيف وأيام العطل ونهايات الاسابيع.

كن لا يفارقن بعضهن بعضاً، وكانت ضحكتهن حماية خاصة لمن يصوبنها في وجه كل من يأخذ الاستوديوهات على محمل الجد. وهن طوال بقية النهار وبقية الاسبوع وبقية السنة رحن يتنقلن بنا من باراماونت ظهراً الى استوديوهات كولومبيا بين الاولى والثانية ثم الى شركة «RKO»(★) بعد الظهر ومنها الى محطات الاذاعة، وأخيراً الى مطعم "براون ديربي" حيث يبقين حتى ساعة متقدمة من الليل. وهن قدننا أيضاً لرؤية جين هارلو في مطعم فاندوم وماي ويست وجوني ويسمولر (طرزان) وجاك بني في حلبات الملاكمة.

كانت ماري تسيطر باحكام على زمرتها. والغريب في الامر أن أهالينا تساهلوا معنا كثيراً في تلك الفترة. وتركني والدي انطلق بحرية طوال ذاك الصيف المشمس، فلا أعود إلى البيت الاّ متأخراً وسعيداً وبريئاً من كل الملاعين الذين مررت بهم.

وذات ليلة خرج جورج رافت من مطعم ديربي قرابة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، فرآني مع الشقيقات المرحات وتساءل ما الذي نفعله في مثل تلك الساعة. فما كان منه إلاّ أن زجّنا في سيارته وسلّمنا إلى القطار الليلي الاخير.

ومرة كانت الشقيقات يركضن في المقدم وأنا ودون نتعقبهن على مزلجتينا فاصطدمنا بسيارة لولا بارسونز. وسألتها أن تقلني الى الاذاعة حيث يعرض برنامج "أوتيل هوليوود." فأدخلتني سيارتها وأجلستني الى جانب غاري كوبر. وفي ما بعد طفت هوليوود في سيارتها الليموزين. وهي لم تعرف بالأمر، اذ كان سائقها يصطحبني عندما تكلّفه مهمة.

شهرة لدقيقة – سمعت أنا ودون أن جورج بورنز وغراسي آلن يقدمان عرضهما

(★) «Radio Keith — Orpheum» كانت قبل الحرب العالمية الثانية احدى شركات الانتاج "الخمس الكبرى" في هوليوود.

الاذاعي في قلب لوس انجلس. فتوجهنا الى هناك ووجدنا جورج خارج المسرح. فتوسلنا اليه كي يدخلنا. ووضعنا جورج في الصف الامامي وحولنا ٩٠٠ كرسي فارغ. ورفع الستار فأدّى بورنز وآلن مسرحيتهما أمام صبيين في الرابعة عشرة من العمر.

في الاشهر التالية كنت أستغل صف الطبع على الآلة الكاتبة، عندما لم تكن معلمتي تنظر ناحيتي، لأكتب الى بورنز وآلن نصوصاً مسرحية. فكنت أسلّمها مساء كل أربعاء الى السيد بورنز الذي يثني عليها، مع أني أشك في أنه كان يقرأها. لكنه ذات مرة استعمل مقطعاً مسرحياً من ثمانية أسطر كنت كتبته له. فاشتهرت في بيتي ذاك المساء لدقيقة واحدة.

بعد ذلك كتبت ومثلت في المدرسة الثانوية ورحت أجمع النصوص المسرحية المدوّنة للاذاعة من سلال المهملات في الاستوديو كي أتعلم أن أكتب أف ل. وتخرجت واضطررت في النهاية الى التخلّي عن مزلجتي. في ذاك الحين كنت أصبحت مديد القامة بحيث أثير ضحك الناس كلّما انزلقت أمامهم. وابتعدت تدريجاً عن باراماونت.

كمّ مرّ من الزمن قبل أن أدعى الى الاستوديوهات؟ نحو عشرين سنة كان و. ك. فيلدز توفي قبل زمن بعيد أي قبل أن أقبض حوالتي الأولى من شركة "يونيفرسال". أما مارلين ديتريش فلم تعد تذكر ذاك الولد المجنون الذي لاحقها بدفتر تواقيعه على سلّم صالون "ويستمور" للتجميل.

ولكن، حمداً لله، لم يزل بينغ كروسبي يذكرني. أما الشقيقات فريدريكسون فاختفت آثارهن. وكنت أتساءل من بقي على اتصال بهن؟ بينغ طبعاً. وكتبت اليه فأجابني وأرسل الي عنوانهن.

"وقِّع هنا!" – خلال مأدبة أقيمت لتوزيع جوائز في العام ١٩٨٠ كنت أقدّم جائزة الى أحد المخرجين، رأيت جورج بورنز جالساً إلى طاولة جانبية. فتوقفت عن الكلام وأخبرت الحاضرين عن اللطف الكبير الذي غمر به جورج بورنز صبياً أيام الازمة الاقتصادية الكبرى في العام ١٩٣٠.

وعندما انتهى العرض صعد جورج بورنز إليّ وضمّني صارخاً: "أهذا أنت؟ اني اذكرك!"

وفي ليلة العرض الاول لفيلم "موبي ديك" عام ١٩٥٦ وصلت برفقة زوجتي. ونظرت الى ما وراء المصورين وصرخت لاهثاً: "ما زالوا هنا!"

انهم عائلتي الغريبة. لم يكونوا كلّهم بالطبع. لكن موريس كان هناك مع دفتر تواقيعه الضخم. ورأيت وجهين آخرين فناديت: "شارلوت! ماما!"

كانت شارلوت أصبحت في قرابة الخامسة والستين، وأمها في التسعين ربما. وكانتا تتمسكان بدفتري التوقيعات وكأنهما كتابان مقدسان.

وهرولت نحوهما صارخاً: "شارلوت! ماما! هذا أنا. أتذكران؟ استوديوهات باراماونت؟ صيف ١٩٣٤؟ راي؟" ثم توقفت وتابعت: "راي المجنون؟"

فسألت شارلوت: "راي؟" وأضافت

أمها: "المجنون؟" ثم سألتاني معاً: "ماذا تفعل هنا؟"

فاحمرت وجنتاي. كيف لي أن أقرّ بالأمر؟ وأجبت بصوت خافت: "لقد كتبت سيناريو الفيلم."

فصعقتهما الدهشة: "أنت؟"

وخيّم على المكان صمت رهيب. وما لبث أن ارتفع صوت وراء شارلوت: "هل لي بتوقيعك؟"

فصاحت أم شارلوت وكأنها خرجت من نشوتها "يا الهي! نعم، وقّع هنا!"

واندفعت الاقلام والدفاتر نحوي مرة واحدة، فوقعتها مطأطأ الرأس، ووقعت أخيراً على دفتري شارلوت وأمها. ودونت شيئاً عن جنون صيف ١٩٣٤ والمزلجة. لكن "موبي ديك" كان ينتظر، وسحبتني زوجتي الى الداخل. وبينما أنا أسير على غير هدى في ممشى المسرح المظلم كنت أسمع صراخ و. ك. فيلدز: "احترس يا سيد ماكل! من هنا يا سيد ماكل!"

واستندت الى زوجتي بسعادة فقادتني الى حيث ينتظرنا الحوت الابيض الضخم!

راي برادبوري ■



جيلاتي مجانية!

بينما كنت راجعاً الى مركز عملي في مستودع للجيلاتي (الآيس كريم) توقفت في زحمة سير خانقة. واذ كان الحر لاهباً فقد تناولت من صندوق شاحنتي قطعة جيلاتي. وكان في السيارة المتوقفة ورائي أربعة أولاد أخذوا يراقبونني وأنا آكل بتلهف، فرق قلبي لهم وناولت كلا منهم قطعة. وما هي الا دقائق حتى حاطتني جمهرة من الاولاد نزلوا من السيارات المتوقفة، فأعطيت كلا منهم قطعة وافرغت في هذا العطاء أربع علب قررت أن أدفع ثمنها من مالي الخاص.

ولدى رجوعي الى المستودع دعاني مدير الشركة واستوضحني سبب تصرّفي ببضاعة الشركة على هذا النحو. وانتظرت منه أن يطردني. لكنه ابتسم لي برضا وتابع: "ان عملك هو أفضل دعاية قامت بها الشركة منذ سنين، فآباء الاولاد وأمهاتهم ما زالوا يتصلون بنا يشكرون للشركة معروفها".

ر.ر.

الصياد والقصبة

عرض احد المحلات الكبيرة اصنافاً جذّابة متنوعة لعدة صيد السمك. فدخل أحد الزبائن، وبعدما تناول قصبة لماعة وتفحصها ملياً سأل: "هل تستهوي هذه القصبة الأسماك؟"

فرد البائع: "نحن لا نبيعها للاسماك."

ا.م.



المصباح

لم يكن يفعل شيئاً فلماذا افتقدته الى هذا الحد؟

عندما كنت صغيرة بدا لي أن الأب مثل مصباح ثلاجة. ففي كل بيت واحد منهما، لكن أحداً لا يعرف تماماً ماذا يفعلان حين ينغلق الباب.

كان أبي يغادر البيت كل صباح ويبدو سعيداً برؤيتنا ثانية حين يعود مساء.

كان يفتح سدّادة قارورة المخللات حين يعجز الجميع عن فتحها.

كان الوحيد في البيت لا يخشى النزول بمفرده الى القبو.

كان يجرح وجهه وهو يحلق ذقنه، لكن أحداً لم يتقدّم ليقبّله أو يهتم لما حصل. وكان من المفهوم أنه حين يهطل المطر يذهب هو الى موقف السيارة ليوصلها الى الباب. وحين يمرض أحدنا كان هو الذي يذهب لاحضار الدواء.

كان دائماً مشغولا وكان يصلي مصائد الفئران. كان يقطع أغصان الورد كيلا تخزنا الاشواك حين نسير الى الباب الامامي. وهو الذي كان يزيّت عجلات مزالجي كي تجري على نحو أسرع. وحين حصلت على دراجتي الهوائية كان هو الذي يركض بجانبي، وقطع ألف كيلومتر على الاقل قبل أن أسيطر عليها لوحدي.

هو الذي كان يوقع بيانات علاماتي المدرسية. وقد أخذ لي صوراً لا تحصى من دون أن يظهر في واحدة منها. وهو الذي كان يشد لأمي حبال الغسيل المرتخية.

وكنت أخاف من آباء كل الاولاد الا أبي. أعددت له الشاي ذات مرة وكان عبارة عن ماء فيه سكر. ومع ذلك جلس في المقعد الصغير وأخبرني أنه كان لذيذاً، وبدا مرتاحاً جداً.

ذهبت معه مرة لصيد السمك. وأخذت ألقي الحجار في النهر، فهدّد بالقائي في الماء فوق الحجارة. ولم أكن واثقة بأنه سيفعل، لذلك واجهته بنظرة تحد ورميت حجراً آخر.

عندما كنت ألهو بلعبة "البيت" كنت أعطي الدمية الأم مهمات كثيرة. ولم أكن أعرف ماذا أوكل الى الدمية الأب. لذلك كنت أجعله يقول: "اني ذاهب الى العمل الآن..." ثم أقذف به تحت السرير.

وذات صباح حين كنت في التاسعة من عمري لم ينهض أبي ليذهب الى العمل. ذهب الى المستشفى ووافته المنيّة في اليوم التالي.

وجاء جمع غفير الى بيتنا وأحضروا معهم أنواع الاطعمة والحلوى.

ذهبت الى حجرتي وتلمّست تحت السرير بحثاً عن الدمية الأب. وحين وجدته نفضت عنه الغبار ووضعته على الفراش. لم يكن يفعل شيئاً قط. ولم أكن أتصوّر أن ذهابه سيؤلمني الى هذا الحد.

لكنه لا يزال يؤلمني حتى الآن.

إرما بومبك ■



البسمة النيرة

لا قيمة للتحية ما لم يرافقها الابتسام. فالبسمة هي النور الذي ينبجس من اليدين المتصافحتين.

ع.م.

الصوف الذهبي الذي بحث عنه المغامرون الاغريق في الاساطير وُجد أخيراً في المرينو الاوسترالي

الكبش الذهبي

في ٢٦ يونيو (حزيران) ١٧٩٧ دخلت السفينة التجارية "رلاينس" ميناء سيدني متعثرة وسط الرياح الهوجاء وضباب الصباح. وكان منظرها مشجعاً لألوف السكان الجوعى المقيمين على شواطىء تلك القارة المجهولة. وقد أتى قبطانها هنري ووترهاوس إلى سيدني من كيب تاون في جنوب افريقيا التي تبعد عن المستعمرة ١٥ ألف كيلومتر وجلب معه خليطاً من الماشية. وتولى ووترهاوس مدة ٧٨ يوماً العناية بهذه الشحنة التي تضمنت عدداً قليلا من الاغنام الاسبانية. وهو كان اشترى هذا العدد بهدف استثماره في كيب تاون. وأُفرغ القطيع في مركب طويل حمله الى الشاطىء حيث انضم الى قطعان غنم من كيب تاون



والبنغال استوردت من قبل وبدت مهزولة لها صوف كصوف العنز.

وكان ووترهاوس يأمل أن يكافئه الحاكم هنتر لاحضاره نوعاً من الغنم يفضِل الانواع الأخرى في لين ملمسه وغزارة صوفه، غير أن الحاكم لم يفعل. ولم يلبث القبطان أن وُهب أرضاً في المستعمرة وبات مزارعاً، وقُدّر لقطيعه أن يصبح ذا شأن كبير في التاريخ.

الضابط ماك آرثر – من الأقوال المأثورة في الريف الاسباني أن "من يملك الغنم يملك الثروة." والواقع أن تصدير الصوف الغالي أتاح لأهل أسبانيا الحصول على ثروة ضخمة استعانوا بها في تأسيس امبراطوريتهم القديمة. والمعروف أن الاغنام الاسبانية هي من نوع المرينو(١). ولا نعلم على وجه اليقين متى وأين بدأ هذا النسل ينتج صوفاً متميزاً من حيث كثافته ونعومته.

إلّا أن أمراً ملكياً صدر بحظر تصدير قطعان المرينو من اسبانيا، وبقي هذا الأمر سارياً بضعة قرون. لكن الملك كارلوس الثالث أهدى في منتصف القرن الثامن عشر عدداً من هذه الاغنام الثمينة الى أقاربه وأصدقائه في أوروبا، على أنه امتنع عن إرسال شيء منها الى العدو القديم بريطانيا. وقد وصلت هذه القطعان في بداية الأمر الى ألمانيا وفرنسا والنمسا. وفي العام ١٧٨٩ أرسل قطيع صغير الى حاكم المستعمرة الهولندية في جنوب افريقيا.

والحق أنه طرأ تحول في تاريخ أوستراليا بوفاة الحاكم الهولندي قبل وصول القبطان ووترهاوس والسفينة "رلاينس" الى كيب تاون، إذ قررت أرملة الحاكم الرجوع الى أوروبا وبيع جميع مقتنياتها ومن ضمنها قطيع المرينو. واشترى ووترهاوس ثلاثة عشر رأساً من هذا القطيع ودفع أربعة جنيهات ثمناً للرأس الواحد. وبعد ذهابه الى سيدني في وقت لاحق رفض أن يبيع الرأس بخمسة عشر جنيهاً.

وكان للملازم الاول جون ماك آرثر فضل كبير في جعل أوستراليا شهيرة بثروتها الحيوانية. وهو كان ضابطاً حاد الطبع في الفرقة العسكرية في نيو ساوث ويلز جنوب شرق أوستراليا، وكان يزعم أنه أول من شك محراثاً في أرض اوستراليا. وفيما كان في طريقه الى اوستراليا قادماً من ديفون قام نزاع عنيف جداً بينه وبين ضابط أعلى منه رتبة مما تسبب في انتقاله وأفراد عائلته الى سفينة أخرى وهم وسط المحيط.

وبعدما رست السفينة في بورت جاكسون في يونيو (حزيران) ١٧٩٠ استملك ماك آرثر وزوجته اليزابيث أرضاً في باراماتا تبلغ مساحتها ٣٠ ألف متر مربع. وعمد الى بناء بيت كبير تحوطه أرض واسعة هو من أوائل البيوت الكبيرة التي عرفتها أوستراليا. وغرس الكرمة وأشجار الجوز والفاكهة وزرع الزهر والخضر في أرض سماها وزوجته "مزرعة اليزابيث." وراحت الخيل والمعزى والبقر والاغنام البنغالية الطويلة الشعر ترعى في أملاكه التي بلغت مساحتها في ما بعد نحو ٩٦ كيلومتراً مربعاً.

(١) Merino sheep

Illustration: Rodney Scott

القطيع الملكي – كان ووترهاوس يؤمّن الغنم لكثير من السكان وفي عدادهم ماك آرثر والأب صموئيل مارسدن. وفيما حرص ماك آرثر على المحافظة على نقاء نسل غنم المرينو عمد مارسدن إلى تزويج هذا النوع أغناماً أخرى كي ينتفع بلحم الانسال الهجينة وصوفها في آن. وقد يكون عمله هذا أدى بغير علم منه إلى حفظ قدرة الغنم البنغالي على حمل أجنّة عدة في بطن واحد، والى نشوء صنف رائع سيحدث ضجة بعد ١٥٠ سنة.

كان طبع جون ماك آرثر السبب الرئيسي في قيام صناعة الصوف في أوستراليا. فخلال نزاع آخر نشأ بينه وبين ضابط أعلى منه رتبة أيضاً أصيب خصمه برصاصة في ذراعه. فقُبض على ماك آرثر وأرسل الى بريطانيا في إحدى السفن ليحاكَم في المجلس العسكري. غير أن الوثائق التي تدينه ضاعت خلال الرحلة التي استغرقت ما يزيد على سنة فتسبب ذلك في إلغاء محاكمته. واتفق انه كان في حوزة الملك جورج الثالث عام ١٧٨٨ بضعة رؤوس من غنم المرينو التي هُرّبت من اسبانيا عبر البرتغال.

وبعد ثلاث سنوات أهدي الى الملك قطيع صغير من هذه الاغنام فأمر بإقامة مرعى لها قرب نهر التيمس في كيو. وفي أغسطس (آب) ١٨٠٤ دعا الملك الى أول مزاد علني لبيع بعضها، فاشترى ماك آرثر عدداً منها. لكن السير جوزف بانكس المسؤول عن رعاية القطعان الملكية حذره من شحن أي منها الى أوستراليا. فقانون منع تصدير الغنم من بريطانيا كان لا يزال سارياً، وكل من يخالفه تصادر أغنامه وتوسم يداه بالنار.

لكن ماك آرثر كان على صلة وثيقة باللورد كمدن وزير شؤون الحرب والمستعمرات. فحصل له اللورد على اذن بتصدير تسعة خراف من المرينو، كما مُنح أربعين كيلومتراً مربعاً أخرى من الارض في أوستراليا.

هوس الغنم – كان ماك آرثر على معرفة جيدة بالآداب القديمة، فاستلهم الاسطورة الاغريقية عن جاسون ورفقائه المغامرين "الآرغونوت" الباحثين عن الصوف الذهبي. واشترى مركباً أطلق عليه اسم "آرغو" وطلب أن تنحت في مقدمه كتلة صوف ذهبي. وراحت خراف المرينو تسرح في أرضه الجديدة التي سماها "كمدن بارك". وفي العام ١٨١٤ وصلت الى لندن الشحنة الاولى من الصوف الممتاز المجزوز من قطعان ماك آرثر، فأثارت جودته إعجابا كبيراً لدى التجار.

أطلق البريطانيون على الصوف المشحون من كمدن بارك ومارسدن وغيرهما اسم "صوف بوتاني باي." وراقت فكرة تربية قطعان المرينو ألوفاً من الرجال والنساء المتحلّين بالعزم والطموح. فعمد كثيرون من يوركشاير وسومرست واسكوتلندا وألمانيا الى شراء أغنام المرينو وأبحروا بها في رحلات طويلة عبر رأس الرجاء الصالح الى أرض غير محروثة يحتاج العمل فيها الى عزم شديد. وفي ذلك كتب المؤرخ جون ريري غراهام: "يبدو أن كثيرين أصيبوا بهوس تام."، انه هوس تربية الغنم.

وأضحت أغنام المرينو الاوسترالية على

مرّ السنين أفضل من تلك التي أُتي بها من بريطانيا أو اسبانيا. فهي أكبر وأقوى من التي ربّاها ووترهاوس، وصوفها أنعم وأغزر بثلاث مرات، وقد غدا نسلها أكثر عدداً. وباتت اوستراليا أغنى بلدان العالم في إنتاج الغنم. وبلغ هذا الانتاج ذروته عام ١٩٧٠ ووصل الى ١٨٠ مليون رأس. وبلغ دخل أوستراليا من تصدير الصوف بين عامي ١٩٥٣ و١٩٨٣ نحو ثلاثين مليون دولار. وكان صوف المرينو في الماضي وقفاً على الملوك والنبلاء فبات اليوم في متناول ملايين الناس في أنحاء العالم.

خصب مذهل – قد يتبادر الى أذهاننا أن الحيوانات المهزولة التي تكونت منها قطعان الغنم في أوستراليا أول المطاف باتت الآن في طي النسيان بعدما استأثر المرينو باهتمام مربّي الماشية. غير أن هذا الظن ليس صحيحاً. فمنذ الحرب العالمية الثانية تبين أن الاغنام المرباة في ضفتي نهر سنووي قرب كوما في نيو ساوث ويلز هي نسل ممتاز من أرومة المرينو وتتمتع بقدرة عجيبة على التناسل. ففي الاربعينات بدأ أفراد عائلة سيرز الذين كانوا يربون غنمهم في حقل مليء بالفصفصة، توزيع نعاجهم مبتغين زيادة انتاج قطعانهم. وفي العام ١٩٥٨ قرأ جاك وديك سيرز، وهما أخوان يديران محطة بورولا، تقريراً عظيم الشأن في هذا الموضوع كتبته الدكتورة هلن نيوتن تورنر. وكانت تورنر طالبة في فرع الهندسة المعمارية، إلا انها بعد عملها مساعدة للسير ايان كلونيز روس رئيس منظمة البحث العلمي والصناعي في الكومنولث، تحول اهتمامها الى العلوم فعمدت الى تغيير اختصاصها. وهي اليوم عميدة العلماء المختصين بشؤون الغنم. وعلى رغم تقاعدها فانها لا تزال باحثة نشطة في هذا الحقل.

في بداية الخمسينات لاحظت تورنر أن نعاج المرينو التي أرسلت من كنامولا في كوينزلاند الى مراعي المنظمة حققت "زيادة ملحوظة في نسبة الانتاج." ودفعتها تلك الملاحظة الى دراسة هذه الظاهرة. فوجدت أنه يمكن تحقيق زيادات كبيرة في أعداد الغنم بتزويجها بنوع معين كان في حوزة الأخوين سيرز. وبعدما قرأ الأخوان التقرير كتبا الى هلن تورنر وعرضا عليها هدية هي "كبش كثير الاخصاب يولد من نسله خمسة توائم." والى هذه الهدية عمدت تورنر الى شراء عدد من نعاجهما المولودة في ثلاثة توائم أو أربعة.

ولئن تكن أغنام المرينو لا تلد عادة أكثر من حمَل واحد في كل بطن فإن أغنام البورولا تميزت بقدرة مذهلة على الانتاج مما حدا تورنر على دراسة تاريخ هذا النوع. فوجدت أن أصلها يرجع الى اغيلابرا في السهول الوسطى في نيو ساوث ويلز. وبعد مزيد من التعمق في الدراسة اكتشفت ان غنم اغيلابرا نتاج مباشر للقطعان المختلطة التي كانت في حوزة مارسدن في بداية القرن التاسع عشر.

الجينة السرية – كانت الدكتورة تورنر تعلم أن القطعان الاولى التي أتي بها الى

المستعمرة هي كثيرة النسل. فهل يمكن أن تكون تركت خصائصها على مدى أجيال في غنم البورولا؟ والحق أن تورنر رأت ذلك ممكناً. وفيما كان برنارد بندون ولوري بيبر وزملاؤهما يعملون في دراسة خصائص قطيع البورولا في قسم الانتاج الحيواني في أرميدال اكتشفوا أن هناك جينة(٢) واحدة تسببت في كثرة نسل هذه الاغنام التي يعد فيها نتاج ثلاثة توائم أمراً عادياً جداً ويكثر أن تنتج توائم أربعة أو خمسة.

وفي مؤتمر عالمي عقد في نيوزيلندا عام ١٩٨٠ كشف علماء اوستراليون طريقة عمل هذه الجينة على النحو الآتي: تبدأ دورة التناسل في النعاج على نحو مماثل لدورة التناسل عند النساء. فتنتج الغدة النخامية القائمة في قاعدة الدماغ مادة هرمونية تسعف في تكوين البييضات في جُرَيّبات المبيضين. ومن ثم يفرز المبيضان مادة توقف انتاج البييضات. وقد اكتشف بندون ومساعدوه أن هذه المادة الثانية ضعيفة في مرينو البورولا، الى حد جعل نعاج البورولا في أرميدال تنتج في فترة الاخصاب عدداً من البييضات يصل الى إحدى عشرة من دون اللجوء الى حافز اصطناعي. وقد حضّر العلماء الآن لقاحاً يلغي مفعول المادة الهرمونية التي ثبتت فاعليتها في غير غنم البورولا. ويقول العلماء إن جينة النسل الكثير تنتقل عادة من السلف الى الخلف.

من هنا فإن عليك أن تستريح وتنعم النظر عندما تشاهد قطعان الغنم الاوسترالي. فهذا المشهد يذكرك بالمعطف المصنوع من صوف المرينو، ذلك الصوف الذي يكاد يغطي أجسامها المكتنزة باللحم حتى الارض. واذا أنت أطلقت لخيالك العنان فيمكنك النظر الى هذه الاغنام على أنها من نسل قطعان نبيلة حُفظت كشيء ثمين مدة تزيد على خمسمئة سنة. وحتى اذا نظرت اليها بمقياس نفعي فستجد أنها حيوانات رائعة وربما كانت أجمل حيوانات اوستراليا.

ليتارد بيكل ■

(٢) الجينة «gene» هي حاملة الخصائص الوراثية.



فن الطبخ

خلال أحد دروس فن الطبخ حضّرت الفتيات قالب حلوى. وبعد ساعة من وضعه في الفرن طلبت المعلمة من احداهن أن تتفقد القالب فتغرز فيه سكيناً ثم تسحبها، فاذا لم يعلق عليه شيء كان القالب جاهزاً.

وعادت الفتاة بعد عشر دقائق فسألتها المعلمة عن سبب تأخرها، فأجابت: "لقد غرزت السكين وسحبته فوجدته في منتهى النظافة. عندئذ غرزت جميع السكاكين الوسخة ونظفتها."

ك.ر.



هل أنت قانط؟ هل أنت متوتر؟ هل يعتريك إحساس بعدم الطمأنينة؟ يرى الخبراء اليوم أن ظهورك مظهر من يحس السعادة والارتياح والثقة بالنفس يمكن أن يساعدك حقاً على اكتساب إحساس مماثل

اضحك... فالضحك خير دواء

ذات يوم كان أحد أصدقائي يعاني بعض الانقباض. وهو تعود الابتعاد عن الناس عندما يكون في حال مماثلة الى أن يبارحه الانقباض. غير أنه كان ذلك اليوم على موعد مهم مع رئيسه فقرر تكلّف السرور. وفي أثناء الاجتماع راح يبتسم ويمزح وبدت عليه أمارات الشخص السعيد الحسن المزاج. وبعد قليل فوجىء بزوال انقباضه.

لقد عثر صديقي بغير علم منه على مبدأ مهم ظهر حديثاً في الابحاث النفسية قوامه أن تصنّع شعور معين

PHOTOS: GIORGIO PALMISANO
MIME TEAM: KEITH BERGER AND SHARON DISKIN

يفضي بنا حقاً الى الاحساس به فتزداد ثقتنا بأنفسنا في المواقف الصعبة ونبدو أكثر مرحاً في الملمات.

بقي علماء النفس والاطباء النفسانيون عشرات السنين يرون أن المرضى لا يمكنهم تغيير سلوكهم الا إذا تغيرت إحساساتهم. وكان العلاج يقوم على جعل المريض يكتشف سبب إحساسه. مثلا، ما هي الحوادث الماضية التي جعلته عدائياً أو خجولا أو خائفاً من الحب؟ ومن ثم يعمل الطبيب والمريض على تغيير تلك الاحساسات مما يؤدي في نهاية المطاف الى تغيير سلوك المريض.

والواقع أن هذا النوع من العلاج كثيراً ما يكون أساسياً في معالجة المشكلات النفسية الخطيرة. أما الذين يعانون مشكلات شعورية يومية فيمكنهم التغلب على هذه المشكلات من خلال العلاقة القائمة بين المظاهر الجسدية







والاحساسات. فمن خلال تصرفنا على نحو معين يمكننا تغيير احساساتنا.

وقد قدمت كلية الطب في جامعة كاليفورنيا بسان فرنسيسكو أحدث البينات على هذا الأمر. ففي هذه الكلية طلب عالم النفس بول ايكمان وزميلان له من بعض المتطوعين اداء ستة تعابير وجهية يدل كل منها على شعور معين. وقد عبّرت وجوه هؤلاء المتطوعين عن الدهشة والاشمئزاز والحزن والغضب والخوف والسرور. ومما أثار الدهشة أن المتطوعين عندما تظاهروا بالخوف بانت أمارات الخوف في أجسامهم إذ ازدادت سرعة خفقان قلوبهم وانخفضت حرارة جلودهم. وحين تظاهروا بالغضب ازدادت سرعة خفقان قلوبهم وارتفعت حرارة جلودهم. أما عندما عبّروا عن الاشمئزاز فقد خفت سرعة خفقان قلوبهم وانخفضت حرارة جلودهم.

والحق أن كثيرين يطبقون هذا المبدأ على غير معرفة منهم. فنحن نحض الطفل الباكي على الابتسام، وحين نفعل ذلك يبتسم الطفل عن غير عمد ويرجع اليه مرحه المفقود. والمعروف ان مايكل كامبوس الذي يدير في جونستاون (ولاية نيويورك) مدرسة للفنون العسكرية يعتمد هذه الطريقة النفسية في التعليم. وهو يقول إن للصرخة الخاصة بالكاراتيه ثلاثة أهداف هي شدّ عضلات المعدة وإخافة الخصم و"مساعدة المرء على أن يثق بنفسه،" والأخير هو أهم الاهداف جميعاً.

وقد شاهدت تطبيقاً لهذه الفكرة خلال محاكمة جنائية. كان محامي الدفاع يقفز أحياناً وقد صعد الدم الى وجهه للاحتجاج على تهجم النيابة العامة. وأخبرني المحامي في ما بعد أن "التظاهر بالحنق ليس موجهاً فقط الى المحلفين إذ هو يساعدني على الايمان بصواب ما أفعله."

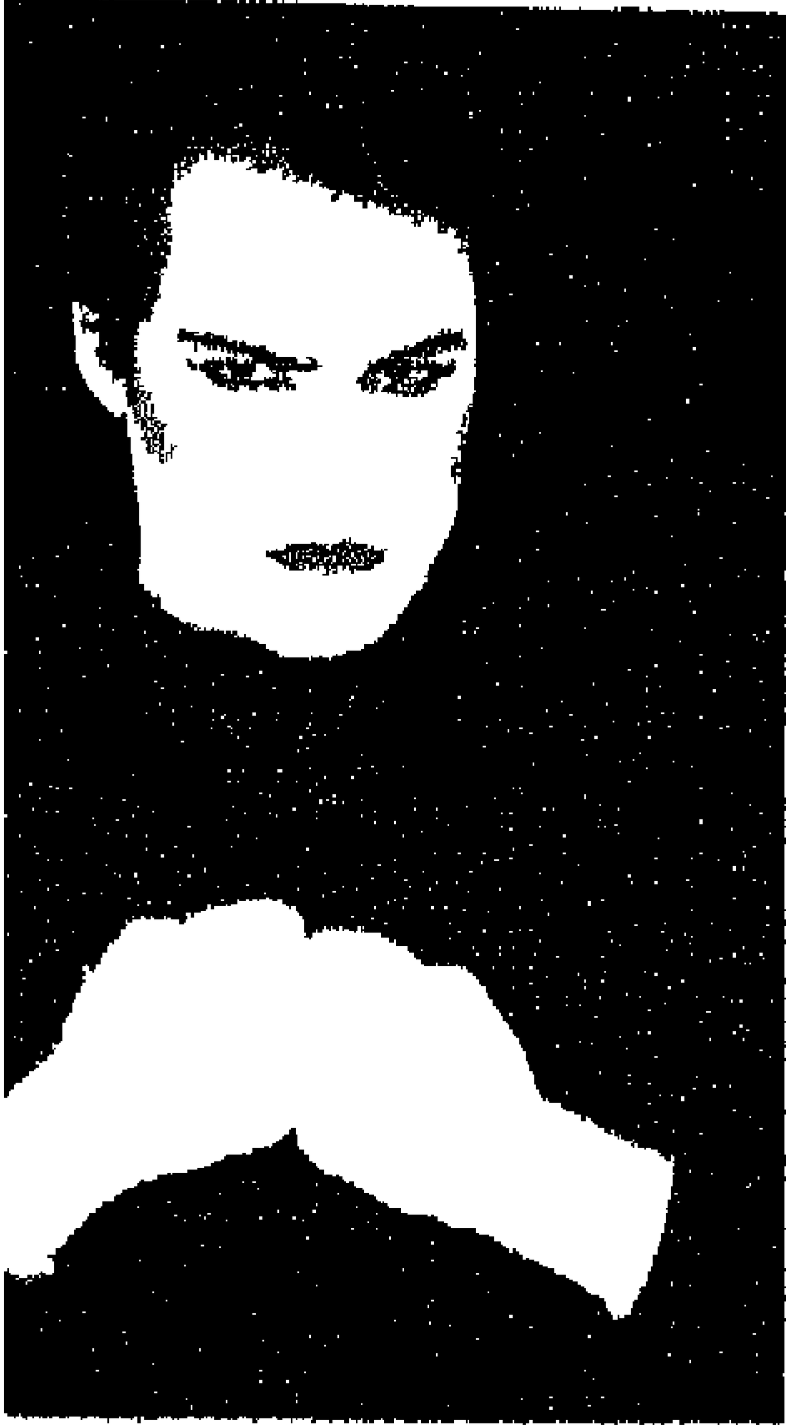
فكيف يمكنك تطبيق هذا المبدأ في حياتك أنت؟ الصحيح أن تطبيقه ليس وقفاً على محاكاة بعض التعابير الوجهية، بل هو يستدعي عملا منهجياً اليك توضيحه:

ابتسم كي تشعر بالمرح. ولكن لا تكن متردداً في هذا المقام. فعالم النفس ايكمان يحذر من أن الابتسامة الكاذبة، أي التي تأتي مفاجئة جداً ومقتضبة جداً وتستخدم الفم من دون العينين، لا تنمّ عن إحساسات الفرح ولا هي تولد هذه الاحساسات. لذلك عليك بذل جهد حقيقي. فابدأ بابتسامة لطيفة ثم حولها ببطء ابتسامة عريضة متوهجة. ومن ثم اضحك. فاذا لم تتمكن من التفكير في أمر مضحك فتظاهر بذلك. وهذا لا يعني أن عليك الضحك عندما تواجهك مشكلات حقيقية. فجدوى هذه الطريقة تكمن في



استعمالها عندما تكون في حاجة الى ما يسعفك في تحمل بعض مشكلاتك اليومية.

والقراءة بصوت عال تساعدك ايضاً في هذا الصدد. فاقرأ على نحو معبّر واقصر



قراءاتك على ما يبعد عنك أجواء الحزن. ويمكنك على سبيل المثال أن تقرأ مقطعاً فكاهياً في احدى قصص مارك توين أو مشهداً ساخراً في بعض مؤلفات تشارلز ديكنز. وجاء في دراسة أعدتها جامعة بنسلفانيا أن المرضى الذين يقرأون بصوت عال على نحو تعبيري طرأ على مزاجهم تحسّن كبير.

استرخِ كي تهدىء القلق أو الخوف. هناك طريقة نموذجية لجعل الجسم في حال استرخاء. والطريقة تكمن في شدّ عضلات اليدين ثم إرخائها وتكرار ذلك بعضلات الذراعين والعنق والوجه حتى تصل الى أصابع القدمين. ويمكنك أيضاً أن تتخيل نفسك في مكان مريح كشاطىء بحر أو حديقة عامة. ويمكن أن تؤدي وسائل الاسترخاء هذه سريعاً الى انخفاض في سرعة النبض والتنفس واستهلاك الاوكسيجين وفي نسبة اللكتات(١) في الدم، وهي المادة التي يُظنّ انها تزيد حالات القلق.

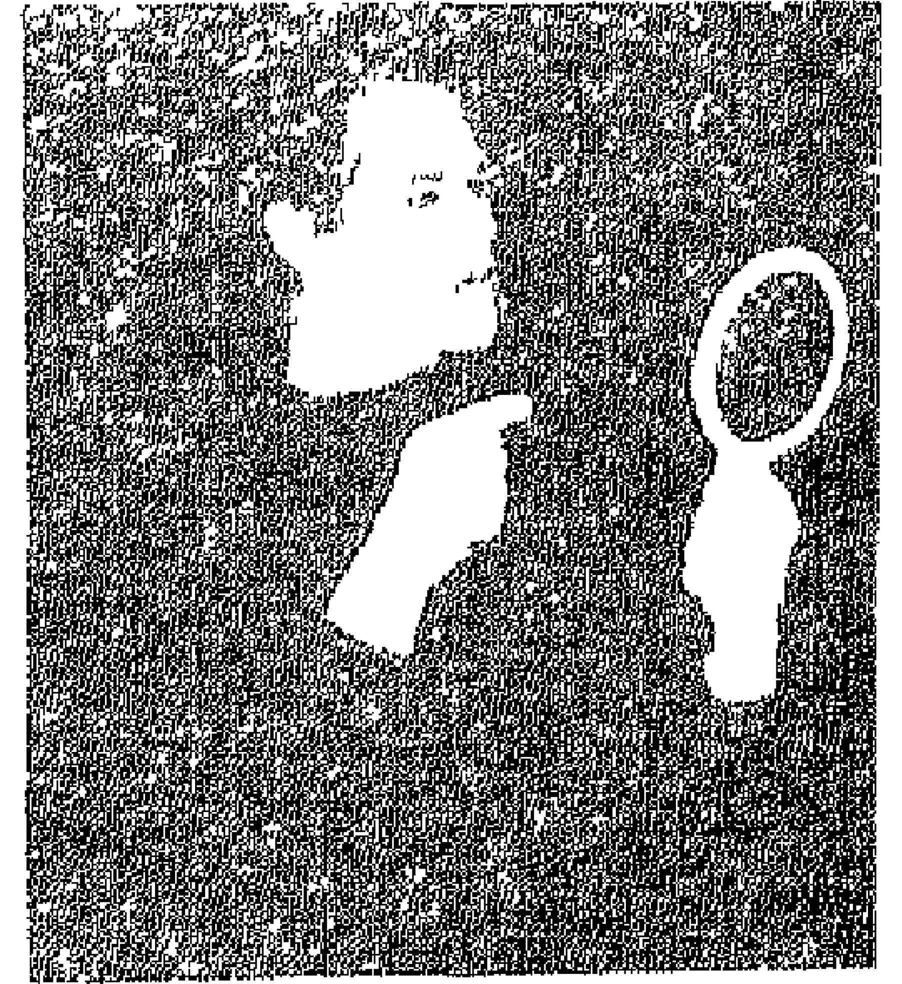
ومن خير السبل الى تبديد الغمّ الانصراف الى لعبة التمثيلية التحزيرية(٢) مثلا أو مشاهدة فيلم

(١) Lactate أو ملح الحمض اللبني.

(٢) لعبة قوامها مشهد تمثيلي يصور مقاطع كلمة معينة يطلب من المشترك في اللعبة أن يحزرها.

فكاهي على أن يضحك المتفرج بصوت عال. فليس الترفيه وحده هو الذي يساعدك في هذا الشأن، بل إن الضحك يجعل احساسك أفضل مما كان.

لا تألُ جهداً كي تعزز ثقتك بنفسك. فقبل أن تجري مقابلة تتعلق بوظيفة أو تطلب زيادة على معاشك أو تتكلم في مكان عام عليك أن تعتني بهندامك وتقف منتصب الهامة. وتدل الابحاث على أن حسن مظهرك يجعل الآخرين أكثر استعداداً لقبول رسالتك، لكن ما يفوق هذا أهمية هو أنه يساعدك أنت على الايمان بها.



لذلك اعمد الى ممارسة الدور الذي تود أن تؤديه. ويمكنك أن تجربه أمام المرآة أو مع صديق لك أو مع زوجتك.

الزم الهدوء في الازمات. لنفترض أنك أضعت بعض الأوراق المهمة أو أن عاصفة هوجاء هددت منزلك فجأة. فإذا أردت أن تبقى هادئاً عليك أن تبدو هادئاً وتلزم السكينة والثبات في حركاتك وتتحاشى العجلة والاضطراب. والى ذلك أبق صوتك منتظماً وكلامك بيّناً ولكن متمهلا. فالذعر مُعْدٍ، كذلك الهدوء.

ذات صيف كنت أقود مركباً شراعياً في رحلة تستغرق أسبوعين. ولم تلبث أن ضربت المركب عاصفة فاعتراني توتر شديد ورحت أصرخ في أصدقائي الثلاثة مصدراً الأوامر. وانتهينا جميعاً الى حال من الاضطراب. واقترح أحد أصدقائي بهدوء طريقة أفضل لمقاومة العاصفة، وهو بحّار قديم. وعندما اعترضتنا بعد يومين عاصفة أشدّ من الاولى أصدرت الأوامر بنبرة قوية متّزنة ورفعت ذقني، فلاحظت بدهشة أنه انتابني شعور أقرب الى الهدوء. وفيما كانت العاصفة الاولى أزمة تامة بدت الثانية مغامرة مثيرة.

إن استخدام أجسامنا وأفعالنا لتغيير طريقة احساسنا يمكن أن يكون وسيلة نافعة لمساعدتنا خلال صعوبات حياتنا. وقد أصابت الروائية البريطانية جورج إليوت(٣) عندما كتبت قبل أكثر من قرن: "إن أفعالنا تسيّرنا بمقدار ما نسيّر نحن أفعالنا." والناس الذين يتذكرون ذلك ويتصرفون بمقتضاه لا يسعهم الا أن يكونوا أغنى وأكثر سعادة في التجربة.

مورتون هنت ■

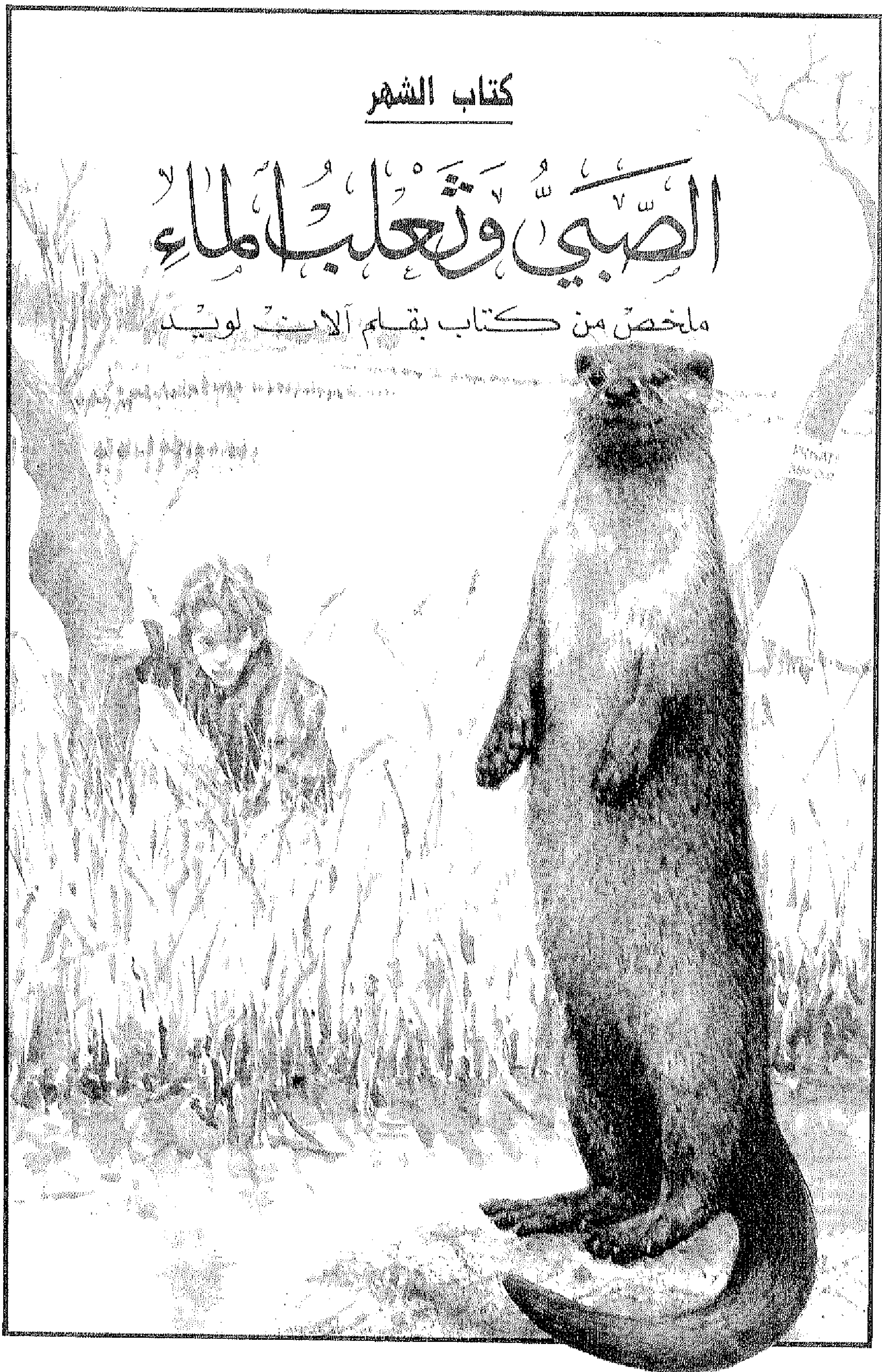
(٣) جورج إليوت هو الاسم المستعار للروائية ماريان ايفانز (١٨١٩ - ١٨٨٠).



جرأة أم فلتان؟

يكتب الناس على قمصانهم هذه الأيام عبارات لم يجرؤوا في ما مضى على البوح بها للاطباء النفسانيين.

ك.ك.


كتاب الشهر
الصبي وثعلب الماء
ملخص من كتاب بقلم آلان لويد

الصَّبيُّ وثَعْلبُ الماءِ

ملخصٌ من كتاب بقلم آلان لويد



قصة الصبي ولُوط القضاعة والرجلين العجوزين اللذين خاضا معارك كثيرة من أجلهما، هي ويا للأسف قصة خرافية. ففي بريطانيا تعرّض حيوان القضاعة في أواخر الخمسينات لهبوط عددي مفجع، وصيحته اليوم أندر من صيحة الباز أو طائر المرعة المبقّع. ويتساءل الكاتب: "هل يبقى لوط حياً؟" ويضيف: "في مكان لا يبعد إلا قليلا من حيث جلست أكتب هذه الاسطر، هناك خندق يحمل على الخريطة اسم "قناة القضاعة". لكن القضاعات أو ثعالب الماء التي كانت تجوب مستنقعات رومني في بريطانيا اختفت قبل أكثر من عقدين. الا أن في وسعها أن تعود وتسبح حيث اعتادت لو وُجد من يهتم لها." وفي ما يأتي قصة لوط، وهي حكاية ماضٍ لم يتحقق ومستقبل ما زال موعوداً.

Condensed from «The Last Otter,» copyright © 1984 by A.R. Lloyd, published by Hutchinson, London
Illustrations: Carol Binch



دوت الصيحة تماماً كما كانت تدوي قبل العصر الجليدي، ثاقبة وبدائية، وأعقبتها صيحات راحت تعلو من رأس عريض مرفوع لجسم رمادي بني نصف مغمور بالماء وثابت على قائمتين مكففتين(★) في المياه الضحلة. انه ذكر قضاعة. لم يلقَ نداؤه استجابة، فهو واحد من قلة متبقّية من جماعات القضاعة التي كانت في ما مضى تملأ مستنقعات رومني الخضراء في الطرف الجنوبي الشرقي لبريطانيا.

كانت حيوانات الانقليس تسبح سريعاً. وغطس القضاعة في الجدول وراح يجوب الاعماق مترقّباً. أطبق خطمه وأذنيه وطفت فقاقيع الهواء من فمه الى السطح كالجبال. وما لبث ان رأى "أسطول" الانقليس ينفخ الهواء بايقاع كالمضخّة. وسُمعت جلبة وأصوات انقضاض ما لبثت أن توقفت، وظهر القضاعة بعدها يجرّ ضحاياه الثلاث الى نتوء صخري أملس فوق الجدول. ولكم عرف ذلك النتوء في الماضي من ثعالب بحر جاءته باعداد لا تحصى. فهناك دارت معارك بينها وبين كلاب البحر، وهناك سبحت اناثها وتعلمت صغارها أساليب بنات جنسها. أما الآن فقد ألفى القضاعة نفسه وحيداً على النتوء. وسُمعت قرقعة عظام بين فكيه، كان يأكل وحيداً.

في ذلك الوقت كان فتى يصطاد بالصنارة قرب حاجز للماء في أعلى الجدول، فسمع نداءه. وعلق في صنارته انقليس فتناوله على عجل ورماه في سلته وهو يتلوى. وابتعد عن الحاجز وزحف على الضفاف بين الاشجار وتخطى اللافتة التي كتب عليها: "ممنوع الدخول: أملاك خاصة."

كان الفتى في حدود الحادية عشرة من عمره، صغير الحجم بادي الحرمان، وكان خوفه كبيراً من أن يراه أحد. وواصل زحفه متسللا نحو المكان الذي انطلقت منه الصيحة، وعندما بلغه قذف الانقليس برشاقة نحو الصخرة الكبيرة.

ونادى بصوت خافت كالهمس: "لوط! أحضرت لك واحداً كبيراً!"

انتصب القضاعة على ذنبه وقائمتيه الخلفيتين وحملق الى الفتى بعينين مستديرتين مشعّتين. كان متخماً وغير راغب في رفقة أحد. لكن ذلك لم يثنِ الفتى الذي تابع ملحّاً: "اتذكرني؟ كنت أرمي لك السمك وأنت صغير."

نفث القضّاعة بضراوة علامة الانزعاج وأدار ظهره للصبي. والواقع أن لوط بعدما ترك وشأنه لم يعد لديه ما يشتكي منه، فالحياة كانت سخيّة معه، وعشرات الآجام في تصرّفه من دون منازع. ولم يكن له أعداء كثيرون وكان ينظر الى ثعالب البر بازدراء وسخرية، فهو أمكر منها وأحذق، خصوصاً في الماء. وكان يعرف كيف يختفي عند اللزوم.

ولمع ضوء في بيت الصياد على القمّة مرسلا شعاعاً رفيعاً من فتحة باب، ثم خبا. بعد ذلك سُمع وقع أقدام تحدث حفيفاً على أوراق الشجر الساقطة. والتصق القضاعة بالصخرة قبل أن يقفز إلى الماء ويختفي. اما الصبي فانطلق

(★) القائمة المكفّفة (webbed) هي التي يتخلل براثنها غشاء جلدي يساعد في السباحة، كقوائم البط والاوز.

متوارياً بسرعة قصوى. ووصل الى حافة الماء رجل يجر رجليه بتثاقل ووقف قرب الجدول والتعب باد عليه. كان فمه قاسياً، وهو حاول أن يخترق الضباب بعينيه. أما اليد التي أمسكت بالعكاز ذي النعلة الحديد فلم يكن فيها سوى ثلاث اصابع وابهام وجدعة معقودة.

الصياد

في اليوم التالي وقف الصياد ذو الاصابع التسع في مكتبه الذي يشبه الحظيرة، وصوّب منظاره الى النهر. كان الرماد يملأ المدفأة الكبيرة، وبدت قطع الاثاث كالاقزام وسط ضخامة الغرفة التي ظهرت اثار الموت في كل ركن منها: اقنعة من رؤوس الثعالب، وسمك محنّط معروض في خزائن، ورؤوس قضاعات مرصوصة على الجدران كالميازيب.

في مواسم الصيد الماضية كان الصياد يعود باكثر من خمسين قضّاعة. لكن الطرائد بدأت تختفي تدريجاً مما اضطره الى التقاعد وتسريح كلابه وفي نفسه غصّة.

فجأة زمّ الصياد شفتيه واندفع خارجاً صافقاً الباب وراءه. اتجه نحو الزورق حيث جلس النوتي بجسمه القصير الممتلىء وجلده المتغضن بفعل الريح والشمس، يمضغ غليونه. وسأله بحدّة: "أين هو ذلك الصبي الملعون؟"

- لم أر أحداً.

"اللعنة! اني رأيته هنا معك. أنه يسعى الى سمكي يا رجل!"

- انه لا ينشد سوى قليل من السمك الصغير يا سيد.

"هذا امر يفضي الى غيره. الفتى يجب أن يُحتجز."

تسلّق الصياد التلّة وهو يعرج. فبرز الصبي من بين الاعشاب وقال للنوتي: "لم أسرق اي سمكة. اقسم لك."

- لكنك كنت على أرضه.

"ذهبت لأرى القضاعة. انها الحقيقة! كان أليفاً وهو صغير. ولا يهمني أصدقتني أم لا."

أطلق النوتي ضحكة مكبوتة. فلا أحد في هذا المكان استطاع معرفة الجهة التي اتى منها ذاك الصبي. ومع أنه لم يكن مؤذياً فانه كان كاذباً مراوغاً، ولكن ليس أكثر من سائر الاولاد.

ورد النوتي: "أنا لم أولد البارحة يا صاحبي. القضاعة لا يعرف للصداقة معنى. انه ماكر وغدّار كبنات عرس."

فاحتج الفتى: "انك لا تعرف لوط. إنه الوحيد المتبقي، لذلك هو مهم! كل بنات جنسه اختفت."

- نعم، كذلك البحارة وركاب الزوارق.

وكان ذلك صحيحاً، فعدد قليل جداً من الصيادين ما زالوا يمرون بزورقه ويتوقفون ليحتسوا عصير التفاح الذي يقدّمه. ولكن الى متى سيدوم ذلك؟ بصق النوتي وتابع: "انتبه للصياد العجوز ايها الفتى، فهو سيسلخ جلدك اذا امسك بك على أرضه."

رمق الفتى الزورق المملوء بأوراق الشجر والراسي قرب العشب وقال في نفسه "لو كان لدي زورق مثل هذا لما احتجت الى وطء أرض الصياد."

ولو كان لديه قارب للحق لوط الى أقاصي النهر.

ووعده النوتي: "ساصلحه ذات يوم."
– ذات يوم، عبارة مطاطة قد تعني أي شيء."

في حقل في أعلى النهر راح لوط يطرف بعينيه ليطرد النعاس. فجأة جمد في مكانه. لقد اندفعت نحوه جماعة من الكلاب وألسنتها المدلاة تلمع. وقف لوط هنيهة في مواجهة ذلك السيل الجارف، ثم انطلق كالسهم في اتجاه النهر وقوائمه القصيرة تقرع الارض وجسده يتموج. وأطبق عليه كلب راح ينهشه بأنيابه الحادّة، لكن لوط تملّص منه ولاذ بالفرار. وبقي يعدو على غير هدى وهو ينزف من جرح مفتوح. ورأى أرنباً يخرج من خندق فتوجه اليه واندس فيه. وشعر بدوار في رأسه وسرى في جسده خدر غريب قبل أن يغمى عليه ويسقط سابحاً في بركة من دمه.

بين الوعي والغيبوبة

مع هبوط الليل عاد الفتى الى حاجز المياه، ووقف عند مؤخر الزورق وراح يدفعه، لكن الزورق ظل جامداً لا يتزحزح. ومدّ الفتى يده داخله وراح يحفر بأصابعه، وأخرج حفنة رطبة من أوراق الشجر المهترئة. وأعاد الكرّة مراراً حتى أفرغ الزورق من الورق، حفنة بعد حفنة.

كان الليل ندياً والفتى يرتجف من البرد والمياه الموحلة تحوطه. وخفّ الزورق تدريجاً وبدأ يهتز. ورمى الفتى الى متنه مجذافين وقضيباً ثم دفعه الى الماء بكل ما أوتي من قوّة.

ورأى الفتى مقدّم الزورق طافياً فارتاح قليلا. وبعد دفعة أخيرة سُمعت قعقعة وأصبح الزورق في الماء. وصعد الفتى اليه وجلاً وظل يدفع بالقضيب حتى ابتعد الزورق عن اليابسة واستقر في الماء ثابتاً. كان خشبه مهترئاً والطحلب يغطي متنه، لكنه كان عائماً. وزرّر الفتى معطفه اتقاء للبرد والرطوبة، وتابع الدفع بالقضيب.

وفي طريقه الى صخرة القضاعة مرّ بعدد من الخلجان الصغيرة التي تجمعت فيها قطعان من الماشية راحت تراقبه من بعد. وشعر بنشوة عارمة وهو ينزلق مبتعداً عن الاشراك الخفية التي نصبها الصياد. ولم يتمالك عن القول وقد غمره زهو الانتصار: "اصبح الزورق في الماء يا لوط. وأنا في طريقي اليك."

غير انه وجد صخرة القضاعة مهجورة. وربط الزورق بحبل بال وزحف الى الضفّة وهو ينادي بصوت خافت: "لوط!" وهوت على كتفه يد ثقيلة، يد تنقصها اصبع. وتملص منها الفتى وانطلق يعدو لاهثاً نحو الزورق المتداعي.

تمدّد لوط على العشب خائر القوى شبه غائب عن الوعي لا يدرك شيئاً ممّا يدور حوله. وانزلق جرذ من وسط الضباب رافعاً خطمه وعلى شفته العليا وشم أصفر، وتبعه ثان وثالث وغيرهما كثير، وحوّمت طيور النورس فوق المكان. فاكتمل عقد أكلة الجيف. لكن رشيشاً من الماء بدّد السحر وتشتتت الحيوانات في كل صوب، كل من حيث اتى. ورفع الفتى البدن الساكن ووضعه في القارب: "استيقظ يا لوط بحق السماء."

تحرّك لوط قليلا ثم همد ثانية. أين هو بهلوان الماء؟ أين هو الصياد الماهر؟

حتى الحظ تخلى عنه هذه المرة فبدا كالجرو مغلوباً على أمره لا حول له ولا طول. وجاءه الصوت متوسلا متملقاً: "هاك بعض الطعام."

كان لوط عاجزاً عن الحركة وعن تسلّق أسوار سجنه العائم، لكنه لم يكن عاجزاً عن الاكل. وما ان أخرج الفتى سمكة وقدّمها اليه حتى التهمها بنهم. وراح يترجح بين الغيبوبة والوعي. وكان كلما عاد اليه وعيه يأكل شيئاً من دون أن يبدي تبرماً بوجود الفتى معه. الى ان حاول هذا أن يلمسه فانتفض بشراسة وانقضّ عليه.

وصرخ الصبي وهو يتفحص أصابعه: "آآا ما زلت قادراً على العضّ."

ابتعد الصبي بحذر، فالحيوان الجريح الذي أمامه ليس لعبة يتسلى بها. كان طوله حوالى ١٢٥ سنتيمتراً ووزنه نحو احد عشر كيلوغراماً، وكانت أنيابه مخيفة.

تابع الفتى طريقه عبر الجدول. وخاطب لوط: "علينا أن نسرع قبل أن يُفتقد الزورق." وفيما هو يجذف مبتعداً راحت الجرذان ترمقه بعيون تنضح شرّاً.

قاضم الاصابع

تحرّك ظل رمادي مترقّب. كان قاضم الاصابع عملاقاً، والرجال الذين رأوه قدروا طوله بمتر ونصف متر. لكنه في هذه الاثناء سار محدودب الظهر كوتر قوس مشدود لينطلق. وكانت رقبته ممدودة وخطمه الرمادي الذي يحمل ندباً خلفتها معارك سابقة، يهتز بغضب. فهو التقط رائحة خصم فاحت بقوة آتية من مكان ناء في النهر ضمن مملكته.

لكن رائحة من نوع آخر شغلت باله وجعلته أشد حذراً، رائحة حملها الدخان المنبعث من نار مشتعلة في كوخ صغير من الآجر كان الصيادون في الماضي يأوون اليه. وكتم القضاعة الهرم غضبه الى أن خمدت النار مع الفجر ورأى الزورق ينساب مع التيار. فقطع الجدول واقترب من الكوخ وراح يتنشق بحذر. شاهد بقايا خشب محروق تشكل دائرة ورأى كتلا من الطين المسفوع حيث شوى الفتى سمكاً. ولاحظ خسوف الارض الترابية حيث رقد الفتى في كيس النوم. لكن هذه الروائح جميعها بشرية، فانطفأ قاضم الاصابع وعاد من حيث أتى الى الماء وقد استعر غضباً. فرائحة لوط كانت واضحة، واستباحة الارض وقحة وفاضحة خصوصاً ان المستنقع مملكته، وانتصب مجدداً وعيناه تقدحان شرراً وانطلق في اثر المعتدي متلصصاً. تسلّق أكمة وتفحص الارض المنبسطة أمامه بنظرة شاملة. لم يرَ سوى الزورق. لكن انفه لا يخطىء. لوط حتماً في الجوار.

والواقع أن لوط كان هناك فعلا، وهو بدأ يتململ من احتجازه. لقد أمضى فترة النقاهة في بالوعة الزورق، وهو الآن ينشد الحرّية. تفحّص المويجات ووقف برهة على حافة الزورق مترجحاً قبل أن ينطلق كالسهم ويختفي عن الانظار.

رأى الفتى الدوائر في الماء ففكر: "كان يجب أن أنتبه الى ذلك. بحق السماء، أين أنت يا لوط؟"

وظهر جانب من الجسم المبلل ثم غطس لوط ثانية مداعباً.

كان الخوف واضحاً في صوت الفتى وهو

يناديه متوسلا: "انك لست على ما يرام بعد. عد الى هنا." لكن لوط المتبجح المختال اختار هوة عميقة وسط الجدول وغطس فيها ثم ما لبث أن قفز منها كالصاروخ حاملا سمكة نهرية سمينة. وأطبق بفكيه على فريسته ذات الحراشف ثم تمدد على ظهره وراح يقذفها في الهواء ليعود ويلتقطها بمخالبه المكفّفة.

وصرخ الفتى وفي حلقه غصة: "يمكنك أن تأكلها في الزورق يا لوط."

لكن لوط لم يأبه له والتهم سمكته باستخفاف.

وتابع الصبي: "حسناً، كل ما فعلته أني انقذت حياتك. لا تشكرني على واجب."

وراح المطر يهطل بغزارة على الزورق. فجأة سمع رشيش ماء. ونظر الفتى الى مصدره فرأى لوط يقفز الى بالوعة الزورق ويستقرّ في ركنه المفضّل. ثم يغطّ في نوم عميق.

غنيمة سهلة

قصف الرعد وومض البرق وامتلأ الزورق بالماء. وكان كلما أفرغه الصبي يعود ويمتلىء ثانية. فقال: "علينا أن نعود به الى الضفة يا لوط."

غمرت المياه المنهمرة الزورق فيما القضاعة يثب مرحاً وسط الظلام. ووصل الراكبان اخيراً الى مكان تحت جسر يبعث الرهبة في النفس، فربط الفتى الزورق تحت احدى القناطر وصوت الطوفان حوله كفحيح الافعى. قال: "لا مطر هنا على الاقل. الآن يمكنني انه افحص ذلك المصرف المسدود."

جال لوط في المكان مستكشفاً. والتقط أنفه رائحة مسكية العبير تنبعث من تحت الجسر، فعرفها للحال. انها الطعم الذي يستخدم للايقاع بالقضاعات. لم يعد لديه أدنى شك في ان الخطر محدق. ثم سمع أصواتاً بشرية فغطس في الماء.

"هل من متاعب يا بني؟"

عبرت الشاحنة الارض المسطحة وهي ترتجّ ثم توقفت بالقرب من الجسر. كانت ملطخة بالوحل وحملت على أحد جانبيها كلمة "نقل". ونزل منها رجلان اقترب أحدهما من الفتى وسأله: "هل قاربك مثقوب؟"

كان الرجل شديد الهزال وبدت وجنتاه الناحلتان تحت القبعة.

وأجابه الفتى باقتضاب: "سأصلحه في دقيقة."

ظلّ الرجل يبتسم ببرود ثم سأل: "من أين انت؟"

"من أعلى النهر،" أجابه الصبي الذي كان أذكى من أن يثق بأحد.

لكن الرجل ألحّ: "ربما أنت تعرف بيت الصياد."

– انني اعرف الصياد.

"وهل تعرف حرّاسه؟"

– حرّاسه؟ ومن يرضى أن يعمل لديه؟

قلّب الفتى الفكرة في رأسه ثم تجهّم وجهه وتابع: "الستما في طريقكما اليه؟"

ورد الرجل: "أنت لا تعرف أي وجهة سنسلك. فعملنا في النقل يشمل المنطقة كلها ونحن نعمل حيث يحلو لنا." ثم نادى رفيقه قائلا: "الفتى يعرف بيت الصياد."

كان وجه الرجل الثاني منتفخاً ومدهناً وكرشه ضخماً. وهو قال متذمراً: "دعنا نأكل أولا ثم نتابع سيرنا." ثم أجفل عندما توجه صوب اليابسة سرب من الزرازير. وقال بصوت أجش: "اسكت. راقب الجزيرة جيداً. هناك قضاعة في العشب، لقد لمحت شاربيه. أنظرا"

وأنطلق الاثنان يعدوان على الجسر وكرش الرجل الضخم يهتز أمامه.

الانثى

لم يقلق الفتى لانه عرف أن لوط لن يعلق مع هذين الغريبين. وتسلّل الى الشاحنة. وفي الجزء المغطى منها رأى أعقاب سجائر وخريطة وأحزمة رصاص ومسدسين وصناديق ذخيرة وبنادق وحبالا لنصب الاشراك ومشاعل كهربائية ومؤنا.

وانسلّ الى مؤخر الشاحنة. وما ان فتح الباب حتى تدحرج صوبه رأس بقرنين وعينين مستديرتين تحدقان اليه كأنهما قمران. وخلف الغزال النافق رأى الفتى اكواماً من الطيور البرّية ومناقيرها مخضّبة بدمائها وكأنها شواهد على مجازر رهيبة أكبر من أن يفقه لها الفتى معنى.

واستدار استعداداً للهرب، لكن الحكمة قضت ألا يعود خالي الوفاض. فحمل كيس المؤن وانطلق يعدو نزولا نحو النهر. وقطع ضفافاً مغمورة بالماء لم يكن ليجاريه في عبورها سوى الكائنات ذوات الزعانف أو القوائم المكففة. وتناهى اليه صوت مزمجر يطلق الشتائم.

أزعج الحمالان لوط فغطس وسبح مع التيار تحت الماء حتى وصل الى ضفاف مهجورة. وتسكّع بكسل هناك وجعل يقلّب الصخور بحثاً عن الانقليس. ثم طفا الى السطح حيث المياه خضراء مصفرّة والرؤية واضحة. ولاح أمامه في البعيد طيف ضخم. واستطاع تمييز عنق طويل رشيق وفقاقيع هواء طفت الى السطح. كان الطيف يتحرك برشاقة وسهولة وحجمه ثلثا حجم لوط. لم يكن ذلك الطيف سوى قضاعة انثى كانت الاولى التي رآها لوط منذ كان صغيراً.

واندفعت الانثى بسرعة البرق الى الاعشاب حيث كمنت وفي عينيها تحدٍ. كانت جميلة وفراؤها كالحرير. وما ان اقترب منها لوط بمشية جانبية حتى انقضّت عليه وهي ترعد وتنفث. فتراجع مندهشاً من حلمه ورأفته بها. وظل يتراجع الى أن استكانت. وعلى رغم الغضب الذي بدا في عينيها فان مزاجها تغيّر وأصبحت أقل عداء. وعندما اقترب منها هذه المرّة كان صدّها لعوباً، حتى طريقة امساكها بعنقه وشدّها لجلده بدت تمثيلية. وراحا يتدحرجان ويتصارعان. وسقطا في الماء وهما يتدافعان. وعندما وصلا الى الاعماق تحولا شبه طوربيدين منطلقين. وكالدوامة قطعا احراجاً وغابات ومروجاً خضراء منبسطة. وعرض لوط مزهواً كل ما عنده من مهارات، وراح يقفز باهتياج كأرنب بري. وأخيراً نهكهما التعب فارتميا على الارض طلباً للراحة، وغط لوط في سبات عميق. ثم هبّ من نومه فلم يجد الانثى التي ما ان سمعت الزورق يدنو حتى ولّت هاربة.

ورآها الفتى تعدو فصرخ: "مرحباً يا لوط، تعال. لدينا مؤن الآن، ويمكننا اللحاق برفيقتك."

ظلت الانثى تتنقل بحذر في المستنقعات طوال يومين. الى الشمال يمتد الخط الساحلي القديم الشديد الانحدار، وهو اليوم يبعد كيلومترات عن البحر. فالرومان والسكسون الذين حطوا فيه رحالهم في الماضي حفروا خنادق بقصد استصلاح الارض وتجفيف المستنقعات لاستعادتها من البحر. ووصلت الانثى الى موئل طيور البلشون الذي تحوطه الاشجار، فهو كان ملاذها وملجأها تختفي فيه عن عيني قاضم الاصابع. ونظرت الى السماء وهرولت، فاللون الوردي كان ينذر بصقيع قارس.

صيد القضاعة

على بعد كيلومترات وقف النوتي أمام مبنى الصيادين وراح يقرع بالحاح الباب المرصع بالمسامير الحديد. وسمع صرير وظهر الصياد على العتبة وقال: "أدخل يا رجل، فالبرد قارس!"

لم تكن القاعة التي ولجها النوتي اكثر دفئاً من الخارج. فالسقف المصنوع من روافد خشبيّة كان عالياً والارض المكسوة بالاجر كانت عارية. وبدأ يتكلم: "لقد هرب ذاك الشحاذ الصغير بالزورق."

– هل سرق الزورق؟

"لا يهم ماذا سرق. يكفي أن يسرق أرنباً ليُشنق!"

– اللعنة على هذا الوغد!

"ارجو أن يكون الفتى حيّاً، فالزورق متداع مهترىء وربما غرق الغلام أو تجمّد. ان قاربي في الانتظار."

– الزوارق والقوارب من اختصاصك، وأنت لا تحتاج الي.

"إلا في شيء واحد فقط..." قال النوتي وهو ينظر الى غنائم الصيد المعروضة عند جاره، "...وهو صيد القضاعة. وإلا لما أتيت اليك."

– صيد القضاعة؟

"هناك قضاعة مع الصبي." هذا ما أخبره اياه عامل النقل وهو رآهما معاً: الصبي يدفع الزورق بالقضيب والقضاعة مكوّر على نفسه كقط في قعر الزورق. لا أحد سوى الصياد يمكنه ان يتعقب القضاعة في تلك المستنقعات الواسعة الكئيبة.

وهمهم الصياد: "البرد قارس يا رجل." ثم توجّه الى خوان ضخم وملأ كوبين شراباً مدفئاً وقدم واحداً الى النوتي. وتابع: "سأذهب معك. لكن عليك أن تشرب هذا أولا. طعمه لاذع لكنه يبعث الدفء في الجسم، وأنت يا مسكين محتاج الى الدفء." ولوى قسمات وجهه ثم أضاف بسرور وحشي: "صيد القضاعة في هذا الطقس!"

رسم الجليد حدوداً للجدول ودفعت الريح الثلج المتساقط الى الخلجان فتجمع على حافاتها نتوءات مدوّرة. وبكى الفتى من شدّة البرد ولم يعد يشعر بيديه وقدميه ولم يبق في كيس الطعام الذي نشله من الشاحنة سوى نصف فطيرة.

وتثاءب لوط على الضفّة وانهمك في تنظيف مخالبه. تاق الى تلك الانثى اللعوب ذات الجسد اللدن. وانحدر في اتجاه النهر علّه يصادفها. ومرّ وقت قصير وصل الفتى بعده الى نقطة التقاء الجدول بقناة قديمة كانت في زمن نابوليون خندقاً شُقّ للحماية من الغزو. وعلى ضفاف

النهر انتصبت أشجار مقطوعة الرؤوس كالعسس. وبسط لوط أذنيه، ودوّمت في الظلام ريح باردة حاملة رائحة قضاعة ذكر. فجأة أضاء نور القمر المكان راسماً ظلالا لاشجار الدردار والحور. ورفع لوط رأسه فرأى القضاعة العملاق يخطر في الليل وسط بياض الثلج كتمثال من حجر. وزمجر العملاق: "قف، ولا تتقدم!"

فرد لوط مرتجفاً: "أنا أذهب حيث أشاء."

- انك تنتهك مملكتي. أنا قاضم الاصابع، ملك المستنقعات. أنظر وارتجف!

"انك هرم. لا تتوهم أنك تخيفني. لوط لا يعرف حدوداً. جئت أبحث عن الانثى الصغيرة وانا عازم على العودة بها أيها العجوز!"

- إذن سوف تموت!

ليلة الكارثة

أين لوط؟ وراح الفتى- يلعن رفيقه. فالظلام يهبط وكان من المفروض أن يكونا في طريق العودة قبل ذلك بكثير. وتمتم من خلال أسنان تصطك: "لا يمكنك ان ترحل هكذا." غير انه كان يعلم يقيناً أن لوط قادر على عمل كهذا. فهو يفعل كل ما تمليه عليه طبيعته الجامحة. وبعدما فقد الامل في عودته ناداه: "حسناً، سأبحث عنك بنفسي."

تساقط الثلج على الزورق الذي راح يترنح حتى كاد الفتى أن يسقط في الماء. وكانت بوابة النهر مفتوحة فجرفت المياه المتدفقة الزورق الذي اندفع كأنه في سباق. وسمع الفتى في البعيد أصوات شجار وجرّ أقدام، فاندفع الى أمام بسرعته القصوى.

وقفز الى الضفة شيء غير محدّد



الشكل راح يهسّ بضراوة فاغراً فمه. ونظر اليه الصبي مشدوهاً، فهو لم يسبق أن رأى لوط في هذه الصورة المخيفة. بدا قبيحاً مبتلا وفراؤه خصل كالمسامير وفمه ملتو حقداً. وشهق الفتى. الوغد جعله يبدو هكذا هزيلا تافهاً. لقد أطبق عليه القضاعة الغريب وأنشب براثنه في عنقه.

وصرخ الفتى: "توقف يا لوط! سوف يقتلك!" وراح يضرب الماء بمجذافه بعنف. في البدء لم يأبه الخصمان المتصارعان لهذا المتطفّل. وأخيراً جمدا في مكانهما وأعينهما تدور في محاجرها. وقبل أن يولي الوحش الكبير الادبار التقت عيناه عيني الفتى الذي قرأ فيهما تصميماً على القتل. واستمر لوط يسبح في الماء متباهياً فترة وجيزة ثم



انسلّ كالحية الى الزورق واستقرّ في ركنه المعتاد. بدا معتدّاً بنفسه ربما اكثر ممّا ينبغي، فبادره الفتى: "حظك طيّب اذ وصلت في الوقت المناسب، وإلا لأجهز عليك."

تابع الفتى طريقه شرقاً تحت ضوء القمر ورفع ياقة سترته اتقاء للهواء البارد وخاطب لوط: "سنجد تلك الانثى في مكان ما الى الامام."

وسُمع صوت شيء يتكسّر، شيء حاد اخترق بدن الزورق تحت الماء فتطايرت الشظايا الخشبية وتدفقت المياه الى الداخل مثل نافورة.

سلك النوتي طريقاً منحرفة في اتجاه الضفة. ووقف الصياد في مقدم القارب والبرد يلفح جسده كالسكاكين وعيناه تدوران في محجريهما. وصاح: "أدخله ذلك اللسان! قلت لك اللسان يا رجل! تكاد تخطئه."

– لا تعطني تعليمات أيها السيد!

"اللعنة عليك!"

أدار النوتي الدفة بامتعاض. فالصياد كان بادي الجنون، ولكن مَنْ سواه يمكنه أن يتعقب القضاعة؟ من سواه يعرف الدلائل: طرقاً غير واضحة المعالم، آثار جسم متدحرج، آثار أقدام قلّما يجدها النوتي متشابهة. الصياد يعرف تلك العلامات كلها ويعرف أيضاً الأثر الذي يخلفه لوط والمكان الذي يأكل فيه. ولأن القضاعة يقصد الاماكن المرتفعة للانقضاض انحنى الصياد ليستكشف أكمة علّه يجد لوط هناك. ولما همّ أن ينهض تلوّت ملامحه ألماً، فهو كالكلب الذي نزل معه من القارب، كان يعاني التهاب

صَبَاح الخَيْر!







نسكافه

كوب من نسكافه مع الحليب، في الصباح
وفي أي وقت، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه، خلاصة القهوة اللذيذة، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

المفاصل. وكلاهما متقدم في السن، تذكّر الصياد بغضب. ونظر الى الكلب وهو يخوض في الماء، وللمرّة الثانية رأى قطيع القضاعة وخواصرها تلمع أمام عينيه. حتى الاصوات الصاخبة التي سمعها ذلك اليوم الرهيب ما زالت تطنّ في أذنيه. واسترجع في ذهنه صورة ذلك القضاعة الضخم وهو يغوص الى أسفل ويستقر في القعر جسماً هامداً. ورأى نفسه من جديد وهو يمد يده الى ذلك الوحش الذي ظنّه ميتاً ثم يسحبها بسرعة ويقفز من الالم. تذكّر الالم والدم ومنظر الاصبع المبتورة والجدعة الدامية. تذكّر قاضم الاصابع ورآه يبتعد منسلّاً كالافعى.

وناداه النوتي: "هل أنت على ما يرام؟"

– بالطبع اني على ما يرام ايها العجوز الأحمق. هيا أدر المحرّك. فالظلام سيضعنا في موقف حرج.

اشارة الخطر

اشتدّ البرد وهبّت الريح واجتاحت المستنقعات عواصف ثلجية جمّدت المطر وخلفت حول الرجلين طبقة جليدية رقيقة. وصرخ الصياد وهو يشير الى أشجار الحور: "هناك!" ونزل من القارب ليفحص عن كثب بطة نافقة منهوشة الصدر. وتابع: "اننا في اثره، ذلك الشحاذ المكفّف. لم يلتهم سوى اللحم الطريّ ولو كان ثعلباً لما أبقى من الفريسة الا الجلد والعظم."

وسأله النوتي: "هل هو بعيد أيها السيد؟"

فرد: "مسافة ساعتين أو ربما ثلاث ساعات. في وسعنا ان نتابع الصيد لو كانت معنا مصابيح." فجأة أشرقت اساريره فهتف: "بحق السماء! المخزن!"

كانت الساعة قرابة السادسة عندما فتح الحارس الباب استجابة لقرع الرجلين وزودهما مصابيح وانضم اليهما.

امتلأ الزورق بالماء قاذفاً الفتى الى المياه المتجمدة. وبهر الصقيع نَفَسه فراح يتخبط كالمجنون. وعندما وصل الى الضفّة ارتمى عليها وهو يلهث. وجثم لوط يحكّ جلده وكأن الامر لا يعنيه، وما لبث أن انطلق والفتى يتعثر في إثره.

كانت الريح ضارية فوق القمّة، وشاهد الفتى لوط يستكشف المكان فتبعه وهو يقطر قطعاً من الجليد البحري. في البدء بعثت الحركة الدفء في جسده، لكن التعب ما لبث ان غلبه. وكان البرد يعذّبه كلما توقف، فراح يقطع خندقاً بعد آخر حتى استنفدت قواه. وما ان وصل الى القمة حتى هوى الى الارض وراح يتدحرج على المنحدر إلى ان استقر في القعر خائر القوى. كانا على بعد ثلاثة كيلومترات من الزورق عندما انفرجت الغيوم وأضاء نور القمر المستنقعات التي بدت كحصيرة فضية التفت حولها الخنادق كالافاعي. وبان فوق المرتفعات الجليدية شيء آخر: بناء غير واضح المعالم.

"إنه ملجأ يا لوط!" وصل الفتى اليه بمعافاة والم. كانت جدرانه عالية. ونظر الفتى الى الداخل من نافذة ذات اطار خشبي بسيط. وزحف الى الباب وهو يتشبث بالجدران. وفي الداخل ارتمى في اقرب مقعد وهو يكاد لا يعي شيئاً.

وسمع صرير الباب، ودخل لوط وهو يشمشم. رأى الجسد المكوّر فظن أن الفتى نائم. وخرج وتوجّه الى العشب النهري حيث أخذ سنة من النوم. ومع انبلاج الفجر انزلق الى الماء حيث رأى المصابيح تلمع. ورأى أيضاً ثلاثة رجال يتوجهون ناحيته وهم يشتمون، يتقدمهم كلب هرم. وللحال التقط لوط إشارة الخ

"الى الكوخ!" سمع صوت الصياد ملحاً فيما غطس القضاعة في الماء.

مرّ الوقت مسرعاً.

"لقد وصلت لتوي من بيت الصياد،" قالت المرأة للنوتي وهي بادية الضيق وذراعاها مشبوكتان أمامها. ثم ابتسمت. كانت أصغر سناً ممّا بدت، وذات وجه عريض وملامح تنمّ عن ادراك وتعقّل. وتابعت موضحة: "انني من الانعاش، من دائرة العناية بالاولاد."

وسألها النوتي باهتمام: "كيف الصبي؟ هل من تحسّن؟"

– لا بأس عليه.

"يا لحظ البريء! لو كان أحدنا في مكانه لقضى غرقاً. بدا تعساً عندما وجدناه. إنه حقاً عفريت ماء."

واستدارت المرأة رافعة حاجبيها وقالت: "انه كثير الكذب. أود أن استعلم منك، فهو كتوم ولا استعداد لديه للكلام. ربما أنت..."

ورد النوتي ببطء: "إنه ليس سيئاً."

– أنا متأكدة من ذلك. لكنني اشكّ في أنه اكمل فصلا واحداً في المدرسة في حياته أو نَعِم مرّة واحدة بالدفء. لا يجوز أن نترك الفتيان يغرقون او يواجهون الحياة بمفردهم من دون مدرسة، انه في حاجة الى من يعتني به.

وبصق النوتي. فأضافت المرأة مطمئنة: "سنعتني به."

صيحة فرح

انهارت معنويات لوط وثبطت همته. فالانثى صغيرة الحجم والمستنقع كبير جداً. وهو فتش السدود والقنوات ومسارب الفيضانات، لكن الخنادق لا تنتهي. واشتاق لوط الى الزورق والى صوت الفتى.

استراح لوط في الليل، وفي الصباح انتصب على قائمتيه الخلفيتين وراح يتأمل ضباب الفجر اللؤلؤي وهو ينقشع عن البحيرة. ثم غطس في الماء وسبح الى الضفة الأخرى قاصداً موئل البلشون، وهو كومة من الركام تعلوها الاعشاب وترتفع فيها أشجار الزان ويحوطها جدول صغير وقفت فيه طيور البلشون ساكنة متأملة. وأطلق لوط صيحة لم تلق استجابة. كان الجدول صامتاً. وفي مكان مرتفع شاهد بلشوناً هرماً وقف مزهواً وفي نظرته اكتفاء ورضا. كانت معه أنثى صغيرة. كشر لوط عن انيابه امتعاضاً، فهو لم يقطع المستنقعات ليجد بلشوناً سعيداً بشريكته! وأطلق صيحة ثانية. اين هي تلك الانثى؟

كانت الانثى في الجانب الآخر تسبح في جدول ضيق مسرعة الى بيتها. ولمحت لوط في البعيد وهي تشق طريقها بحذر في مكان من الجدول معقود كالانشوطة. كان يسبح متمهلا والمياه تغمره حتى صدره. وسرت في جسدها قشعريرة واهتزّ أنفها الافطس. وشعر لوط ان أحداً في

اثره، فاستدار مكشراً عن أنيابه وهجم. ثم تسمر في مكانه وأطلق صيحة فرح. أما هي فظلّت مترقبة.

شعر لوط بانجذاب كبير وشدّه سحر الانثى فانضمّ اليها. وضربته بقائمتها الامامية. والتحما في الماء الضحل وكأنهما في حلبة للمصارعة. وانتصبا على نحو جعل جلدهما الواسع يتهدّل في طيات حول جسديهما. ومن شدّة الطرب راح لوط يقفز كالضفدع الى الامام والى الوراء والانثى اللعوب تطارده من مكان الى آخر. وظلا هكذا يمرحان ويتمرغان في الوحل مدة طويلة حتى نال منهما التعب فاستلقيا تحت أشعة الشمس يتجففان.

صراع مميت

كانت الانثى بجانب لوط عندما استيقظ هذه المرّة. وتمغطت متثائبة، فذهب اليها بحماسة. وظهر القمر من وراء الاكمة كبيراً ذهبياً. وقطعا الجدول وثباً الى أن بلغا بركة طافحة يسبح فيها سمك كثير والابوام الصغيرة تموء حولها كالقطط والقمر ساطع فوقها.

من مكان ليس بعيداً في أعلى الجدول سمع قاضم الاصابع مغازلتهما الصاخبة، وهو كان يجوب غابة الزان بحثاً عن فريسة. واستشاط غيظاً حين رآهما. كان لوط يتثاءب عندما أطلق طائر البلشون صيحة تحذير مكتومة جعلت الانثى تغطس في الماء. وساد صمت مريب قبل أن يمزق سكون الغابة زئير قاتل. وفي لمح البصر انقض قاضم الاصابع على لوط الذي كان في أحد الخنادق يستعدّ للمواجهة. ولاقاه باستقبال أذهله.

انقضّ قاضم الاصابع ثانية وهو يزمجر. وبضربة من رأسه العريض أرسل لوط الى الماء مترنحاً. وغاص الاثنان ملتحمين ورمى قاضم الاصابع بثقله على لوط ودفع به الى القعر حيث غمره الطين وسدّ منخريه. لكنه ما لبث أن أفلت منه. ووصل الاثنان الى العشب وهما يزمجران بضراوة مثل نمرين.

تلقى لوط ضربة مخلب جانبية تبعتها أخرى طرحته أرضاً وجعلته يدور كالمغزل. وحاول أن يرد الهجوم لكنه أخفق وتراجع الى حافة الماء حيث وقف استعداداً لهجوم ثان. أنياب ضخمة نهشت لحمه. وارتفع في الهواء ثم سقط. وجُرّ على الارض وبدأ يغيب عن الوعي. ثم تملص بأعجوبة. كان مكسواً بالمخاط والدم يسيل من إحدى عينيه، ورأى بالثانية بريق الانتصار في عيني عدوّه. وتراجع لوط ببطء وأدرك أنه يجب ألا يكف عن الحركة مهما بلغ الثمن.

تعرّض لثلاث هجمات أفلت منها جميعها بالمراوغة. كانت الاشجار وعيدان القصب "تسبح" حوله. وشاهد البلشون العجوز القضاعتين في صراعهما المميت، فوقف يتفرج وانضمت اليه بلاشين أخرى، باعناق ممدودة واعراف تهتز. ثم ما لبثت المياه ان غمرت الوحشين المزمجرين وحجبتهما.

وظهرت موجة مفاجئة على سطح الجدول ثم انشقت عن رأسي القضاعتين المتصارعين. وتراجع لوط نحو العشب وتوقف فجأة. فقد احس شيئاً حاداً خدش ردفه. ورأى حوله أسلاكاً شائكة هي بقايا صدئة من سياج قديم.

"الموت! " صرخ قاضم الاصابع، وهجم. غير أن صيحة الحرب سرعان ما تحولت صرخة ألم إذ اصطدم رأس العملاق بالسياج المحجوب وعلق في أشواكه. وراح يخبط على غير هدى. وارتعدت فرائصه وتعاظم توتره. وتجلّد وحاول أن ينتزع نفسه من "البراثن" التي علق بها. ونجحت محاولته في النهاية وتحرر من العذاب الذي استبدّ به.

كرة من فراء

اندفع لوط كالسهم مخترقاً الجلد السميك حول الرقبة. وفي هجوم معاكس شبّ قاضم الاصابع على لوط واثخنه جروحاً ومزّق جلده حتى سال دمه. لكن القضاعة الصغير ظل متمسكاً بخصمه كالكمّاشة متجاهلا الالم الذي عم جسده والعمى الذي غشي بصره. واشتدّ هياج العملاق فراح يضرب الارض بذيله. وتدحرج الاثنان الى الماء ككرة من فراء تزن نصف طن. وغاصا الى القعر متماسكين. وبدأت قوة قاضم الاصابع تتضاءل وأصبح صراعه أقل عنفاً. وغدا الماء حولهما عكراً مما أفسد متعة المشاهدة على طيور البلشون.

حاول لوط أن يلتقط أنفاسه ورأسه يهدر وصدره يضيق. وومضت أنوار امام عينيه فسبح صعوداً. وعندما وصل الى سطح الماء شاهد قاضم الاصابع يسبح بألم في اتجاه العشب. لم يلحق به من شدّة التعب.

ونظر قاضم الاصابع الى الوراء ورأسه مدلى. وخاطب لوط: "الانثى لك، فخذها."

"أنت! " صرخ النوتي مغتاظاً، "ماذا تفعل هنا؟"

"اني دائما أتصيد هنا،" أجابه الفتى وهو يبتسم.

وغص النوتي وكاد يختنق: "لا يحقّ لك ذلك يا فتى. فلقد عولجت واعتُني بك جيداً، والآن عدت تهرب من المدرسة. لا تقل لي انهم يوقظونك في الصباح الباكر لتذهب الى الصيد. ماذا يحدث ان رأتك تلك السيدة من الانعاش وأنت ممدد هنا على حاجز الماء؟"

– لم يكن ذلك ليزعجك في الماضي.

"ربما لا، ولو انني أبديت انزعاجاً لكان الزورق ما زال هنا."

هزّ الصبي كتفيه ورد مبرراً: "لقد امتلأ بالماء ولم يعد صالحاً. ولو صمد يوماً آخر لوجدنا الانثى. لكن لوط سيجدها، وسينجبان صغاراً وستَعود القضاعات تملأ النهر."

وعاتبه النوتي: "احمد الله على أنك ما زلت حياً. الحيوانات هي التي اوقعتك في تلك الورطة. أنا والصياد أخرجناك. فكنْ ممتناً بذلك."

– جئت أشكرك أنت والصياد.

"يجب أن تعامل هذا الغول بأدب أيها الفتى." قال النوتي ذلك وهو ينظر الى مبنى الصيادين من خلال أشجار السنديان. وأضاف: "كنت اذهب معك، لكنني لا أستطيع ترك الحاجز. انه صوت الواجب."

تسلق الفتى المنحدر. فوجد المبنى أكثر كآبة ممّا تصور. وانسلّ خلف المنزل حيث صُفّت صناديق النفايات، ورأى أمكنة تصلح للاختباء. ومرّ بقنوات طويلة جفّت مياهها ووصل الى رواق كُسيت ارضه بالآجر، أغراه منظره فولجه.

"ماذا تبغي يا عزيزي؟"
أمسكت الخادمة العجوز بالمكنسة وكأنها سلاح بتّار. وأضافت: "هل تبغي زيارة الصياد؟ حسناً. لقد مضى زمن طويل لم يزرنا أحد."

وسارت أمامه في أروقة مظلمة وأقبية كبيرة مكسوة بألواح من خشب السنديان. ثم فتحت باباً متيناً ظهر الصياد من خلاله منحنياً وراء مكتب ضخم.

وصرخ: "ماذا يفعل هذا الولد المزعج هنا يا امرأة؟"

فالتفتت العجوز الى الفتى مطمئنة: "لا تهتم يا عزيزي. تفضل بالدخول."

الهدنة

جمد الفتى في مكانه معقود اللسان. فرؤوس القضاعات كانت تحملق فيه فاغرة الافواه. وبدت السنتها المدهونة جافة متشققة وعيونها زجاجية في محاجر محزّزة وأفواهها ملتوية. انهم هنا... صيادو الجداول الذين اختفوا... أسلاف لوط وأجداده وأقاربه. واستدار الفتى راجعاً والدموع تلسع وجنتيه.

وصرخ: "لقد قتلتها! هذا ما فعلته بالقضاعات!"

"اصمت، اللعنة عليك!" زمجر الصياد مادّاً يده الكبيرة القاسية ذات السبابة الناقصة. وتفادى الفتى اليد الممدودة بحركة سريعة وصاح: "لن أدعك تقتلني! لا تلمسني!"

– اهدأ يا ولد. نحن لم ننقذك لكي نقتلك.

"لقد قتلت القضاعات!"

مشى الصياد الى النافذة وهو يعرج، وخيّم على المكان صمت قصير قطعه الصياد: "السمّ مسحها من الوجود. المبيدات المستخدمة في الزراعة قضت عليها في سنوات قليلة. قرون انقضت والناس يصطادون القضاعات، ولم يشكل ذلك خطراً بابادتها. لقد قضت بسموم المواد الكيميائية."

– انك تختلق أعذاراً. أنت قتلتها!

"لا تشكّ بي يا فتى! أنت لا تعرف شيئاً. وكيف لك أن تعرف؟ فأنت متسكّع ولص زوارق." وجلس الصياد جامداً الى مكتبه، فهو ضحّى بنفسه من أجل أرضه التي تسرح فيها الغزلان ومن أجل اشراكه وضِفافه الملأى بالطرائد، وتحوّل ناسكاً معوزاً. ولطالما سعى اليه رجال بملايينهم الوقحة وقدموا اليه عروضاً في مقابل أرضه وقالوا انهم سيرشّون السموم ويستأصلون الآفات والحيوانات ويحوّلون الوادي مكاناً "كفيّاً"... لو باعهم أرضه. وهوى الصياد بقبضته على الطاولة وصرخ: "اياك ان توجه اليّ الاتهامات يا فتى! لو لم أصمد لانتهى الوادي كله. ليست القضاعات وحدها، بل الحيوانات البرّية جميعها. انني لست وحشاً!"

ودخلت الخادمة تحمل صينية. فخاطبها الصياد بغضب: "قدمي اليه القهوة."

وسأله الفتى: "اذاً، لن تؤذي لوط!"

– لوط؟

"القضاعة."

بدا الاهتمام في عيني الصياد المنتفختين: "أؤذي لوط؟ سأعقد معك هدنة. انما عليك أن تقوم بدورك. إذا عاد لوط فلن أؤذيه. أما أنت فتعود الى

المدرسة ولا تهرب منها ثانية. هل اتفقنا؟"

فكّر الصبي في القضاعة ورد كاذباً: "نعم، اتفقنا."

جيل جديد

حلّ الربيع وزخر المساء باصداء غريبة. لذلك أتت الصيحة التي سمعت من بعيد مضللة للسمع. أحدثت الطاحونة أصوات صرير وقرقرة واقتربت الاسماك الصغيرة من سطح الماء وحط غراب على غصن يقضم مخلباً ويراقب الفتى بغموض.

جلس الفتى يأكل لوحاً من الشوكولاتة. لم يخبر أحداً بعزمه على مراقبة القضّاعة وهو بدأ الاختباء منذ اللحظة.

وخيّم الظلام على الوادي. شعور غريب استحوذ على الفتى. شعر بان القضاعة موجود في مكان ما قريب منه. لم يكن لديه أي إثبات أو دليل حسي، ولكن سرعان ما انشق الماء عن رأس عريض لامع. وكتم الفتى صرخة ترحيب عفوية.

لم يكن لوط وحده، إذ سرعان ما ظهر رأس صغير آخر. خرجت الانثى من الماء وانطلقت تشم الحشائش بنشاط وخفّة وصدرها الفضي يلمع. كانت رائعة ملساء ومتوحشة وفي وسطها امتلاء. وتوقفت قرب أزهار زرقاء كالابواق. وفكر الصبي: "سأسميهما لوط وباغل." وارتجف تأثراً، فصفار القضاعة ربما ملأت الجدول ثانية.

قادهما لوط بفخر واعتزاز الى مخبأه في عمق الضفة. كانت جدرانه الطينية جافة. وراحت باغل تقفز في الهواء وتحفر الارض بقائمتيها والفرح يغمرها. وغاب لوط برهة ثم عاد حاملا أوراق السرخس بين أسنانه وفرشها على الارض. وأخذت باغل تقفز بجذل فوق الفراش الحديث وتقحم الاوراق هنا وهنالك وتخر بسرور كالقطة. أخيراً انتهت المغازلة وسبح الذكر عائداً الى صخرة القضاعات. وهتف الفتى متهللا: "لقد نجحت يا لوط، انها ساحرة!"

لم تبد على القضاعة أي دهشة، بل نظر الى الفتى بعينين متفحصتين فيهما بعض تحفظ. وسارع الفتى الى طمأنته: "لا تجزع يا لوط، لن أزعجها. اني هنا لاحرسها."

ظلّ الفتى في مكانه يراقب المدخل ويحرسه في الايام التي تلت. ألا أنه لم ير باغل تخرج. وهو حين لمحها للمرة الاخيرة كان بطنها يكاد يلامس الارض وكانت متقلّبة المزاج. وكان لوط يخرج من وقت الى آخر ليصطاد في أعالي النهر. وذات يوم استبدّ بالفتى قلق شديد فزحف الى المدخل الخلفي وراح يسترق السمع. سمع صريراً خفيفاً. وكاد يقفز من شدّة الانفعال، وانسل عائداً. وما ان ابتعد قليلا حتى انطلق يعدو وينادي: "لوط! لقد خرجت الجراء!"

تكوّرت باغل في الظلام والجراء الثلاثة بفرائها الرمادي الناعم وعيونها المغشاة، ملتصقة ببطنها تنشج والنعاس طاغ عليها.

أرهفت باغل سمعها وظلّت يقظة متنبّهة. سمعت وقع اقدام تروح وتجيء في الدهليز المؤدي الي المخبأ. ورأت اشكالا لم تتبينها في الظلام. وعبق المكان برائحة الجرذان. أعناق غليظة امتدت نحوها. وتفجّر غضبها عنيفاً

فتشتتت الجرذان مذعورة. ثم ما لبثت جحافلها أن عادت من المدخل الامامي غير المحروس، تتقدمها جرذة مهزولة عجفاء راحت تتشمم ولعابها يسيل. فأحاطت الجرذان بالجراء وأمها من كل صوب. وتجهمت الجراء وراحت باغل تلتف وتدور كالدوامة.

وصل لوط والحجرة تعجّ بالجرذان. انقضّ على الأول وقصم ظهره. وتناول الثاني وكسر عموده الفقري. ولوح بالثالث في الهواء وقذف به الى السقف. ثم أمسك بالرابع وأجهز عليه. وحاول اثنان الفرار من المدخل الخلفي، فحوصرا بين باغل ولوط وقضيا في "المجزرة". أما الجراء فظلّت سالمة لم يمسسها أذى. وراح لوط يربتها بأنفه فيما وقفت باغل وفراؤها منتصب من شدّة الغيظ.

"ابق قريباً منا. فأنا والجراء في حاجة اليك."

عودة اللصوص

اتسعت ابتسامة الفتى وهو يراقب الجراء ذات الاسابيع الستة تحبو خارجة من المخبأ بوجوهها الفطساء وعيونها التي بهرها منظر النهر وجعلها تطرف. ولاحظ أن أحدها، ذا الكرش المنتفخ، فيه شيء من غطرسة لوط وحبّه للعرض. فهو مثله كان يختال ويخطر في مشيته. وتقدّم القزم الحريري الملمس بضع خطوات قبل أن يسقط ويشغل نفسه بحك عنقه بمخالب كالابر. وما لبث ان نهض وسار مترنحاً الى ضفة النهر المفروشة بأوراق الشجر.

جمد الفتى في مكانه، فعلى بعد أمتار قليلة من المكان الذي ارتمى فيه الجرو كانت سمكة كبيرة خضراء من نوع الكراكي تحوم في المياه الضحلة. جزع الصبي، ومن دون وعي هرع الى الكرة المخمليّة الصغيرة. لكن باغل قطعت عليه الطريق وهي تزمجر وتكشّر عن أنيابها. فجأة سُمع صوت شيء يتحرك في الماء. وما لبث لوط أن قفز الى الصخرة حاملا انقليساً بين أنيابه.

وتوسّل الفتى: "بحق السماء يا لوط! أخبرها أننا اصدقاء." فنفخ لوط فيما اندفع الجرو الصغير نحو أمه وهو ينشج وذيله منتصب. أما هي فبصقت على الفتى للمرّة الثانية. ونتشت الشقي الصغير واختفت داخل المخبأ.

وتنهد الفتى: "النساء! انهن نزقات الطبع حقاً."

قصف الرعد وتجهمت السماء. وسمع الفتى صوت عجلات تقترب، والتصق بالارض عندما رأى الشاحنة متجهة نحوه. ومن خلال أوراق الشجر شاهد الرجلين يرميان علباً فارغة وأكياساً (نايلون) وبقايا أخرى في القناة. وسمع كلاماً متذمراً وتجشؤاً. ثم سمع الرجل السمين يقول: "حان الوقت لاصطياد قضاعة."

وأجابه شريكه الناحل ذو الوجه الاعجف: "لا تفكر في الامور الصغيرة. ان بيت الصياد يعجّ بالغزلان، والحرّاس عجوزان إحداهما داخل المنزل والاخرى في الكوخ الصغير."

ارتقت الشاحنة المدرّج بتثاقل. وما كادت تبتعد عن الحاجز حتى أطلق الفتى لساقيه العنان وراح ينهب الارض بين الحشائش والاشواك. وقفز فوق السياج

الذي يحوط بيت النوتي وهو يصرخ: "سيقتلان القضاعات وغزلان الصياد. ستحصل مجزرة!"

وأمسك به النوتي صائحاً: "دعك من القصص الخيالية. انك في مأزق مع الصياد ومع سيدة الانعاش. لقد كذبت ثانية. أنت وعدت بأن تصطلح. أنظر الى نفسك الآن، أنت هارب من دون إذن!"

– لم أكذب إلا لأخلّص القضاعات. يجب أن تساعدني. في حوزتهما سلاح، انها الحقيقة!"

تفحّص النوتي وجه الغلام بصرامة، فهو أيضاً رأى الشاحنة. ولم يكن أحد يتحرك في هذه الانحاء، وكانت غزلان الصياد في مكان مكشوف. وساوره الشك فسأله: "هل رأيت سلاحاً يا فتى؟ إن كنت تكذب..."

– رأيت بنادق صيد.

"حسنا، لكن عليك أن تقنع الصياد بما تقول. أنا لم أرَ سوى الشاحنة."

معركة الصياد

جلس الثلاثة الى طاولة كبيرة يتشاورون. وقال الصياد متجهماً: "الصبي على حق بتحذيرنا. ونحن نحتاج اليه لانه يعرف الوغدين. لن أسمح لأحد باطلاق النار على غزلاني!"

فقال النوتي محذراً: "لن يكونا وحدهما، فهما سيصطحبان عصابة من المجرمين."

وزمجر الصياد: "اللعنة عليهم جميعاً!" واستلّ سيفاً كان معلقاً على الحائط وهزّه وهو يصرخ: "دعهم يأتون!"

منظر الرجل الشرس في سترته المرقعة سحر الصبي فكاد يحبه. فهو اكتسب الآن أبعاداً جديدة كقاهر للصوص، لولا انه بدا اكبر سناً من صورة البطل. وعلى رغم غضبه المتّقد فلم يرَ الفتى فيه الند الكفي للرجل السمين.

قال النوتي: "انه مجنون. انهم ليسوا أطفالا!"

– رعاع حقيرون! هل تظن أننا نحن لا نستطيع قهرهم؟

"نحن؟" رد النوتي وتابع: "بل أنت أيها السيد. فأنا والفتى لن نشاركك في هذه المعركة. دع الشرطة تعالج الموضوع!"

واعترض الفتى: "الشرطة بعيدة جداً، ولن يسعها أن تنتظر هنا ليل نهار."

ووافق الصياد: "انك على حق ايها الفتى." ثم تابع، وهو ينظر الى النوتي بغضب: "عند هذا الصغير الخامة المطلوبة، وأنا لا أتحمل المراوغين!"

وتطوع الفتى فقال: "يمكنني أن أراقب النهر. وإذا اتوا عبره فسأعلمكما." وارتسمت في ذهنه صورة الزورق السريع الجديد الرابض في مرأب الصياد. ثم تابع: "يمكنني أن أخفر الغابة كلها لو كان الزورق معي. وأنا قادر على تدبّر أمري فيه."

وسأله النوتي متهكماً: "كما تدبرت أمرك في الزورق الآخر؟"

وصاح الصياد: "اللعنة، إنه ذكي." وتوجه الى خزانة البنادق واختار واحدة ناولها للنوتي قائلا: "جرّبها يا رجل."

– ان كنت تعتقد أنني سأطلق النار على الناس فأنت مجنون أيها الصياد. سأتولى الحراسة، ولكن ليس بهذا السلاح."

أدرك الفسق الفتى وهو متوجه الى مرأب الزورق. وسمع صوت باب يصفق. وسرعان ما ظهر الصياد من مخبأه وهو يعرج.

وقال الصياد بصوت أجش وهو يضغط بقبضته الهزيلة البندقية تحت إبطه: "انك دقيق في مواعيدك أيها الفتى. فلننزله الى الماء." ودفعا بالزورق الى النهر فتلقفته المويجات.

وتابع الصياد وهو يتناول المجذافين: "اجلس في مؤخر الزورق أيها الفتى وافتح عينيك الثاقبتين جيداً."

– هل تعتقد أنهم سيأتون في هذا الوقت؟

"الغسق يلائمهم ويتيح لهم التسلل في الظلال. ولكن ليس في وسعهم أن يخفوا الشاحنة."

لهو العائلة

كانت الغابة كثيفة حولهما. وجلس الفتى في المؤخر غارقاً في تأملاته. كان على قابي قوس من الوثوق بالرجل، ولكن منح ثقته هكذا لم يكن بالامر السهل عليه. أخيراً سأله: "هل ما قلته لي من أن القضاعات أبيدت بالسم صحيح أم انك اختلقته؟"

– يا ألله! الاختلاق من اختصاصك أنت! المبيدات قضت على القضاعات ولوثت الجداول وسمّمت الاسماك. لقد مُنع أستعمالها ولكن بعد فوات الاوان.

"الن تصطادها بعد اليوم؟"

– كلا... اللعنة عليك... لن اطارد بعد اليوم سوى لصوص الغزلان من رعاة البقر الوقحين!

"سنوقفهم، أليس كذلك؟"

وصرخ الصياد بصوت اجش: "أسئلة حمقاء!" وبحركة تعوزها الرشاقة خلع سترته ودفع بها الى الصغير.

استلقى لوط قرب جدول صغير والجراء من حوله تصخب وتقفز مرحاً وتضرب الارض بأذنابها كأنها تنتقم من شيء ما. ثم انقضّت على سمكة نهرية حملتها اليها باغل، وراحت تنهشها بأنيابها الصغيرة حتى لم يبق منها إلا الذيل، فاختطفه أحدها وهو يهدر ويزمجر وحمله متشبثاً به بمخلبيه الاماميين.

لمعت عينا لوط وهو ممدّد باسترخاء. فتربية الجراء كانت مسؤولية باغل، واقتصر دوره على مشاركتها في اللهو من وقت الى آخر كلما عنّ ذلك على باله أو كلما سيطرت عليه شخصية المهرّج الساكن داخله. وراح يضرب الماء بذيله ويرش الجراء، فيما راحت هي تطارده مطلقة صيحات التهديد والوعيد بتبجح وعجرفة. وجاراها لوط في صخبها وجعل



يقرع الأرض بذيله، فجدّت في إثره. وتباطأ قصداً فأدركته، ولما أمسكت به تظاهر بالغضب.

ريح ضارية عصفت في الوادي سبقتها روائح وأصوات. وانتصبت باغل على قائمتيها الخلفيتين واخذت تنادي جراءها. وحان وقت العودة الى البيت، إلا أن الجراء استمرت في اللعب. واشتدت الريح وازداد صوت باغل حدّة. وزمجرت العاصفة وتلاطمت الامواج وشعر لوط بالخوف الذي استبدّ بشريكته. فاندفع يستعجل صغاره وهو يهدّد ويتوعد. وغمرت مياه النهر الضفة وملأت الصدوع والشقوق وهي ترغي وتزبد، فيما تسلق جروان الضفة وجلين مذعورين.

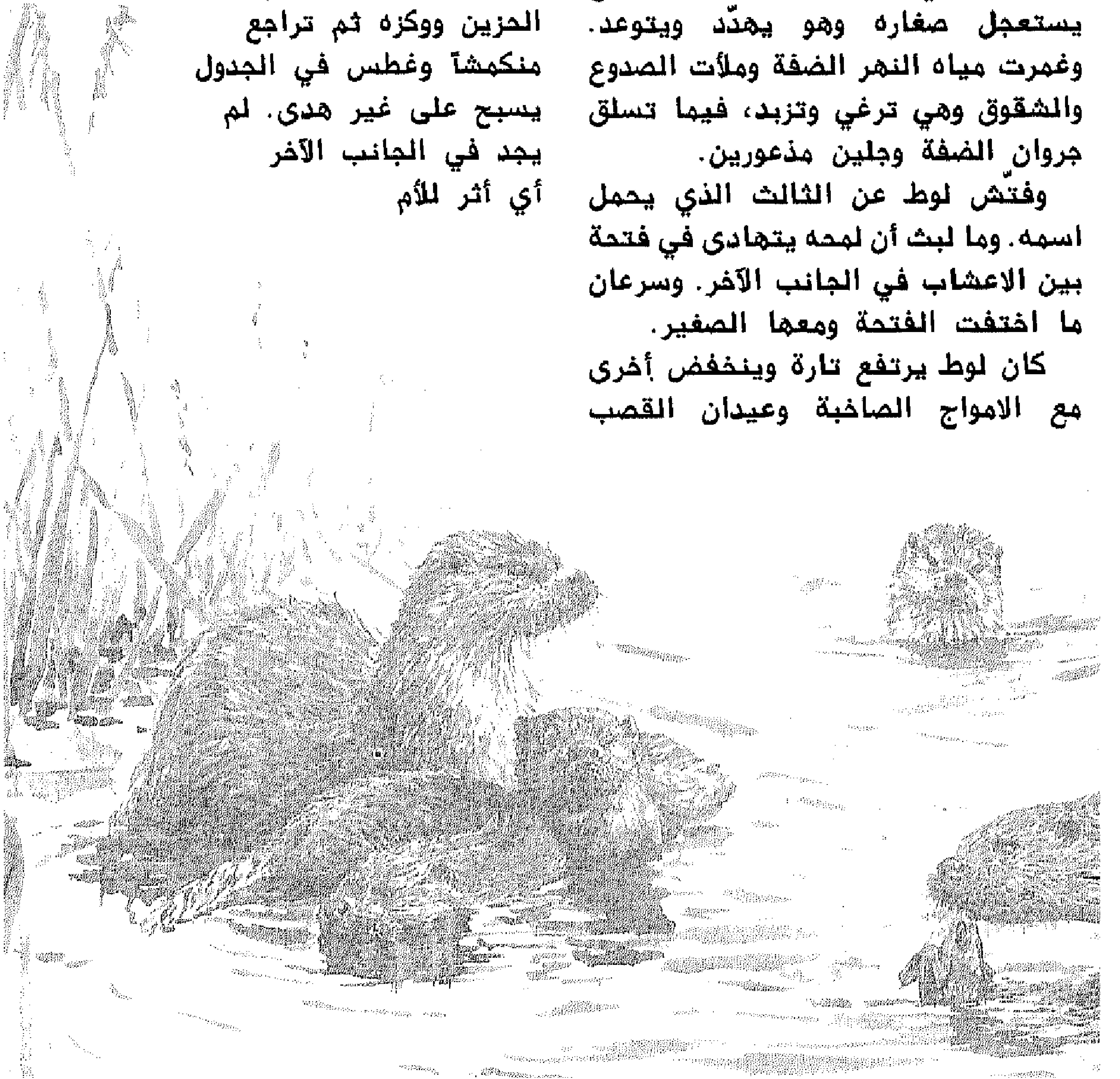
وفتّش لوط عن الثالث الذي يحمل اسمه. وما لبث أن لمحه يتهادى في فتحة بين الاعشاب في الجانب الآخر. وسرعان ما اختفت الفتحة ومعها الصغير.

كان لوط يرتفع تارة وينخفض أخرى مع الامواج الصاخبة وعيدان القصب تتطاير حوله. وتوجّس شراً من تلك العاصفة وشعر بخطر داهم، فتابع طريقه بين الادغال والفرو حول رقبته منتصب ككلب وحش غاضب.

الموت

انطرح لوط الصغير فوق العشب على نحو غير طبيعي، كومة جامدة من المخمل المبتلّ على عشب سحقته الاقدام، محطّم الجمجمة مكسور الظهر.

وتقدّم لوط من الجسم الحزين ووكزه ثم تراجع منكمشاً وغطس في الجدول يسبح على غير هدى. لم يجد في الجانب الآخر أي أثر للأم



والصغيرين، والمخبأ كذلك كان خالياً.

ما حصل هو أن باغل ساقت صغيريها أمامها في اتجاه المخبأ قرب صخرة القضاعات. وما لبث أن برز أمامها شكل بشري متكيء على جذع شجرة، انه انسان بدين يبعث منظره الرعب في النفس يتحرك في اتجاهها. فجذبت الصغير الأقرب اليها وانطلقت تعدو فوق الاعشاب والخنادق الى أن بلغت قناة قريبة. ولما عادت الى المخبأ كان صغيرها الآخر اختفى.

"باغل!"

استدارت على عجل مكشرة عن أنيابها. فرأت الفتى ينزلق في الجانب الآخر من الجدول. "انه لوط الصغير يا باغل!" ونفخت متذمرة على رغم الارتياح الذي شعرت به، فهي تعلمت ألا تخاف الفتى، لكنها الآن لم يكن لديها متسع من الوقت له، ثم ما لبث لوط أن وصل مع التيار وحيداً مضطرباً.

وصاح الصبي وهو يرتجف: "ما الذي حصل بحق السماء؟ لقد نفق لوط الصغير، والجرو الثاني مفقود. سآتي بالزورق."

اسرع في اتجاه الزورق وأنزله الى المياه وبدأ يجذّف. ثم نادى: "تعال يا لوط. أنت يمكنك ان تعثر عليها." فالجرو المفقود كان أنثى عُقدت عليها آمال كبيرة. وسبح لوط قرب الزورق وهو يرتفع وينخفض مع الامواج. ومن غريب الامور أنه بدا غير مكترث، وربما كان ذلك من هول الصدمة. غير أن الصبي استمر في البحث علّه يجد أثراً للجرو يقتفيه. إلا أن الآثار التي رآها في الوحل لم تكن آثار قضاعة، بل آثار طيور البط والطيطوى.

أخيراً ربط الفتى الزورق وتسلق المنحدر الى الطريق خلف الطاحونة التي حجبتها الاشجار. اقترب من البناء برفق ودفع الباب الكبير فانفتح. وفي الظلام بدت الشاحنة التي علاها السخام ضخمة جداً. وسمع أصواتاً فأختبأ. اربعة رجال جلسوا على صناديق في الخارج وهم يقطعون الانتظار بالحديث.

"لم نأت الى هنا للرياضة،" قال عامل النقل الذي يشبه وجهه وجه ابن عرس، "نحن هنا الليلة من أجل غزلان الصياد وليس من أجل القضاعة."

فنهره الرجل البدين وهو يلقي بعلبة الى الماء. "كفّ عن مضايقتي. ألم اقل انني سأحصل على قضاعة؟ ان لها ثمناً غالياً هذه الانثى الجميلة!"

وقال أحد الرجلين الآخرين: "ستنفق قبل ان تستطيع بيعها."

– لن تنفق قبل ان أبيعها وأقبض ثمنها.

تلوى الصبي في مكانه وهو يتصبب عرقاً فيما تابع البدين كلامه: "كانت ثلاثة. نهشني الاول فألقمته ضربة هشّمته وحملت الآخر معي."

ومن صندوق خشبي صغير بالقرب من الرجل البدين خرجت أصوات خربشة وحفر بالمخالب. كان الصوت ضعيفاً انما فيه اصرار. ونظر الرجل البدين الى الصندوق وركله برجله فتوقفت الخربشة وقال: "لا تزعجيني وإلا ضربتك بالجزمة!"

صعد لوط الى السطح في مكان يبعد قليلا عن بركة الطاحونة. ووصل الفتى لاهثاً وقفز الى الزورق وانطلق على عجل وهو يتكلم: "لقد أمسكوا بالجروة. انهم

أربعة رجال. ولا يمكننا ان نسترجعها وحدنا، عليّ أن انذر الصياد."

مشاجرون وأنصار

اتكأ الصياد العجوز على بندقيته ومعه الفتى والكلب الهرم. ومع افول النهار قطّب حاجبيه وهو يشعر بألم في عينيه.

- هل انت متأكد من أنها الليلة؟

أومأ الفتى برأسه ايجاباً.

- إذاً انتبه جيداً يا بني.

وهمس الفتى: "ربما، انما هناك أربعة منهم."

- لصوص رعاع ملعونون! لقد خضت غمار حربين. هل تعتقد أنني غير قادر على مواجهتهم؟

وران صمت قطعه الصياد قائلا برفق: "سنحتفل في وقت لاحق. انك في حاجة الى سقف فوق رأسك. وفي المنزل غرف كثيرة. يمكنك أن تمكث هناك."

فهمهم الفتى: "سيجدونني، جماعة الانعاش."

- لن يأخذوك مني ايها الفتى. دعهم يحاولون! سوف... سوف أتبناك.

زلق لسانه من دون قصد. غير أن الفكرة راقته فتابع: "أنت تحتاج الى بيت، وسيكون لك قضاعتك." وبعد تأمل قصير أضاف بصوت أجش وحنان ظاهر: "سيصبح عندي من أصطاد معه. كيف ترى ذلك يا فتى؟" دم جديد في البيت القديم وفتى يشبّ في الديار.

- هل ستفعل ذلك حقاً، فيصبح لي منزل على النهر؟

"انه امر مناسب أيها الصغير." فجأة ظهر توتر على الصياد وزمجر الكلب وهدر: "ما هذا؟"

بدت غزلان الصياد في البعيد ظلالا ونقطاً. ولم ير الفتى سواها. وكانت الافكار تدور في رأسه. هل يسكن مع الصياد؟ في بيته؟ حاول أن يفكّر جيداً.

فجأة لمع شيء في الظلام، ربما ماسورة بندقية. ثم رأى الفتى طيفاً منحنياً تبعه ثان فهمس: "هناك في الغورا انهما اثنان. لا، ربما ثلاثة. لن تمكنك رؤيتهم قبل أن يخرجوا من بين الاشجار."

- اذاً سأنال منهم، فهم حيث أريدهم!

"انهم أربعة."

– العدد لا يهمّ. اسمع يا فتى. الآن يمكنك أن تعدو وراء تلك الايكة فتصل الى البيت من دون أن يراك أحد.

"لكنك في حاجة الى مساعدة."

– اذهب، هيّا.

تنفّس الصبي الصعداء وقد أخجله شعوره بالفرج. إلا انه انطلق يعدو الى كوخ النوتي. وقرع الباب وهو يلهث.

"هل انت بخير يا فتى؟"

– الرجال يتسلقون المنحدر الآن والصياد وحده. سيقتلونه.

"يلزمهم أكثر من ذلك لقتل الصياد مسبّب الحروب."

وبصق النوتي وهو يتقدّم الفتى الى الكوخ: "الامر كما هو لم يتغيّر منذ أجيال. أمثاله يدخلون شجاراً وأمثالي ينضمون اليهم. كلّنا مجانين! انه لا يملك حبتي فاصولياء يأكلهما، لكنه رفض عروضاً بالملايين ثمناً لأرضه!"

خرج النوتي من السقيفة حاملا مذراة واستدار نحو الصبي وخاطبه بصلابة: "سأعود للحال، ولا أريدك معي!"

هذه المرّة لم يشعر الفتى بأي خجل، فمهمته كانت واضحة في ذهنه. شعر أن الوقت دهمه فانطلق يعدو بين الاعشاب يعلق بين سيقانها تارة وتخدشه الاغصان طوراً. وجعل يخوّض في الماء على غير هدى.

الانقاذ

تكوّرت الاسيرة الصغيرة على نفسها وأنفها ملتصق بذيلها، وراحت تنشج وهي ترتجف. وكانت حفرت في الخشب حتى سال الدم من مخالبها. وتاقت الى أمها بكل عرق فيها. وعندما افاقت دسّت أنفها في احدى الزوايا مستكشفة. ولاحظت تقوساً طفيفاً في الخشب فراحت تحفره بمخالبها الامامية حتى لان وظهر فيه صدع صغير، فتشجعت واستمرت تحفر وتخدش.

وجمدت في مكانها إذ برز رجل من خلف الطاحونة وقذف بعلبة الى الماء. ونادى اللصوص الذين طالت غيبتهم: "هيا!" كان دوره في العملية أن ينطلق بالشاحنة لدى سماعه اطلاق نار. ولم يطل وقوفه فعاد الى الطاحونة. وتابعت القضاعة الصغيرة الحفر. وسرعان ما تحوّل الشق كوّة للمراقبة أتاحت لها رؤية البركة التي عذّبها منظرها. واشتدّ صراخها وعلا وراحت تضرب كوةّ المراقبة بعنف. فجأة ظهر من البركة رأس عريض يقطر الماء من جبينه الشرس، وجال ببصره على الضفاف مستكشفاً.

بحركة سريعة صامتة وصل لوط الى الصندوق وأنشب فيه أنيابه. فاتّسع الشق وانتعشت آمال الصغيرة القابعة في الداخل وراحت تكدح بدورها. ومرّت دقائق طويلة ولوط يعمل الى ان سمع وقع أقدام روّعته فاختبأ. واخذ الرجل يتنقل خلف الطاحونة. في تلك اللحظة التقطت أذنا لوط صوتاً جاءه من مكان قريب.

"لوط!" همس الفتى من مكان على الضفّة: "ابق في الماء وأنا سأطلقها."

جد الفتى في البحث بين الصناديق ثم تنهّد يائساً: "لقد نقلها من مكانها!" وتقدّم ببطء الى ساحة الطاحونة يتنقل بخفّة من ظلّ الى آخر حتى وصل الى الشاحنة وفتح الباب قرب مقعد السائق.

يعدو صوب النهر والرجل في إثره. وتناول حجراً من صوان وانهال على الصندوق. وما ان انفتح حتى أماله. وفي لحظة خاطفة كانت الجروة في الماء حيث وجدت لوط في انتظارها. وارتمى السائق على الفتى الذي أفلت منه وغطس في الماء وراء القضاعتين سابحاً مع التيار تحت الماء بكل ما اوتي من قوّة.



صيادا الاوغاد

وقف النوتي في مواجهة التلال وقد رأى شكلا بشرياً يقفز بعياء من أجمة الى دغل. ثم سمع طلقة نارية. كان ذلك الرجل المخبول يطلق النار في الهواء. واستعدّ النوتي وصوّب المذراة وكأنها بندقية.

"اين هم؟"

– في الوادي. ولقد أحرقت آذانهم. الشحاذون. أطلق النار وأمشي. هذه هي الخدعة التي تجعلهم يعتقدون انهم في مواجهة حامية.

"لا تطلق النار ايها المجنون. فليست لديك من الذخيرة ما يكفيك لجولة أخرى. وفي أي حال لقد تسببت في تشتت الغزلان. وربما هي الآن خارج نطاق الخطر خلف المبنى. لا تحدث صوتاً ودعنا نؤويها."

وزمجر الصياد: "قلت لك انهم في الوادي. لقد تـأخرت. اللعنـة!" ثم "خرطش" البندقية. صحيح أن الغزلان

وهناك في المقعد الآخر استقر الصندوق فنتره الفتى من مكانه فيما انبعث منه صوت كالصرير.

كان الصندوق متيناً فراح الفتى يبحث عن مخل لينزع عنه الغطاء. وفجأة طلع القمر وغمر نوره الباهر البناء والساحة وظهر الرجل بوضوح ليكتمل هلع الصبي. وللوهلة الاولى أجفل الاثنان، ثم سُمع صوت طلق ناري بعيد.

شدّ الفتى الصندوق الى صدره وانطلق

كانت في مأمن، إلا ان دم الصياد كان فائراً. "سننال منهم، أولئك الشحاذين!"

حاول النوتي أن يكبح جماحه، لكن الصياد جعل يدور كالدوامة.

– اهجم أيها المجنون العجوز!

"لا يمكننا حتى أن نراهم!"

وقف الاثنان ينعمان النظر في الأجمة حولهما: رجلان هرمان يحمل احدهما بندقية صيد والثاني مذراة. وتقدم الصياد وتذمّر النوتي، لكنه تبعه والمذراة في يده كالعصا الرامحة. فجأة سمعت أصوات اغصان تتكسر وصاح الصياد بابتهاج وتبجج: "بحق السماء، انهم يفرّون كالارانب! دعنا نمطرهم بوابل من الخردق!"

– دعهم يرحلون. اني ذاهب الى البيت، والفتى في انتظاري."

– لن تتمرّد الآن! الفتى في مأمن في بيتي.

"انه في كوخي."

– أتعني أنه ذهب الى الزورق؟ تباً لهذا الولد الشقي. أترى كيف يعمل عقله الملتوي؟ القضاعة الملعونة! لقد خدعنا بمظهره الكاذب وذهب الى النهر. سيلتقي الاوغاد وجهاً لوجه. هل تأتي معي؟

"اجل أيها السيد."

راحت الصغيرة تخوض في الماء بشجاعة ولوط وراءها يستحثها. ثم غطس في الماء وصعد الى السطح حيث كان الصبي يسبح.

كشر الرجل البدين وعبس، فالليل مضى وهو ورفقاؤه أخفقوا في ما أتوا من أجله اخفاقاً ذريعاً. فالغزلان لم تعد في متناولهم، والاعيرة الناريّة التي أطلقت في الظلام جعلت الفوضى تدب في صفوفهم. غير أنه ما لبث أن رأى شيئاً يبرز فجأة على سطح الماء. ورفع البندقية واستعد.

للمرّة الثانية برزت الى سطح النهر ثلاثة أشكال ملساء مسطحة. قضاعات ثلاثة كانت تسبح في الماء. وسدّد الرجل البدين بندقيته الى كبيرها وأطلق النار.

وخرجت الصرخة من رفيقه الهزيل الذي اندفع الى الامام: "يا الهي! انه ولد! ولد يسبح!"

ونهره الرجل البدين: "انه قضاعة."

– أنا رأيته! لقد أصبته وغاص في الماء.

سبق للرجل البدين ان قتل طيوراً وحيوانات أخرى، لكنه لم يقتل اولاداً. وألحّ بصوت خشن: "أنه قضاعة. وفي أي حال أنا لم اكن هنا. لا أحد منّا كان هنا!"

عودة القضاعات

تدفق المطر غزيراً وغمرت المياه المكان.

وأخذت الصياد سورة من الغضب وحملق في الروافد الخشبية القديمة في سقف الكوخ المهجور الذي كان الفتى يأوي اليه أحياناً وراح يصرخ: "انه طفل! اين هي العدالة؟ كان طفلا واعداً بمستقبل..."

وبكى النوتي: "لماذا يرحل الآن؟ لقد عاش من اجل ذلك القضاعة."

– كان علينا ان نسلّمه، تباً له."

"ونخونه؟"

– من أجل حمايته يا رجل.

"كان من الممكن أن نروّضه نحن الاثنين. انما الآن فات الاوان." ووقف الاثنان كأسدي بحر هرمين ومعطفاهما يقطران ماء: "هكذا هي الحال معنا. دائماً متأخران."

ورد الصياد: "ربما، لكن يجب ألا نفقد الامل."

"ايها الصياد!"

كان ذلك في اليوم التالي، وكان الصياد ما زال يبحث. فهو لم يفقد الامل. ودنا الصوت وللمرة الثانية سمعه الصياد: "ايها الصياد، لقد عاد الفتى!"

وقف الصياد يحك جدعته وهو يرى الخادمة العجوز قادمة اليه وهي تلهث: "هل تسمعني ايها الصياد؟ لقد ظهر في بيتك! لقد عاد!"

– ذلك الولد الشقي؟ وطفرت الدموع من عينيه ولم يجرؤ على تصديق العجوز التي ردت: "نعم، ولو ترى في أي حال!"

– سأسلخ جلده! ما الذي فعله؟

"كان مختبئا كل ذلك الوقت. لقد أُطلقت عليه النار."

– هل هو مصاب؟

"ليباركك الله، كلا. لقد اخطأته الرصاصة وهو الآن في الحمام."

– هو في الحمام؟

"وردي اللون كالطفل."

ولاح طيف ابتسامة على شفتي الصياد وقال: "في الحمام؟ سأقطع أذنيه!"

في صباح اليوم التالي لبدء هجرة الانقليس الجماعية، وقف لوط على صخرة القضاعات ينادي باغل. كانت القضاعات، كبارها وصغارها، تسبح حول الصخرة واجسادها تتماوج. وكانت في الجميع تخمة. راحت تدور باندفاع وصخب ويقفز الواحد منها فوق ظهر الآخر والدوائر في الماء تكبر والمويجات تطوق المنصّة الصخريّة. وانطلقت شخصية المهرّج الساكن في كل قضاعة، وراح الجميع يهزج بحيوية لا تعرف الوقار. وأخيراً استلقى لوط قرب باغل ووكز الانثى ذات الفراء الاملس، فردّت بعضّة في عنقه فيها حنان وعاطفة.

انه سلطان المستنقعات وسيد جدول الانقليس. تمدّد لوط وفي رأسه شيء من رؤوس النمور، وراح يرتد الى الجراء التي كانت تقذف حبة بلوط في الهواء ثم تتلقفها وهي تروح وتجيء.

لقد عادت القضاعات الى المستنقع.

آلان لويد ■



حجة الكسول

يعترف أحدهم بأنه شديد الحساسية لجهة جز العشب أمام بيته ويقول: "إني أتوق الى يوم يقبض على كل من يعمل في فناء بيته، بحجة تشويه البيئة."

كاميرا التكنولوجيا المتقدمه
عالم السرعة الفائقة

كاميرا التي تستطيع أن تلتقط صورة لأسرع سائق
سباق في العالم يجب بالضرورة أن تكون
سريعة وتطور السيارات التي يقودها هؤلاء
أكثر من ... ذلك يجب أن تتيح لمستخدمها
صور في أقل من الثانية ببساطة وسهولة
د إسها كاميرا كانون T 70 .
له تشغيل ببرنامج العمل السريع وتعدل الصورة
صورة تم بقوة الكومبيوتر سالفي .
بنة ودوران وإعادة الفلم في كاميرا
وتوماتيكيا
كريستال تتيح لك قراءة المعلومات المتعلقة
كاميرا باستمرار
علة كاميرا كانون T 70 تعني أفضل
في كل الأوقات



Canon T70

كاميرات الفورميولا واحد



لعبة العيد للهولندي مارتن بوفبه.